

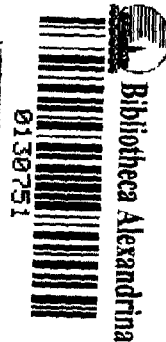
أحمد تهامي سلطان

الخديعة الكبرى

مخططات خبثاء صهيون وخديعة العالم بالأساطير السياسية

- العربي في الإعلام الصهيوني ، قذافي لا يمكنه تنظيم
أنا من حمر غسيل ؟؟
- العربي في الصحافة البريطانية الصهيونية : أقد مظنة
سه الخنزير ؟؟
- برودنوكولات حكماء صهيون ، كتاب ممنوع وضدان
ديباقة عليه القانون الفرنسي ؟؟

لقاء سبويه ، بين بن جوريون ونوري استير لإجبار يهود
المدن على الهجرة ؟
"فريق الحب" المنفص في صهيون ؟ : أهم وسائل
الدعاية الإسرائيلية ؟



الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
تم التصديق عليه: ١٩٧٩
تسجيل: ١٩٧٩

الخديعة الكبرى

مخططات خبثاء صهيون وخديعة
العالم بالأساطير السياسية

أحمد تهماني سلطان



مكتبة ابن سينا

النشر والتوزيع والتصدير

٧٢ شارع محمد فريد - جامع النجف - القاهرة
مقر الجريدة - الهاتف ٢٤٧٩٨١٢ فاكس ٢٤٨٠٤٨٢

وكلاء النوزج

السعودية

مكتبة السامي

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩١٥ ص ٥٥ جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩
القصيم - بريدة ت ٣٣٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥
ص ١٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

كنوز المعرفة

جدة ت ٦٥١٠٤٢١ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص ١٠٦٤٦ جدة ٣١٤٨٧

المغرب

دار المعرفة

40 شارع فيكتور ميكيو - الدار البيضاء
ص ١٠٦٤٦ ت 300567 - 309520

المكتبة السلفية

12 من الدار البيضاء - زقاق الإمام الغسلافي - الدار البيضاء
307643 ت

الإمارات

دار الفضيلة

دبي - دبيرة - ص ١٠٦٤٦ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٩٤٩٦٨

البحرين

دار الحكمة

ص ١٠٦٤٦ ت ٢٣٨٧٥٠ هاتف ٣٣٦٠٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناس

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد ..

فهذا هو ثلثي كتاب لنا في سلسلة تهدف إلى توجيه ضربات قوية إلى المخططات الدعائية الصهيونية وذلك بكشف أكاذيبها وافترائها وأساطيرها .

وفي الكتاب الأول — الأكذوبة الكبرى — ناقشنا « الأسطوانة » الإسرائيلية عن حرق ٦ مليون يهودى في أفران الغاز . وفي هذا الكتاب نتناول بالمناقشة عدة اسطوانات أخرى تدور عليها أساطير سياسية صهيونية . قد تحمل الأسطوانة الواحدة أسطورة واحدة ولكن الأخرى قد تحمل عدة أساطير مزجت لتصنع كوكبيل أساطير يهودى أما « الانتخاب » التى يتم سكب الأساطير فهى ضمير وعقل المواطن العربى فى أوربا عامة وفى الولايات المتحدة خاصة « البارمان » هو الدعاية الصهيونية التى تمسك بيدها معولاً من أكاذيب حاولت به أن تبنى حائطا من حقيقة .

وقد يتصور المواطن العربى أن ضمير وعقل المواطن العربى من الفطنة والذكاء والعلم بحيث يستطيع تحجيم هذه الأساطير وإلقاءها فى مزبلة التاريخ . ولكن المواطن العربى يُصدّم حينما يعلم أن ضمير المواطن العربى أصبح « مُصهيناً » — أى أسيراً لأبواق الدعاية الصهيونية التى تخدعه بكل الوسائل .

وقد يظن المواطن العربى أن مثل هذه الترهات وتلك الأساطير ليست إلا نوعاً من الفلكلور الدينى ، أو أحلام اليقظة السياسية . لكن الواقع أن مثل هذه الأساطير قد أقامت دولة اسرائيل من قبل ولا تزال تقيم أودها من خلال

دعم مادی ومعنوی ، واقتصادی و سیاسی ، مدنی وعسکری يقدمه الغرب
لدولة تخدعه بحلو الأساطير وبمعسول الدعاية .

ویأتی کتابنا هذا الذي يهدف إلى اختراق حواجز الكذب الصهيوني في
مرحلة بالغة الخطورة بالنسبة لوطننا العربي ، وهي مرحلة التفاوض من أجل
إقرار سلام دائم وعادل . وفي وقت تطور فيه الضمير العالمي وقفز قبل وبعد
حرب الخليج قفزة لها آثارها الملموسة على العالم بأسره ، شرقه وغربه ، وهو
تطور يجب ألا ينساق خلف الدعاية الصهيونية حتى يمكن أن يواصل تقدمه نحو
غد أفضل للإنسانية .

أحمد تهامی سلطان
القاهرة ١٩٩١/١١/١٤





الفصل الأول

ماهية الدعاية الصهيونية

« الشيء العجيب في القضية الفلسطينية ، هو أن العالم
قد أعطى أذنًا للجانب الذي ارتكب الإساءة ، وأدار أذنًا
طرشاء للضحية ! »

المؤرخ الشهير
أرنولد توينبي

- الدعاية هي التأثير المتعمد على الأفكار وسلوك الناس .
- تاريخ الدعاية قديم ولكن اللاسلكى أعطاه الانطلاقة الكبرى .
- الدعاية الصهيونية تتكون من دعايات ثلاث : اسرائيلية — يهودية — أممية .

- أدوات الدعاية الإسرائيلية كثيرة أهمها الإذاعة والتلفزيون والصحف والمكاتب الإعلامية .
- المركز الأكاديمي الإسرائيلي بمصر وكر للجاسوسية وأداة لنشر الدعاية الصهيونية .
- من أهم وسائل الدعاية الإسرائيلية « فريق الحب » المتخصص في ممارسة الجنس .

- بالوثائق : اليهود خططوا للسيطرة على العالم بالذهب والصحافة .
- ليس سراً أن اليهود يسيطرون على معظم دور النشر والصحف والشركات السينائية .

- « جائزة نوبل » و « مهرجان كان » تحت السيطرة المباشرة للصهيونية .
- الدعاية الأممية لصالح الصهيونية أسسها مارتن لوثر وبنها البروتستانت .

- الشبكات التلفازية المسيحية تساهم في بث الدعاية الإسرائيلية .
- اسرائيل لا تكتفى بنشر وبيع الأفكار ولكن تباع هواء القدس معلباً للمسيحيين .

« ماهية الدعاية الصهيونية »



تعاريف الدعاية كثيرة ومنها اللغوى والقانونى والعام ، ولكن يكفى أن نذكر بعضاً قليلاً منها من أقصرها عبارة وأشملها دلالة :

والدعاية كما جاءت فى دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية هى التأثير المتعمد على أفكار وسلوك أناس آخرين ، فيما يتعلق بالقيم والمعتقدات والسلوك عن طرق الرموز والكلمات والإشارات والصور والموسيقى . وتركز على عامل التعمد فى التأثير على الآخرين حتى يمكن تمييزها عن الاتصال أو التبادل المتحرر للأفكار وعن التعليم أيضاً . فرجل الدعاية يعرض وجهة نظر معينة بينا المعلم يعرض كافة وجهات النظر ويترك للآخرين حرية الاختيار فيما يرونه أصديق^(١) .

ويتفق تعريف دائرة المعارف البريطانية مع التعريف السابق إذ ترى أنها العرض المتعمد لجانب معين فى إحدى القضايا لتحقيق أهداف مرسل الدعاية ، ولكنها ترى أن الدعاية كلمة واسعة وشاملة ، فهى إن وجهت ضد عدو فى وقت الحرب تصبح حرباً دعائية أو حرباً نفسية^(٢) .

وترى دائرة المعارف الروسية أن الدعاية أحد الأسس الهامة للماركسية اللينينية ، فهى تدعو اتباعها للتغلغل داخل الطبقات فى الشعب كعقائدين ورجال دعاية محرضين ومنظمين . غير أنها تفرق بين الدعاية Propeganda وبين التحريض Agitation . فالدعاية توجه أساساً إلى جمهور صغير نسبياً بأفكار ونظريات تحتاج إلى مزيد من الشرح والتوضيح . بينما التحريض يعرف على أنه

(1) International Encyclopedia of the social sciences U. S. Macmillan and press. vol 12 - 1968 - P.P. 579 - 588.

(2) Encyclopedia Britannica G. B. William Bonton Publisher vol 18 - 1971 - P. 580.

نشاط سياسى يهدف التأثير على وعى وسلوك الجماهير العريضة برفع الشعارات والأفكار . وكل من الدعاية والتحريض أداة من أدوات الصراع الطبقي . وتعتمد على وسائل الاتصال كالإذاعة والصحف والمجلات والكتب^(١) .

ويرى قاموس العلوم السياسية أن الدعاية أداة للتأثير أو الإيحاء Persuasion لنقل رسالة بغرض التأثير على السلوك الإنسانى ، فالدعاية يصاحبها دائما رغبة فى التأثير على السلوك . وتتخذ عدة أشكال قد تكون إعلانا أو تسويقا لسلعة ، وبالمعنى الحربى حرب نفسية^(٢) .

ويقول معجم العلوم السياسية الميسر أن الدعاية يُعنى بها القيام بسياسة إعلان لصالح فكرة أو سياسة أو جماعة أو حزب معين . والدعاية لها وسائل فى كسب الشعب عن طريق إغرائه بزيادة الأجور وخفض أسعار الحاجات . ونشاط الإنتاج ونشر السلام والطمأنينة بين الناس . وتكون بواسطة الصحافة والنشرات والدوريات والخطب والإذاعة وهى تتكون حسب حاجات البلاد وصلات الشعب بالعالم الخارجى ومستوى ثقافته^(٣) .

ووفقاً لتعريف «يونيغ» Kimball Young فإن الدعاية هى استخدام الرموز على نحو متعمد منظم ومخطط من خلال الإيحاء أساساً ، وما يتصل به من تكتيكات نفسية بقصد تغيير وضبط الآراء والأفكار والقيم وتغيير الأفعال الظاهرة فى نهاية الأمر عبر خطوط صدرت سلفاً . وقد تكون الدعاية واضحة والقصد منها معلناً أو قد تستخفى بمقاصدها ، وهى تقع دائماً فى نطاق اجتماعى ثقافى لا يمكن بدونه أن تفهم ملاحظها النفسية أو الثقافية^(٤) .

(1) Encyclopedia of Russia and Soviet union U. S. mcgyaw , Hill book company - 1961 P.P. 459 - 406.

(2) Dictionary of Political science U. S. Phylosophical Library 1964 P.P. 430 - 4301.

(٣) معجم العلوم السياسية الميسر ، اعداد د . أحمد سويلم العمرى . الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٨٥ ص ١٠٠ .

(٤) فتحى الأيبارى فن الدعاية والمخطط الصهيونى — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٨٨ ص ٤٠ .

أما هارولد لاسويل Harold Lasswell فيرى أن الدعاية هي الاحتيال عن طريق الرموز ، ويقول في دائرة العلوم الاجتماعية « أن الدعاية تتخذ شكل وسائل قد تكون خطية أو كلامية أو تصويرية » ، ثم يفسر ذلك في كتابه « الدعاية والنشاط الدعائي » قائلا « ليست القنابل بل الكلمات والصور والأغاني والاستعراضات والحيل الأخرى المتعددة هي الوسائل النموذجية للدعاية »^(١).

ويقول تعريف العالم « ف . ي . لامل » أن الدعاية هي الاحتيال بطريقة أو بأخرى من ناحية :

أصل ومصدر الدعاية .

المصالح التي تنطوي عليها .

الوسائل المستخدمة عن طريق الدعاية .

فحوى ما ينشر عن طريق الدعاية .

النتائج التي تتحكم في المتأثرين بها بعد تحقيق أغراضها .

أما الباحث هندرسون فإنه يعرف الدعاية « كعملية » تحاول عمداً عن طريق فنون الاقناع أن تضمن للدعاية قبل أن يمارسها حرية التجاوب الذي يريجه ناشرها^(٢).

ويعرفها « لندي فريزر » بأنها النشاط أو الفن الذي يحمل الآخرين على سلوك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط^(٣).

ويقول الأستاذ نورمان جون باول أن الدعاية هي نشر الآراء ووجهات النظر التي تؤثر على الأفكار أو السلوك أو كليهما معاً^(٤).

(١) المرجع السابق ص ٤١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٤) د . عبد القادر حاتم : الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ١٣٩

والمختصون في دراسة الدعاية يضعون فوارق كثيرة بين الدعاية وبين الاعلام ،
التعليم ، الإعلان ، الدعوة ، الإصلاح وغسيل المخ ويقولون بأنها تقترب من
« الحرب النفسية » فالأهداف في كليهما متشابهة ، إذ تستهدف الحرب النفسية
التي تتوجه إلى عقل الإنسان ونفسيته تحقيق السيطرة على الإدارة ، لتدعيم الصديق
أو تحطيم الخصم ، والتأثير على الآراء والمواقف في الاتجاه الذي يخدم سياسة الدولة
وأهدافها^(١) .

وتقول الموسوعة العسكرية « إن هدف الحرب النفسية هو خلق تصورات
معينة لدى العدو أو نفى بعض تصوراتها »^(٢) .

ويشير د . أحمد نوفل إلى أن الدعاية وسيلة من وسائل الحرب النفسية ، أو
أداة من أدواتها^(٣) .

وهنا نشير إلى أن الأساطير السياسية هي وسيلة من وسائل كلا الطرفين :
الدعاية والحرب النفسية . وترتبط معهما في أنهم جميعاً يستخدمون الأكاذيب
المختلفة شريطة أن تكون الأكاذيب بداخلهم منمقة ومؤطرة بإطار من الحقيقة .
ذلك أن الأكاذيب الفجة إذا استخدمت في الدعاية أو الحرب النفسية أو الأساطير
السياسية تضر أكثر مما تفيد ، ولا ينجم عنها إلا التدهور والانحلال . وتسمى
الدعاية معها دعاية جوفاء ، وتعرف الحرب النفسية معها بأنها حرب فاشلة ،
ويطلق على الأسطورة السياسية التي تستخدم الكذب المحض اسم « الخرافة » ،
وهي فن آخر من فنون « الميثولوجيا » يصعب استخدامه في السياسة .

وتاريخ الدعاية كتاريخ الحرب النفسية قديم قدم الجنس البشرى نفسه ، إلا
أنهما ظلا محدودى التأثير حتى تم اختراع المطبعة فاتخذت شكلاً عصرياً تم تحديثه
وبنجاح باختراع اللاسلكى لتتجاوز الدعاية نطاق الدولة الواحدة والقارة .

(١) نزار عمار : الاستخبارات الإسرائيلية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ١٩٧٦ ص ١١١

(٢) الموسوعة العسكرية ، إعداد المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ص ٧٦٧ .

(٣) د . أحمد نوفل : الحرب النفسية — الجزء الأول — دار الفرقان للنشر والتوزيع عمان ١٩٨٥

الواحدة ، ولتتطور وسائلها تطوراً صارخاً بحيث تمثل فيه الإذاعة والتلفزيون أهم الوسائل على الإطلاق بعد الصحف والمنشورات والكتب والسينما ومراكز الاستعلامات . ولتنقسم إلى أقسام ثلاثة تباعدت الفواصل بينها : الدعاية في أوساط الأصدقاء . والدعاية في أوساط الأعداء ، والدعاية في أوساط المحايدين .. هذا ويمكن تقسيم الدعاية إلى ثلاثة أنواع هي :

١ — الدعاية البيضاء : وهي الدعاية المكشوفة وغير المستورة ، وهي عبارة عن النشاط العلني من أجل هدف معين ، وذلك في الصحف والإذاعة ووسائل الاتصال بال جماهير .

٢ — الدعاية السوداء : وهي الدعاية المستورة ، وتقوم على نشاط المخبرات السرية ، وهي لا تكشف عن مصادرها الحقيقية ولكنها تنمو وتتولد بطرق سرية داخل أرض العدو أو على مقربة منه .

٣ — الدعاية الرمادية : وهي الدعاية التي تخشى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية ولكنها تختفي وراء هدف من الأهداف مثل إذاعة «أوروبا الحرة» وهي موجهة إلى دول شرق أوروبا وجنوبها ، وتهدف في دعايتها إلى إحباط الدعاية الشيوعية^(١) .

هذا وتعتبر الدعاية السياسية هي أهم أنواع الدعايات إلى جانب الدعاية الدينية والدعاية الاقتصادية والدعاية الاجتماعية . في حين تمثل الدعاية الصهيونية واحدة من أشهر الدعايات السياسية المعاصرة .

والصهيونية حركة ودعوة دينية عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود في دولة خاصة بهم على أرض فلسطين العربية كحل للمسألة اليهودية ، مستبحة في ذلك كل الوسائل ، بدءاً بالهجرة ومروراً بالغزو والعنف .. والكلمة «صهيونية» مشتقة من اسم جبل «صهيون» الذي يقع جنوب غرب مدينة القدس ، ويعتبر وفقاً لتعاليم الديانة اليهودية مزاراً ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين «رغموا للرب الساكن في صهيون» . وأول من اشتق كلمة الصهيونية

(١) المرجع السابق — ص ٥١ .

كان « ناتان برنباوم » في عام ١٨٩٠ ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق ديني إلى برنامج سياسي استعماري ، يهدف إلى توطين الشعب اليهودي بفلسطين^(١) .

ويهمنا قبل الحديث عن أبعاد الدعاية الصهيونية أن ندرس بشيء من التوسع ، دعايات ثلاث تشكل معاً « جبل » الدعاية الصهيونية ، إذ تتعاقب هذه الدعايات الثلاث وتتكاتف في رباط هدفه إعطاء الصهيونية قوة ومنعة أمام كل التحديات التي تواجهها . والدعايات الثلاث هي :

* الدعاية الإسرائيلية .

* الدعاية اليهودية .

* الدعاية الأممية .

• والمقصود بالدعاية الإسرائيلية : الدعاية التي يقوم بها أفراد إسرائيليين ، يقيمون على أرض فلسطين المحتلة (إسرائيل) أو خارجها ، ويعملون بوحى من المنظمات الدعائية الاسرائيلية .

وبدئى أن الدعاية الإسرائيلية هي امتداد طبيعي للدعايات اليهودية الصهيونية السابقة على إنشاء دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨ ، وإن كنا قد سبقنا بالحديث عنها ، قبل الدعاية اليهودية ، فمرد ذلك أنها تشكل ما يزيد عن ٥٥ ٪ من قوة الدعاية الصهيونية في الوقت الحاضر .

ثم إن العقيدة الصهيونية تشكل وبقوة الإطار الفكرى والمرجعى للكيان الإسرائيلى الذى تقوم فيه الدولة على أساس دينى يميز بين كل من هو يهودى ، وغير يهودى .

* وتكمن أهم أدوات الدعاية الإسرائيلية في الوقت الحاضر فيما يلى :

١ — الإذاعة الاسرائيلية الموجهة (كل إسرائيل) :

وهى إذاعة حكومية تبث برنامجين باللغة العبرية ، برنامج عام لمستمعيها فى إسرائيل ، وبرنامج آخر موجه للجيش الإسرائيلى ، فضلاً عن الإذاعات التعليمية

(١) قاموس العربى : الصهيونية .. العدد رقم ٣١٨ من مجلة العربى — مايو ١٩٨٥ ص ٧٠ .

والتربوية . ويذيع البرنامج العبري العام ١٩ نشرة أخبار في اليوم بالإضافة إلى برامج سياسية متنوعة في الصباح ، وعند الظهيرة وفي المساء تشمل مناقشة لأهم الأحداث الجارية يشارك فيها المختصون على غرار برامج الإذاعة البريطانية في إذاعتها العالمية باللغة الانجليزية .

وبالنظر لأن إذاعة إسرائيل تعد عضواً في رابطة محطات الإذاعة الأوروبية ، فأنها تبث برامج هذه الرابطة ، كما أن إذاعات الرابطة الأوربية تبث برامج إذاعة إسرائيل ، لاسيما في المناسبات الهامة مثل « عيد الاستقلال الاسرائيلي » !!
ولهيئة الإذاعة الإسرائيلية برامج موجهة بلغات أخرى غير العبرية من أهمها برامج باللغات : الانجليزية — الفرنسية — اليديش — الفارسية — اللادنيو (العبرية الأسبانية) — الرومانية — الروسية — الهنغارية — البولونية — البلغارية — البرتغالية — ولهجة شمال أفريقيا (المغرب العربي) .

ولاريب أن أهم برنامج تبثه إذاعة إسرائيل ، هو برنامجها باللغة العربية حيث تبلغ مدة البث ١٨ ساعة في اليوم ، ويتولى هذا البرنامج شن الحرب النفسية على الجماهير العربية وعلى سكان المناطق المحتلة .. ويعمل بهذا البرنامج مئات الموظفين ، كثير منهم من يهود البلدان العربية ..

ويذيع البرنامج العربي عدداً كبيراً من البرامج والتعليقات السياسية فيها جهد كبير ويمتاز معظمها بالخبث والذكاء الشديد في استخدام الحرب النفسية التي تعمل بصفة عامة وفق مخطط إذاعي يعتمد على :

(أ) تبادل البرامج بين إسرائيل والدول الغربية والأفريقية ودول أمريكا اللاتينية وكندا .

(ب) نشرات الأخبار التي تعتمد إلى اقناع المستمع بمقدرتها على التغطية السريعة .

(ج) البرامج الموجهة باللهجات العامية خاصة اللهجتين المصرية والعراقية .

(د) برامج التعليقات والأقوال المسجلة .

(هـ) النداءات الموجهة أثناء الحروب مع العرب بهدف الحط من الروح المعنوية لهم .

٢ — تليفزيون إسرائيل القومي :

وقد بدأ التليفزيون القومي الإسرائيلي في ٢ من مايو ١٩٦٨ بعرض تجريبي يتضمن برنامجاً خاصاً بمناسبة العيد العشرين لقيام إسرائيل ، وقد بدأ الإرسال التليفزيوني القومي التجريبي دون وجود برامج مستديمة ، سواء للبرنامج العبري أو العربي ، هذا إلى جانب نقص الكفايات . فلما بدأ التليفزيون إرساله الرسمي عمد إلى حل هذه المشاكل بطرق غير مشروعة أهمها الحصول على برامج عربية من البلاد المجاورة بالتقاط الاشارات اللاسلكية عن طريق غير مشروع .

وتدور محاور الدعاية الإسرائيلية في التليفزيون الإسرائيلي حول المحاور

الآتية :

- ١ — تبيان مواقف إسرائيل إزاء العرب والقضايا العربية .
- ٢ — تبرير حركات الجيش الإسرائيلي والإيجاء بقدرته على الضرب والمواجهة .
- ٣ — تبيان واقع الوطن العربي .
- ٤ — تبيان الوضع الداخلي في إسرائيل .
- ٥ — تبيان مواقف الغرب ، وبخاصة : أمريكا .
- ٦ — تبيان علاقات إسرائيل الدولية .
- ٧ — عرض الواقع الدولي .

والتليفزيون الإسرائيلي لا يهدف إلى إعطاء الصورة الواقعية عن هذه المحاور ، ولكنه يهدف إلى تقديم الصورة المعبرة عن وجهة النظر الإسرائيلية كما يراد بها أن تكون عليه في ذهن المواطن العربي خاصة ، وفي ذهن الرأي العام العالمي عامة^(١) .

وتتواصل اهتمامات إسرائيل للوصول بالبحث التليفزيوني إلى كافة أرجاء الوطن العربي ، لدعم الدعاية الإسرائيلية من جهة ، ولتحتطيم الشباب العربي بعرض الأفلام الجنسية الفاضحة من جهة أخرى ، وفي هذا المضمار خطت إسرائيل خطواتها الأولى بإطلاق قمر صناعي إسرائيلي للأغراض العسكرية .

(١) مروان كنعاني : وسائل الإعلام الصهيوني وأساليبه ، المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين .
بغداد ١٩٨١ ص ١٨ .

وهي خطوة تقول إسرائيل إنها مقدمة لإطلاق قمر صناعي للأغراض الإعلامية على غرار القمر الصناعي العربي «عربسات» الذي أطلق في عام ١٩٨٥ .

٣ — الصحافة الإسرائيلية :

تعتبر إسرائيل من أكثر بلاد العالم ازدحاماً بالصحف التي تصدر بمختلف اللغات برغم قلة عدد السكان نسبياً . وتتنوع الصحف في إسرائيل تنوعاً كبيراً ، فهناك صحف يومية وأخرى أسبوعية وثلاثة شهرية ورابعة فصلية . وهناك صحف عبرية وأخرى إنجليزية وثلاثة ييدشية ورابعة فرنسية . والخلاصة أن الصحافة في إسرائيل متنوعة بتنوع السكان أنفسهم^(١) من حيث اللغات والانتماءات الحزبية حيث يبلغ عدد الأحزاب الممثلة في الكنيست الإسرائيلي عشرة أحزاب لها صحفها التي تنطق بلسانها . ورغم هذا التنوع الشديد فإنها تخضع جميعاً لقانون الصحافة الصادر عام ١٩٦٢ ، وللرقابة المشددة بواسطة الرقيب العسكري الذي يمارس مهمته بدعوى الاحتياجات الأمنية . والأهم أنها تعمل مجتمعة بأسلوب «الجوقة»^(٢) فكل منها نغمتها الخاصة التي تنطق بها . وفي حالات الطوارئ كلها تتناسى يمينيتها أو يساريتها لتقف وراء الحكومة وجهود الدولة فتتفق فقط عندها بلسان الدولة الواحدة وتؤازر نشاطات الحكومة ، وتصبح جميعها «بوقاً» واحداً للدعاية الرسمية للدولة .

ومن أشهر الصحف الإسرائيلية انتشاراً وخدمة للدعاية الإسرائيلية نذكر :

صحيفة الجيروزاليم بوست — صحيفة ها آرتس — صحيفة دافار — صحيفة عال همشمار — صحيفة معاريف — صحيفة يدعوت احرنوت — صحيفة كول هاعام — صحيفة لامر حاف — صحيفة هوديع — صحيفة حيروت .

(١) على محمد على : في داخل إسرائيل ، الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ب ت ص ١٣١ .
(٢) مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية — منشورات مكتبة المنار — الزرقاء ١٩٨٦ ص ٣٠ .

ومن أشهر المجلات العبرية :

مجلد هاعولام هازية ، كوتيرت راشيت ، نيكودا ، بما حينه ، حيل هأفير — هامشطرة .

ومن الصحف العبرية الخاضعة للمؤسسات الإسرائيلية ولا تعبر عن الإرادة العبرية المستقلة :

صحيفة اليوم — الاتحاد — المصدا — الأمر — الوسيط — الجديد (والأخيرة متحررة إلى حد ما من قيود الدعاية الإسرائيلية) .

٤ — المكاتب الصحفية والإعلامية :

ومن هذه المكاتب نذكر :

(أ) مكتب المعلومات المركزى (ويشكل مع المكتب الصحفى للحكومة دائرة واحدة ترتبط برئيس الوزراء) وتتبعه وحدتان : وحدة قسم المعلومات ووحدة ماوراء البحار . وتعمل الأخيرة بالتعاون مع وزارة الخارجية ووزارة السياحة والوكالة اليهودية على تقوية الصلات بين الدولة والمهيمات اليهودية غير الصهيونية فى الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والرحلات وعمل الدراسات وارسال المحاضرين . ويصدر عن المكتب (الكتاب السنوى للحكومة الإسرائيلية) الذى يتضمن تقارير عن أعمال الوزارات والكنيست وبنك إسرائيل والوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية ، والصندوق القومى اليهودى ، والنداء الإسرائيلى المتحد ، وديوان المحاسبة ومؤسسة الإذاعة .

(ب) المكتب الصحفى للحكومة : وهو المتحدث باسم الحكومة فى مواجهة الصحافة المحلية والأجنبية . حيث يزود المراسلين بالأنباء مع المادة التوضيحية . ويضم قسماً للأبحاث ومكتبة وأرشيفاً وقسماً للمطبوعات يُصدر المنشورات التالية :

— نشرة أخبار يومية بالعبرية والإنجليزية .

— ملخص أسبوعى بالإنجليزية .

— مختارات إسرائيل بالإنجليزية كل أسبوعين . ويضم أهم البيانات الحكومية وأهم الأحداث .



مركز الاستعلامات الاسرائيلى

ص.ب ١٣٠١٠ اورشليم القدس كانون الأول ١٩٧٩

نص : يعيل جلعدي

تصميم : صزر

مطبعة : صاص — تل أبيب

عنوان مركز الاستعلامات الاسرائيلى كما هو وارد بإحدى النشرات الدعائية

— حقائق عن إسرائيل ويصدر سنوياً حيث يرسل للمراسلين الأجانب وتوزع منه وزارة الخارجية مئات الآلاف من النسخ (١) .

(ج) مركز الاستعلامات الإسرائيلي : وعنوانه صندوق بريد ١٣٠١٠ —
أورشليم القدس . ويقوم المركز بطبع وتوزيع آلاف النشرات الدعائية الاسرائيلية داخل إسرائيل وخارجها مستغلاً في ذلك المراكز الثقافية الإسرائيلية في عواصم العالم المختلفة .

(د) مكاتب وكالات الإعلام الإسرائيلية : حيث توجد لدى إسرائيل ثلاث وكالات للأنباء هي :

— وكالة الاسيوشيتد برس الإسرائيلية (ايتيم) .

— وكالة الأنباء الإسرائيلية (انا) .

— الوكالة اليهودية للبرق .

٥ — الدوائر الدعائية التابعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية :

تعتبر وزارة الخارجية الإسرائيلية بكاملها جهازاً إعلامياً متكامل النشاط ، بل هي ركيزة الإعلام الدعائي الإسرائيلي الخارجى ، أى الموجه لدول العالم . كما أنها هي الموجه لمجمل الإعلام الصهيونى فى الخارج الذى تتولاه الجمعيات والهيئات الصهيونية فى المجتمعات التى تتواجد فيها الجاليات أو الطوائف اليهودية . ويتبع وزارة الخارجية الإسرائيلية عشرات القنوات الدبلوماسية كالسفارات والقنصليات والملحقات والمفوضيات . وكلها تقوم بجمع الجباية فى الخارج لصالح اسرائيل ونشر الدعايات والمنشورات الإسرائيلية .

وأهم دوائر وزارة الخارجية الإسرائيلية التى تتولى النشاطات الدعائية المتنوعة هي :

(أ) دائرة الإعلام : ويمكن اعتبارها الجبهة المسئولة عن تخطيط وتنسيق نشاطات دعاية واعلام اسرائيل والصهيونية فى دول العالم الخارجى . ويتم توصيل دعايتها من خلال :

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

- الاتفاق مع الصحف العالمية على إصدار ملاحق خاصة عن إسرائيل أو أعداد خاصة عنها .
- تنظيم سلسلة من المقالات حول المناسبات الاسرائيلية الهامة ونشرها في أوسع نطاق .
- إعداد وتوزيع عشرات الكراسات والكتيبات والكتب بمختلف اللغات العالمية .
- إصدار نشرتين دوريتين وتوزيعهما على مختلف الصحف الأجنبية ومحطات الاذاعة والتلفزيون .
- تنظيم جولات ١٥٠ معرضاً في شتى الحواضر والمدن كل عام تركز على الجوانب السياسية لإسرائيل .
- إعداد أفلام دعائية جديدة ومواصلة توزيع وتعميم سلسلة الأفلام الوثائقية والدعائية الإسرائيلية في مختلف أنحاء العالم .
- إهداء الصور الملونة إلى من يرغبها .
- تنظيم جولات من المحاضرات لنحو ١٠٠ محاضر لأقطار العالم المختلفة .
- دعوة ما يزيد على ٢٠٠ صحفي سنوياً من شتى أنحاء العالم والعشرات من فرق التصوير التلفزيوني والمعلقين الإذاعيين والتلفزيونيين .
- مساعدة المنظمات الطلابية في خارج إسرائيل في نفقات طبع المطبوعات والملصقات التي تحمل الدعاية الإسرائيلية .
- تنظيم ندوات وحملات إعلامية للطلاب في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية .

(ب) دائرة التعاون الدولي . وتتولى التنسيق ومتابعة برامج التعاون الفني مع قرابة ٨٠ دولة في أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية . وتتولى إرسال الخبراء الإسرائيليين للعمل في الخارج ، وقبول الراغبين في الدراسة والتدريب في إسرائيل ويتم القبول في المعاهد والجامعات في إسرائيل ومنها :

- الجامعة العبرية في القدس .
- المعهد التكنولوجي في حيفا .
- المعهد الآفرو آسيوى .
- مركز جبل الكرمل الدولى للتدريب في حيفا لتدريب النساء الوافدات من أقطار العالم الثالث على خدمة تنمية المجتمع .

(ج) دائرة العلاقات الثقافية والعمالية : ومهمتها هى تعليم العبرية وتأسيس كراسى لها في الجامعات العالمية ، وتبادل البرامج الإذاعية ، والفرق الفنية والموسيقية وتنظيم المعارض الثقافية والفنية ، ونشر التراث الأدبي والفكرى الإسرائيلى واليهودى وترجمته إلى لغات أخرى . وعقد اتفاقيات التعاون الثقافى والفنى مع بلدان العالم الخارجى . إضافة إلى إصدار المجلة الدعائية «إريال» التى تعنى بشئون الفنون والثقافة بأكثر من لغة .

٦ — الدوائر الدعائية التابعة لوزارة التربية والإعلام الإسرائيلية :

يوجد بوزارة التربية في إسرائيل مركز للإعلام يتولى إعداد وتوجيه جانب أساسى من الإعلام الداخلى أى الموجه لسكان إسرائيل من اليهود إلى جانب النشاطات الدعائية الموجهة للمجتمعات اليهودية في الخارج وللمجتمعات العالم الخارجى بوجه عام . ويمكن تلخيص نشاط المركز في النقاط التالية :

— تجنيد المتحدثين والخطباء في الاجتماعات التى تعقد في إسرائيل في المناسبات العامة .

— تنظيم محاضرات للسياح بلغات مختلفة .

تنظيم جولات لزيارة المعالم الهامة داخل إسرائيل والمناطق المحتلة .

— عرض الأفلام التوجيهية والتربوية وغيرها على الإسرائيليين (دعاية داخلية) .

— تشكيل لجان إعلامية لخدمة المنظمات الصهيونية في الخارج وتزويدها بأكبر قدر من المواد الدعائية . لتتولى توزيعها وتعميمها على مختلف فروعها في البلدان الأخرى .

— توجيه السياح وبث الدعاية الإسرائيلية بينهم والسعى لإقناع اليهود منهم للإقامة في إسرائيل . وتنظيم أمسيات من نوع أسئلة وأجوبة للشبان السياح الذين يمضون فترات في الكيوتزات ، ثم إرسال آلاف من بطاقات التهنئة بالسنة الجديدة وشهادات التقدير من إدارة الكيوتزات إلى الشبان الذين عاشوا فيها . وتطبيق نفس الأسلوب على السياح الذين يقيمون في الفنادق أو بيوت الضيافة .

— إرسال المنشورات الدعاية إلى المراكز الطلابية اليهودية في الخارج لتوزيعها على المراكز الطلابية غير اليهودية .

— استخدام فروع ومكاتب الشركات الإسرائيلية في الخارج في الأغراض الدعاية . فهناك اتصال مستمر مع مكاتب شركة العال (الطيران الإسرائيلي) وشركة تسييم (الملاحة الإسرائيلية) وشركة سوليل بونيه (مقاولات البناء والإنشاءات) العالمية النشاط ، وبنك ليغومي وغيرها حيث يتم تزويدها بالمواد الدعاية^(١) .

— الإشراف على تنظيم المعارض الصناعية والتجارية بمختلف دول العالم وتزويدها بالمنشورات الدعاية .

٧ — الدوائر الدعاية التابعة لوزارة الدفاع الإسرائيلية .

(أ) دائرة التعاون والارتباط الخارجى : وتضم أقساماً هي قسم مساعدة الأقطار الأجنبية وقسم أمريكا اللاتينية . وقسم الأقطار الأفريقية الناطقة بالفرنسية . وقسم اختيار المدربين للعمل في الخارج وقسم الأبحاث والمنشورات .

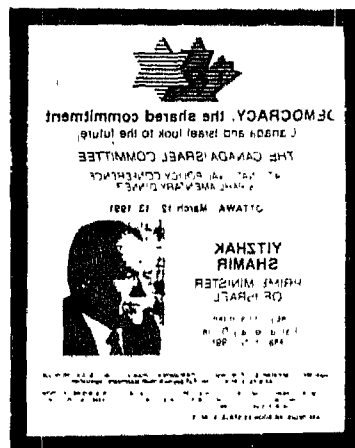
(ب) دائرة العلاقات العامة : ومهمتها توجيه الإعلام الإسرائيلي الداخلى لاسيما الموجه منه لأفراد الجيش . وتتولى إصدار المنشورات والكتب المتنوعة والمجلات الأسبوعية والشهرية وأهمها مجلة (بماحانيه) أى « الشكته » .

(جـ) دائرة الاستخبارات العسكرية «أمان» : وتتبع وزير الدفاع . ومهمتها جمع المعلومات العسكرية والاستراتيجية عن الخصوم تمهيداً لنشر دعايات مضادة لهم .

(١) عبدالرحمن أحمد سليمان : إسرائيل بعد الزلزال الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٥ ص ١٠٧ .



منشور دعائى اسرائيلى يدعو لزيارة اسرائيل . وقضاء ستة أسابيع ممتعة فى مخيم بيتار السياحى ، منها أربعة أسابيع زيارة لأثناء البلاد ولقواعد جوية سرية ومرتفعات الجولان السورية وأسبوعين فى أحد الكيوترات حيث يعمل الزائر بنفسه ويمارس حياة الموشاف الفريدة كل هذا وأكثر مقابل ١٤٩٥ دولاراً فقط .



ملصق حائط دعائي يهودي يدعو لحضور ندوة يحضرها إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل . عنوان الندوة « كندا وإسرائيل : التطلع إلى المستقبل » .

٨ — دائرة الحرب النفسية التابعة للاستخبارات الإسرائيلية .

وتعمل هذه الدائرة التابعة للموساد بالتعاون مع دائرة الاستخبارات العسكرية ودائرة الإعلام التابعة لوزارة الخارجية ومركز الإعلام التابع لوزارة الإعلام على تشكيل ما يعرف باسم « غرفة العمليات الدعائية » وفيها يتم تجميع المعلومات الواردة من شبكة التجسس والواردة من الأنباء الصحفية والتعليمات الصادرة إلى الغرفة من رئيس الوزراء ومجلس أمن الدولة (فعايدات) والبحوث الصادرة عن مركز البحوث بوزارة الخارجية معاً ليمسك أو اختراع دعاية سياسية لتخدم مصالح إسرائيل .

٩ — مجالس الصداقة :

عمدت إسرائيل إلى تنظيم جمعيات الصداقة مع البلاد الأجنبية عن طريق إنشاء مجالس لها على أساس جغرافي مثل : المعهد المركزى للعلاقات الثقافية الاسرائيلية فى أمريكا اللاتينية ، ومجلس الصداقة الإسرائيلية الأفريقية ، ومعهد العلاقات الثقافية الإسرائيلية اليونانية ، ومجلس الصداقة الاسرائيلية الآسيوية .

١٠ — وبالإضافة إلى هذه الأجهزة فثمة دوائر أخرى كثيرة تعمل فى مجال الإعلام والدعاية الداخلية منها :

- دائرة العلاقات الخارجية فى الوكالة اليهودية .
- الاتحاد العام للعمال اليهود — المهستدروت .
- مؤسسة السياحة الإسرائيلية الحكومية .
- المنظمات الطلابية الإسرائيلية .
- جمعية المحاربين القدماء الإسرائيلية .
- شركة العال EL-AL للطيران .
- نادى الروتارى الإسرائيلى (١) .

١١ — السينما :

السينما هى إحدى الوسائل الدعائية الإسرائيلية . ورغم أنها ليست بالكم الكبير من ناحية حجم الإنتاج ، إلا أن اعتمادها على « الكيف » من جهة وعلى محابة

(١) الحرب النفسية الإسرائيلية . مرجع سابق ص ٣٤

« المهرجانات الدولية » من جهة أخرى جعلها أداة هامة من أدوات الدعاية .
ومجال السينما في إسرائيل لا يقتصر على أعمال السينما المنتجة في إسرائيل وإنما
يتعداه إلى عدة ميادين ذات توجهات صهيونية منها :

— ميدان الإنتاج السينمائي الإسرائيلي : وتعتبر شركة « كانون » الاسرائيلية
التي يملكها « مناحم جولان » وابن عمه جلوباس هي أكبر أخطبوط سينمائي
إسرائيلي .

— ميدان الإنتاج السينمائي العالمي المشترك : حيث تشترك شركة كانون مع
شركات غربية لإنتاج أعمال سينمائية أو تلفزيونية . مثل شركة ميكانون للتوزيع
والإنتاج التلفزيوني بأمريكا .

— ميدان الإنتاج العالمي : حيث يشارك إسرائيليون بأموالهم في إنتاج أفلام
تدعم الدعاية الاسرائيلية غير المباشرة لحساب شركات إنتاج غير إسرائيلية .

— ميدان التعاون الخفي : والذي يتم من وراء الستار مع الشركات العالمية
التي يمتلكها يهود .

— ميدان التعاون الشخصي مع السينمائيين العالميين : حيث يتم استقدام
ممثلين عالميين للقيام بأعمال سينمائية إسرائيلية — كالمثلة « جين فوندا » — أو
لزيرة إسرائيل واستغلال هذه الزيارة للدعاية الاسرائيلية .
١٢ — أحصنة طروادة :

وتعتبر كل مجالس الصداقة والدوائر الاسرائيلية التي لها فروع في الخارج مثل
شركات الطيران والملاحة ونوادي الروتاري والبعثات الدبلوماسية والقنصليات
المشار إليها سابقاً بمثابة أحصنة طروادة تعمل على اختراق الدول التي تتواجد بها ،
وتخدم دولة إسرائيل في عدة نواحي :

- الغزو الثقافي الإسرائيلي .
- نشر الدعايات الإسرائيلية .
- التجسس لصالح إسرائيل .

وبالإضافة لما هو مذكور سابقاً نضيف القائمة التالية التي تعمل وفق تلك الأهداف :

١ — المراكز الأكاديمية الإسرائيلية^(١) : وتنتشر في معظم دول العالم خاصة أوروبا وأفريقيا والولايات المتحدة .

٢ — المراكز الإعلامية الإسرائيلية : وهناك أربعة مراكز رئيسية في نيويورك وباريس وبيونس آيرس وزيورخ .

٣ — جمعيات الصداقة مع إسرائيل : وتنتشر في كافة البلاد الأوروبية الغربية وأمريكا وبعض البلدان الآسيوية .

٤ — المعاهد الثقافية الإسرائيلية : وهي كذلك تنتشر في أوروبا الغربية وأمريكا وأمريكا اللاتينية .

٥ — الطلاب الإسرائيليون في الخارج : حيث يتم تثقيفهم صهيونياً وذلك لمواجهة نشاط الطلاب العرب التلقائي في الجامعات الأوروبية والأمريكية .

٦ — التنظيمات الصهيونية واليهودية في الخارج وهي :

- المنظمة الصهيونية العالمية : وفروعها تسمى بالاتحادات الصهيونية .

- الوكالة اليهودية : ومكاتبها تسمى بالجمعيات والمنظمات مثل :

- (أ) منظمة هداسا .

- (ب) منظمة النساء اليهوديات .

- (ج) منظمة الشبيبة اليهودية .

(١) فيما يخص المركز الأكاديمي الإسرائيلي بمصر (القاهرة ٩٢ ش النيل) تجدر الإشارة إلى أن أول رئيس له (شيمون شامير) طرده مصر بتهمة التجسس ، إلا أن إسرائيل قامت بفرضه على مصر سفيراً ، فأصبح أول سفير جاسوس رسمي . وتولى من بعده « جبرائيل وأربورج » وهو أحد خبراء الموساد وسبق له العمل في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (أمان) ، والآن يرأس المركز « آشير عوفاريا » وهو أكثر خطورة من سابقه ، ويعمل المركز على توزيع المنشورات والكتيبات الدعائية إضافة إلى مساعدة الباحثين الإسرائيليين في التجسس على مصر ندعوى البحث العلمي الأكاديمي (حتى شهاب الدين : حصان طروادة الصهيوني — مقال بمجلة المهندسين العدد ٤١٦ أغسطس ص ٤٢ — ٤٤) .

(د) الصندوق القومي اليهودى .

(هـ) النداء الإسرائيلى المتحد^(١) .

* وللتعرف بالتفصيل على بعض وسائل الحرب النفسية الإسرائيلية التى يتم بها نشر الدعايات الإسرائيلية ، فلننظر فى تلك الوسائل المستخدمة داخل إسرائيل ، وتلك التى تستخدمها دعائياً فى الخارج :

• فمن وسائل الدعاية المستخدمة فى دليخيل إسرائيل والتى يراد منها التأثير على اتجاهات صنّاع القرار والرأى العام المحلى فى الدول المختلفة فإن إسرائيل تتبع الوسائل الآتية :

١ — الضيافة : حيث تقوم باستضافة بعض الأشخاص وبصفتهم الشخصية البحتة كما تستضيف البعض بصفتهم الرسمية ، والشرط الوحيد غير المُعلن هو أن تتوافر بأولئك الضيوف مؤهلات تجعلهم — إن لم يكن اليوم فغداً — ذوى مكانة ونفوذ فى بلادهم .

٢ — تنظيم المؤتمرات والمهرجانات : وتحرص على عقدها وحضورها لتؤكد من خلالها مقولاتها الدعائية وطروحاتها النفسية .

٣ — الدورات التدريبية : وتدعو لمثل هذه الدورات تحت شعار (الإفادة من التجربة الإسرائيلية الخاصة) وتحرص على أن يكون المتدربون شُباناً مؤهلين للوصول إلى مناصب فى بلادهم ، وعلى أن تكون التجربة (مما يبعث الحنين إليها باستمرار) وكما أن للشباب دوراتهم فى الجيش وغيره من المرافق ، مع تقديم نموذج الشبيبة الطلائعية كما فى (الناصال والجادناح) وهو نظام يجمع إلى جانب التدريب العسكرى العمل فى الحقول الزراعية والتنمية الاجتماعية^(٢) .

٤ — الدعاية عن طريق الاغراء الجنسى : فمن أجل بعث الحنين باستمرار إلى ضيوف إسرائيل ومن أجل تسريب الدعاية عن طريق الغرائز ، تعتمد إسرائيل إلى

(١) الحرب النفسية الإسرائيلية مرجع سابق ص ٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥ .



مجلات ومنشورات دعائية يصدرها « حصان طروادة » الاسرائيلي في مصر : « المركز
الاكاديمي الاسرائيلي » .



المظاهرات ، وسيلة دعائية اسرائيلية تستهدف جذب العطف عن طريق التذكير
بالهولوكوست .

استخدام الجنس لإقناع السياسيين الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل ، بصحة قضايا دعائية معينة ، حيث تشرف وزارة الخارجية على تقديم المتعة الجنسية للضيوف الأجانب ، وهي متعة يشوبها إقناع الداعرات اليهوديات لضيوفهن بالدعايات الإسرائيلية من جهة ، والحصول منهم على معلومات من جهة أخرى . وقد خصصت وزارة الخارجية فريقاً من أجل النساء يعرف باسم «فريق الحب» مهمته تقديم المتعة الرخيصة للضيوف الأجانب ، وهو فريق محترف ومدرب تدريباً جيداً بحيث يستطيع تجاذب الحوار السياسى فى وسط الفاصل المستمر من القبلات ، وبحيث يمكن له تسريب الدعاية إلى الزائر .

٥ — تخليد الصداقات : من خلال تسمية أسماء الشوارع بأسماء شخصيات غير يهودية قدمت خدمات لإسرائيل أو منح الميداليات للذين ساعدوا إسرائيل .

٦ — ترجمة الأعمال الأدبية : لبعض زعماء ومشاهير العالم .

٧ — استغلال السياحة والسياح كمدخل للمقولات الإعلامية الدعائية وذلك :

— باعتبارها (الأرض المقدسة) وخلق الارتباط بأن وجود الأرض المقدسة مرتبط بوجود دولة إسرائيل .

— بالتركيز على الدعاية السياحية فى الكيوترات (قرى العمل الجامعى) .

— بتشجيع السياح الشباب والكبار عملاً بمبدأ التركيز على من هم لهم نفوذ أو ينتظر لهم ذلك فى بلادهم .

• ومن وسائل الدعاية الإسرائيلية المستخدمة خارج إسرائيل نذكر :

١ — فريق الحب التابع للموساد : حيث اهتم جهاز الاستخبارات الإسرائيلى بنشر فريق حب آخر فى مختلف أصقاع أوروبا والولايات المتحدة وبالذات فى مدينة نيويورك ، ليقدم خدماته الجنسية الممزوجة بالرغبة فى استمالة المخدم من مندوبى الدول المختلفة فى الهيئات الدبلوماسية ليستمر فى تأييده لإسرائيل داخل الأنفاق السياسية ودهاليز هيئة الأمم المتحدة وكواليسها .

٢ — توجيه الدعوات إلى نجوم السينما العالمية أو مشاهير كرة القدم لزيارة الكيان الإسرائيلي ، مع استغلال كل حرف تنبث به شفاة هذه النجوم لصالح إسرائيل وإبرازه إعلامياً .

٣ — تصدير الخبراء العسكريين .. إلى الدول التي تحتاج إلى الخبرة العسكرية وخاصة الدول الأفريقية ودول أمريكا اللاتينية .

٤ — عرض الإنتاج الثقافي والفني الإسرائيلي بإرسال فرق فنية وتنظيم المعارض وفتح المعاهد للثقافة اليهودية .

٥ — إدعاء الدفاع عن حقوق الإنسان كلما أمكن ذلك ودون أن يمس ذلك علاقاتها مع الدول الاستعمارية .

٦ — الاتصالات الإسرائيلية الشخصية في الخارج ، ويتم من خلال الزائرين الإسرائيليين بالبلد المعنى ، ولا يتم هذا عن طريق البعثات الدبلوماسية حتى لا يثير الشبهات السياسية .

٧ — استغلال الكوارث الدولية : ففي فترات المجاعة والكوارث الطبيعية تفتعل إسرائيل مواقف الحريص على أداء المحاملات الدولية لتجميل صورتها البشعة ، ويتم ذلك عن طريق المؤسسات الحكومية وغير الحكومية وإرسال المعونات « العينية » والمتطوعين لترك الانطباع عن مدى (المشاركة الشعبية الإسرائيلية التلقائية !) .

ولكن لمن يوجه الإعلام الإسرائيلي ؟ ولمن يوجه دعاياته ؟

الإجابة عن مثل هذا السؤال تقتضى أن نعلم أن الإعلام يعاني من حالة « بارانونيا دعائية » بمعنى أنه مزدوج الدعاية ويتحدث في ذات الموضوع بوجهين إن لم يكن أكثر . فهو يوجه دعاياته إلى أكثر من طرف بطريقة مختلفة وفي مسألة الهجرة لدينا أربعة أو خمسة وجوه من الدعايات الإسرائيلية :

الوجه الأول : يظهر للإسرائيليين أنفسهم وهو وجه صديق وبه يتم تصبيرهم على بلواهم !

والوجه الثاني : يظهر لليهود المقيمين خارج إسرائيل وبه يدعوهم إلى الهجرة إلى الجنة الموعودة !

والوجه الثالث : يظهر للأمين (غير اليهود) المقيمين في أوروبا الغربية وأمريكا يحثهم على الضغط على الاتحاد السوفيتي للسماح لليهود بالهجرة !

والوجه الرابع : يظهر للأمين (غير اليهود) المقيمين في الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية ويطلبهم فيه بمزيد من الحريات السياسية لليهود ويحذرهم من مخاطر استمرار تواجدهم في تلك الدول !

والوجه الخامس : يظهر للأمين (العرب) وهو وجه عدواني شرس يتم من خلاله بث الدعايات عن حق اليهود في الهجرة إلى أرض الميعاد ووطنهم التاريخي وعن حقهم في نقاء جنسهم على أرضهم الموعودة !

وهذا ويركز المخطط الدعائي الإسرائيلي في الوقت الحاضر في عدة اتجاهات يراد بها دعم صورة إسرائيل في الرأي العام العالمي كما رسمتها إسرائيل لنفسها وهذه الاتجاهات هي :

١ - إسرائيل حقيقة تاريخية لها حق الوجود في أرض إسرائيل بما لها من حق تاريخي في أرضها ولكونها دولة قائمة لها حق البقاء !

٢ - شخصية دولية عالمية تفنى في وجودها القومية النسبية لترتفع إلى مستوى الحقيقة الفكرية معبرة بهذا عن وجود يرفض التقيد بأي زمان أو مكان !

٣ - قطعة من العالم الغربي ، منطلقها ، حياتها ، ظروف معيشتها ، أبنائها ، أو كما يؤكد الكاتب الفرنسي « بليزيه » الصهيونية هم غربيون !

٤ - دولة لا غنى عنها بالنسبة للعالم الغربي ، حيث أنها خادم الغرب المطيع ، وضرورة لحفظ الحضارة الغربية من الخطر العربي والوحشية العربية حيث أنها - أي إسرائيل - الامتداد الطبيعي للحضارة الغربية !

- دولة ديمقراطية ذات طبيعة تكنولوجية وسط دول ديكتاتورية وعرب متخلفين لا ييغون سوى إلقائها في البحر !

— دولة محبة للسلام وتتوق إليه . لكن البحر العربى المحيط بها يجعلها مضطرة لحمل السلاح وفى وضع استعداد دائم لدرء العدوان العربى !
وكل تلك مقولات تحمل طابع الأسطورة السياسية ، وسينجد القارىء رداً مفصلاً عنها فى الفصول القادمة .

أما الدعاية اليهودية فهى الريبب الأول للدعاية الإسرائيلية ، غير أن الابن (الدعاية الإسرائيلية) أصبح فى الوقت الحاضر ، هو « العائل » للأب (الدعاية اليهودية) وهو الموجه له ، بعد أن كان الأب وطوال عشرات القرون يوجه نفسه بنفسه .

وتاريخ الدعاية اليهودية يعود إلى أيام « عزرا » فى القرن السادس قبل الميلاد . وعزرا هذا هو « النبى اليهودى » !! الذى أعاد كتابة التوراة بعد أن كانت مفقودة ، أو بالمعنى الأدق أعاد تأليف التوراة الحالية من مخيلته قدس فيها الكثير من الأساطير والدعايات الموجهة ضد الشعوب المجاورة له من جهة ، والداعية إلى حقوق يهودية فى أراضى تلك الشعوب من جهة أخرى ، وعلى هذا يعتبر « عزرا » هو مؤسس الدعايات اليهودية الأول ، وهو مزيف اليهود الأول ، فى حين يعتبر مؤلفو الأسفار التى تم تدوينها بعد عهد عزرا تلاميذ له . بينما يعتبر مدونو التلمود هم الرواد الأول للدعاة اليهود حيث ضمنوا تلمودهم الكثير والكثير من الدعايات الموجهة التى تهدف إلى خدمة أغراض اليهود المادية والمعنوية ، والانتقام من أصحاب الديانات الأخرى وذلك بالدس لهم عند الحكام أو بالسعى لتصفيتهم فرادى ، وكما هى عادة اليهود حتى اليوم كانت محاولاتهم عبر التاريخ فى إفناء أعدائهم وخصومهم هى دليلهم الذى تطبقه الآن عصابة « الموساد » باغتيال خصومها .

التلمود كتاب ضخم يضم ألوف الصفحات التى تحدث اليهود فى كل مكان عن الذى يأكلونه ويشربونه ويفعلونه مع القريب ومع الغريب ، وعن التجارة والسرقة والنهب والسلب وعن الزواج والقتل وعن الحرب وعن الأسرى وعن غير هذا كثير . ومن هذا الكثير نختار هذه الباقية الخطرة من النصوص التلمودية التى تخبر عن فحوى آلاف الصفحات التى يضمها هذا

الكتاب الذى اتخذته الدعاة اليهود مرجعا لهم :

- المحارجون على دين اليهود خنازير نجسة ، وقد خلق الله الأجنى على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم .
- يحق لليهودى أن يغش غير اليهودى . ولا بأس من إدعاء محبة غير اليهودى إذا خاف اليهودى من أذاه !

- السرقة من غير اليهودى تعتبر استرداداً لمال اليهودى ، فأموال غير اليهود مباحة لكل اليهود !

- قتل الشخص الصالح من غير اليهود ، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً غير اليهود من هلاك أو أن يخرج من حفرة وقع فيها ، بل عليه أن يسدها بحجر !
- الفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودى وباقي الشعوب ، إذ تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من والده ، وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات !

وقد تلى رواد التلمود مفكرون يهود أحسنوا استغلال مواهبهم الشخصية فى الدعاية ضد المسيحية من جهة وضد باقى الأديان من جهة أخرى، الأمر الذى انعكس على أحوال اليهود فى أوروبا المسيحية فتعرضوا للتنكيل والقهر من قِبل الكنيسة الكاثوليكية . بينما سارت أمورهم فى العالم الإسلامى على خير ما يرام ، وذلك لا بسبب سلوكهم الجيد — الذى لم يظهر فى أى مناسبة — ولكن بسبب حسن وسماحة الدين الإسلامى .

وما أن زالت سلطة الكنيسة المسيحية حتى قفزت الدعايات اليهودية مستغلة الاضطهادات التى تعرضوا لها فمخرعة أسطورة العداء اليهودية ومتهمة كل من يحاول أن يوجه النقد لهم بأنه معاد لليهودية فى حين حاولت هذه الدعايات التوجه إلى اليهود عازفة لهم على عدة أوتار أخرى منها :

- تأكيد نزعة الخوف وعدم الثقة فى الآخرين لدى اليهود وذلك لإجبارهم على البقاء فى أحياء الجيتو لتدعيم الجو الانطوائى من جهة والمحافظة على تماسكهم كأقلية من جهة ثانية .

• إيقاظ مركب العظمة بسبب شعورهم بأنهم متمون إلى الشعب المختار ، الشعب الذى اختار الرب ، لا الذى اختاره الرب ! وهى حالة منفردة فى التاريخ لأنهم لو لم يختاروه لظل هذا الرب حائراً لا يجد من الأتباع من يعبد (١) .

• إيقاظ العنصرية اليهودية فى اليهود وأفهامهم أنهم شعب نقى الجنس لم تندس بينه أجناس أخرى من تلك التى تشبه البهائم .

• إيهام اليهود بأن فلسطين هى أرض الميعاد التى يجب أن تتوجه لها كل أنظار اليهود تمهيداً للعودة لها ، وبأن لهم حقوقاً تاريخية فى أرضها قلباً وقالباً .

ومع حلول القرن التاسع عشر ، قرن الامبراطوريات الاستعمارية العظمى تبلورت لدى قادة اليهود الوسائل التى سيتم بها تحقيق رغباتهم لتتحول من القصص الأسطورية إلى الواقع التاريخى وهى وسائل استمدوا أساسياتها من تلمودهم . ولعل أهمها :

١ — الكذب المتكرر والمعاد برتابة دورية .

٢ — الإغراء المادى .

٣ — الضغط النفسى والمعنوى .

٤ — إعمال الخدس والتخمين والتنسيق بين النتائج للحصول على التوقعات التى سيسلكها أعداؤهم وأصدقاءهم لتفادى الأضرار من جهة والحصول على المنكاسب من جهة أخرى .

٥ — شراء الأقلام الإعلامية وذلك بالإغراء المادى باستخدام الذهب تمهيداً للاستيلاء على المؤسسات الصحفية .

٦ — التقدم العلمى اليهودى والتقدم السياسى تمهيداً للوصول إلى أرباب السلطة .

٧ — استخدام السلاح ضد من يقف فى وجه هذه العنصرية أو يحمى نفسه من خطرها .

٨ — التجسس على الأعداء والأصدقاء للوقوف على آخر التطورات

واستغلالها لصالحهم .

وقد تبلورت كل هذه المبادئ أو الوسائل في كتاب ضخيم وضعه لهم أحد خبثائهم ، وهو الكتاب المعروف الآن بـ « بروتوكولات حكماء صهيون »^(١) وكان الأجدر أن يسمى « بروتوكولات خبثاء صهيون » لأن ما به يدل على خبث لا تصل إليه حتى الأبالسة .. وإليك هذه الباقية الأخرى « الخطرة » من البروتوكولات التي تستهدف تحقيق السيطرة الكاملة على العالم :

• إن أروع النتائج التي يمكن الحصول عليها في سبيل حكم العالم تتحقق باستخدام العنف والتهديد والإرهاب . وليس بالمناقشات الأكاديمية . والسياسة لا تتفق بشيء مع الأخلاق . إن الملك الذي يخضع لقواعد الأخلاق ليس بسياسي ماهر . فإن الذي يريد أن يحكم يجب أن يلجأ إلى الحيلة والنفاق .

يجب أن يكون شعارنا : كل وسائل العنف والخديعة .

إن القوة المحصنة هي المنتصرة في السياسة وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدولة .. يجب أن يكون العنف هو الأساس . (بروتوكول رقم (١)) .

• إن نصرنا يرجع الى أننا كنا دائماً نركز جهودنا فيما يمكن أن يؤثر على العقل البشري مستغلين مواطن الضعف في ضحايانا أمام إغراء المال والنساء وجشع الإنسان وأطماعه .. إن الصحافة التي في أيدي الحكومات القائمة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس . فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين وتولد الضجر أحيانا بين الغوغاء ، إن تحقيق حرية الكلام قد ولد في الصحافة . غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستخدم هذه القوة بالطريقة الصحيحة فسقطت في أيدينا . ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً ، وبقينا من وراء الستار . وبفضل الصحافة كدسنا الذهب ولو كلفنا ذلك أنهاراً من الدم ، فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من

(١) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة محمد حليفة التونسي . منشورات المركز الإسلامي للطباعة والنشر — القاهرة — ب ت .

جانبنا تعادل آلافاً من الأميين (غير اليهود) . « أمام الله » (البرتوكول الثاني • لنعد إلى مستقبل النشر ، كل إنسان يرغب في أن يصير ناشراً أو كاتباً أو طابعاً ، سيكون مضطراً الى الحصول على شهادة ورخصة ستسحبان منه إذا وقعت منه مخالفة .. إن الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين ، ولهذا السبب ستشتري حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات . وبهذه الطريقة نعطل التأثير (السيئ) المضاد لكل صحيفة مستقلة ونظفر بسلطان كبير على العقل الإنساني ، (البرتوكول رقم ١٢) .

• حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض ، فلن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، ولهذا السبب يجب علينا أن نخطم كل عقائد الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى إثمارة ملحدين . فلن يدخل هذا فى موضوعنا . ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا بعقيدته الصارمة (بروتوكول رقم ١٤) .

• سنغير الجامعات ونغير إنشاءها حسب خططنا الخاصة . وسيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً ، وسيتم برنامج عمل سرى متقن . سيهذبون ويشكلون بحسبه ، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب ، وسيرشحون بعناية بالغة (بروتوكول رقم ١٦) وقد شرع اليهود بقيادة « زفى هيرش كاليشير » و« مودس هيس » و« ليونسكر » و« آشر غينميرج » ثم « تيودور هيرتزل » بعد ذلك فى تطبيق هذه المبادئ الحبيثة بكفاءة منقطعة النظير ، فتكونت كثير من الجمعيات والمنظمات التى تولت التخطيط ورسم الطريق أمام اليهود لتحقيق الأهداف التى وضعها « خبثاء صهيون » . « ولم تبق خططهم سرية ، فهناك نص لخطبة ألقاها الحاخام « Rerichorn فى اجتماع سرى وأعدده اليهود على قبر قديسهم سيمون بن يهوذا فى مدينة براج سنة ١٨٦٩ • ونشرت الوثيقة مجلة Contemporain فى عددها بتاريخ أول يوليو ١٨٨٠ من قبل السير جون روكليف ، وفى نصها هذه الفقرة التى تدل دلالة دامغة على الارتباط المخططات الصهيونية بالدعاية .
! • إذا كان الذهب هو القوة الأولى فإن الصحافة هى القوة الثانية التى لا تعمل

من غير الأولى ، فعلينا بواسطة الذهب أن نستولى على الصحافة ونبدل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة ، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهزين إلى تحطيم الحياة العائلية والأخلاق والدين والفضائل^(١) .

ولاشك أن الفقرة تدل على مدى « الوعي الدعائي » الذي تمتع به اليهود من جهة ومدى استغلالهم للأدوات الدعائية التي خضعت فيما بعد لأهوائهم ، فبعد عشرين عاماً فقط من تاريخ الاجتماع على قبر القديس سيمون — الملعون — ذكرت صحيفة **The Graphie** اللندنية في عددها بتاريخ ٢ يوليو ١٩٨٩ ما معناه .

إن الصحافة في القارة [الأوروبية] واقعة إلى حد كبير تحت سيطرة اليهود . وفي نفس الوقت استطاع بعض اليهود عن طريق المال الحصول على مناطق نفوذ وسلطة داخل بعض الحكومات . وعن طريق المال أيضاً كان البارون اليهودي — الأخطبوط — روتشيلد ، وهو واحد من أغنى أغنياء زمانه ، قد مول إنشاء مزرعة جماعية لليهود في فلسطين بعد عشر سنوات من الاجتماع عند قبر القديس سيمون ، وقد أسس اليهود هذه المزرعة قرب القدس وعرفت فيما بعد باسم « تباح تكفا » ، أى عتبة الأمل . وقد ظل هذا البارون . والوسيط بين اليهود والرأسمالية الاستعمارية ، خلال خمسين سنة بعد ذلك يدفع لهذه الهجرة ، فوظف لحركة الاستيطان الاستعمارية والاستثمارية (حتى موته سنة ١٩٣٤) ما مقداره ١٥٠ مليوناً من الفرنكات الذهبية .

وكان اليهود بعد نحو ١٣ سنة من اجتماع قبر القديس سيمون ، قد أسسوا واحدة من أهم جمعيات اليهود ، وهى جمعية « أحباء صهيون » أو « البيلون » . وكانت هذه الجمعية هى النواة الأولى لتكوين دولة إسرائيل . حيث أرسلت الجمعية عام ١٨٨٢ ، ثلاثة عشر رجلاً وامرأة واحدة نزلوا إلى فلسطين وبالتحديد فى ميناء حيفا حيث أسسوا أول مستعمرة زراعية أجنبية فى فلسطين ، سميت باسم « ريشيون ليتسيون » أى الأول فى صهيون . وقد تحول هذا الأول فيما بعد إلى دولة كاملة وتحول الأربعة عشر مهاجراً إلى أربعة ملايين مستعمر .

وتكمن خطورة جمعية أحباء صهيون فى أنها تحولت بالدعاية اليهودية من الدعوة إلى وطن روحى لليهود الى تحقيق وطن فعلى لهم على أرض فلسطين .. وبعد

(١) فن الدعاية والمخطط الصهيونى ، مرجع سابق ص ٩٣ - ٩٤ .

جميعه احباء صهيون تأتى في مرتبة « الخطورة » . « اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية » التى أنشئت بعد عقد أول اجتماع للصهاينة فى مؤتمر « بال » بسويسرا عام ١٨٩٧ .. وقد اشتملت اللجنة التنفيذية الصهيونية العالمية على ٢٣ دائرة ، كل دائرة تشتمل على عدة دوائر فرعية أخرى . ومن الدوائر الرئيسية نذكر . دائرة المالية ، دائرة الدعاية ، دائرة المهاجرة ، الدائرة الفنية ، الدائرة الزراعية ، دائرة المستعمرات ، دائرة المستعمرات الخاصة والشركات ، دائرة الشباب والتربية ، دائرة الثقافة ، دائرة الإدارة العامة ، دائرة المحفوظات الصهيونية وغيرها ..

وقد أنيط بدائرة الدعاية بث الدعايات واختراع الأساطير وتلفيق الأكاذيب من أجل خدمة أهداف الصهيونية ، فى حين أنيط بدائرة الثقافة بث هذه الأساطير فى نفوس اليهود ، وتنحية أحاسيسهم الوطنية . بينما أنيط بدائرة المستعمرات وإنشاء الشركات العالمية لاستعمار فلسطين ، ومنها الشركة اليهودية الاستعمارية — هكذا كان اسمها فى عصر الاستعمار الذهبى — برأس مال قدره مليونان من الجنيهات . وقد تفرع عن هذه الشركة عديد من الفروع ، منها : « الوكالة اليهودية لشراء الأراضى فى فلسطين » . كما أنشأت فيما بعد عدداً من الصناديق لجمع التبرعات ، منها : الصندوق القومى اليهودى المعروف « بالكيرن كايتم » ، والصندوق اليهودى المتحد المعروف « بالكيرن هايسود » كما أنشأت الهيئة الدينية اليهودية الرئيسية التى أشرفت على شئون اليهود الدينية فى العالم بأجمعه ، كما كانت لكل هذه الهيئات والصناديق واللجان السابق الحديث عنها ، فروع منتشرة فى كافة أنحاء المعمورة ، ساعدت على تحويل الأفكار والآراء اليهودية الصهيونية ، والأساطير اليهودية من مجرد الفكرة إلى الواقع المأساوى الذى تعيشه فلسطين الآن حيث تحولت العصاة اليهودية إلى دولة اسرائيل ، التى قامت على عدد من الأساطير والأكاذيب الدعائية ، بدءاً من أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ومروراً بأسطورة إعدام ستة ملايين يهودى فى أفران الغاز ، وهى الأسطورة التى فندنا أكاذيبها فى كتابنا « الأكاذوبة الكبرى » ، ووصولاً إلى الأساطير التى اخترعتها إسرائيل فى حربها مع العرب

عام ١٩٤٨ وفي حروبها التالية مع العرب ، فبعد إنشاء إسرائيل ظهرت مجموعة كبيرة من الأساطير التي حيكها الإعلام اليهودي والصهيوني بمهارة فائقة ، وأدخل نسيجها في نسيج أساطير أخرى قديمة ، وأعاد لُحمة أساطير قديمة بوقائع حديثة استغلت كل الأحداث السياسية والتاريخية والحربية بين إسرائيل والعرب في تشويه صورة العرب من جهة وإظهار إسرائيل بصورة الجزيرة المحاطة ببحر من الأعداء .

ولعل إلقاء نظرة ثاقبة على تاريخ الدعاية اليهودية والإسرائيلية يتضح لنا منها أنه مر بعدة مراحل ، أهمها :

— مرحلة الدعاية الدينية المفرضة والمركزة على تأليف نصوص التوراة . وهي المرحلة التي بدأها عزرا ، وانتهت بانتهاء تدوين نصوص التوراة في القرن الأول الميلاد .

— مرحلة الدعاية التأويلية المفرضة المركزة على تفسير نصوص التوراة داخل التلمود ، وتطويرها لخدمة اليهود وهم في عصر الشتات حيث انتشر اليهود في كافة أقطار الأرض ، وعاشوا عصر الجيتو الاختياري .

— مرحلة الدعاية اليهودية «الحديثة الأولى» التي بدأها خبثاء أو حكماء صهيون ، فوضعوا اللبنة الأولى لصرح الدعاية الصهيونية الحديثة .

— مرحلة الدعاية التطبيقية التي أعقبت مؤتمر «بال» وفيها تم بنجاح تطبيق سياسة نشر الدعايات بين أوساط اليهود من جهة لدفعهم إلى الهجرة إلى فلسطين ، وبين الأغيار (غير اليهود) عن جهة أخرى لدفعهم لخدمة الوجود اليهودي في فلسطين ، وقد تمخضت هذه المرحلة عن وعد بلفور المشعوم .

— مرحلة الدعاية اليهودية — الإسرائيلية ، وهي تلك الدعاية التي شرعت العصابة اليهودية بعد أن تكونت إسرائيل في نشرها ضد العرب المحيطين بإسرائيل ، وفيها اعتمدت الدعاية اليهودية على الدعاية الإسرائيلية . ويمكن تمييز هذه المرحلة بعدة مراحل من الدعايات :

— الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٤٨ .

- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٦٧ .
- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب ١٩٧٣ .
- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد معاهدة السلام مع مصر عام ١٩٧٨ .
- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد حرب لبنان ١٩٨٢ .
- الدعايات الإسرائيلية إبان وبعد الانتفاضة الفلسطينية في أواخر ١٩٨٧ .
- الدعايات الإسرائيلية إبان قبل وبعد حرب الخليج ١٩٩١ .
- مرحلة الدعايات الإسرائيلية الحالية والتي فرضها ، الضغط الدولي على إسرائيل لحضور المؤتمر الدولي للسلام وهي مرحلة تعتمد قبل كل شيء على «إنسانية» توطين اليهود السوفيت في الأراضي المحتلة !! وتهدف إلى :
- ضمان استمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين تبريراً لوجودها من ناحية على اعتبار أنها دولة قائمة ، ولضمان غلبة العنصر اليهودي — الديموجرافي — على الوجود العربي الفلسطيني في إسرائيل .
- تطوير إسرائيل بحيث تصبح الدولة الكبرى في المنطقة وذلك بزيادة وتحديث ترسانتها العسكرية وتنمية اقتصادياتها .
- توسيع نطاق الدولة الإسرائيلية لاستيعاب حركة الهجرة المتزايدة إليها ، وتحقيق الحلم الإسرائيلي في دولة تمتد من النيل إلى الفرات ، وفي هذا الصدد أغلقت الخطوط الخضراء بين إسرائيل ما قبل وما بعد حرب ١٩٤٨ .
- فرض الوجود الإسرائيلي على الدول العربية ، بأسلوب الأمر الواقع ، وبجيازة الردع النووي الذي يهدد المنطقة العربية بأكملها .
- الفصل بين عملية توطين اليهود السوفيت في الأراضي المحتلة باعتباره «مسألة إنسانية» ! وبين إعادة الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة إلى العرب باعتبارها «قضية سياسية» !! .
- التضخيم من القدرات العربية لإمتلاك قنابل نووية أو أسلحة غير تقليدية

كالأسلحة البيولوجية أو الكيماوية ومطالبة العالم بمراقبة هذه القدرات حتى بعد نزع أنياب العراق النووية وتقليم أظافر أسلحتها الكيماوية مع الفصل بين امتلاكها هي كدولة حضارية لهذه الأسلحة وامتلاك العرب الذين لا يؤمن لهم جانب لها ! □ التركيز على أهمية الاعتبارات الأمنية لإسرائيل ، واعتبار أن مبدأ « الأرض مقابل السلام » لا يخدم أمن إسرائيل ، ويعتبر أول تطبيق له في التاريخ !!

أما أهم وسائل وأدوات الدعاية اليهودية في الوقت الحاضر فهي :

(١) الصحافة :

وليس سراً أن اليهود عامة يسيطرون سيطرة كبيرة على معظم دور الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا . وتم هذه السيطرة من خلال عدة طرق :

- سيطرة يهودية قمة ، بامتلاك الدار الصحفية .
- سيطرة يهودية مباشرة ، من خلال رئيس التحرير اليهودي للصحيفة .
- سيطرة يهودية صحفية من خلال محرري ومراسلي الصحيفة الإسرائيليين .
- سيطرة إعلانية يهودية من خلال شراء المساحات الإعلانية للصحيفة ، لاستغلالها دعائياً من جهة ، ولإجبار دار النشر على مراعاة « خاطر » المعلنين اليهود فيما ينشر بالصحيفة من أخبار وتعليقات ومقالات .
- سيطرة جماهيرية يهودية ، من خلال كثافة عدد القراء الذين يشترون الصحيفة ويناقشون مقالاتها ، فيحتجون على ما هو ضد رغباتهم ويستحسنون ما هو لصالحهم . وتجدر الإشارة هنا إلى أن اليهود بحكم طبيعتهم التجارية يتركزون في المدن الرئيسية الكبرى كنيويورك ولوس أنجلوس وبالتالى فهم يشكلون — بسبب ارتفاع نسبة التعليم ، وبسبب تعليمات المنظمات الصهيونية لهم — الأكثرية من القراء للصحف في المدن التي ترتفع فيها نسبة أعدادهم .

وفيما يخص النوع الأول من وسائل السيطرة على الصحف ، يوجد نوعان من

وسائل السيطرة اليهودية القمّة : النوع الأول يعلم القارئ أنها صحيفة يهودية ، باعتبار أن الصحيفة تعبر صراحة عن رأى لجنة أو منظمة أو رابطة أو هيئة أو جماعة يهودية ، وقد أورد الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى لعام ١٩٧٣ قائمة بأسماء ١٦١ صحيفة ومجلة تصدر بالولايات المتحدة كدورية يهودية^(١) . والنوع الثانى لا يعلم القارئ أنه يعبر عن رأى اليهود مالكى الصحيفة ، حيث لا يكتب على الصحيفة أى إشارة تدل على ديانة صاحبها أو مؤسسها إلا إذا كان القارئ فطناً بحيث يعلم أن اسم مالكتها «يهودى» الطابع أو من سعة الاطلاع بحيث يعلم شخصية المالك ويدرك مذهبه الدينى أو الفكرى .

ويضيق بنا المقام لحصر الصحف التى تخضع للنفوذ اليهودى ، ولكن نشير إلى أسماء بعض هذه الصحف بالولايات المتحدة وبريطانيا ومن أشهرها :

مجموعة صحف الميرور — صحيفة الدبلى نيوز — صحيفة نيوز أوف دى ورلد — صحيفة النيويورك تايمز — صحيفة النيويورك بوست — صحيفة الواشنطن بوست — صحيفة الصن تايم — صحيفة الأوبزرفير — صحيفة بوربيان — صحيفة بزنس ويك .

مجلة النيوزيك — مجلة تايم — مجلة ويك اند — مجلة ايفنج ستاندرز .
وغيرهم .

(٢) وكالات الأنباء :

وهى إحدى الوسائل الهامة التى تستخدمها الصحافة اليهودية ، بل أكثر خطورة حيث تذيع هذه الوكالات أنباءها وتحليلاتها الإخبارية بالقمر الصناعى لمعظم دول العالم . ومن أهم الوكالات المملوكة لليهود نذكر وكالة «رويتير» للأنباء . وهى أشهر وكالة للأنباء على مستوى العالم ومؤسسها هو اليهودى جولياس رويتر المولود عام ١٨١٦م^(٢) . كما نذكر أيضاً وكالة الأنباء اليهودية : «البرق اليهودية»

(١) مجدى نصيف : الصهيونية فى الولايات المتحدة — منشورات العربى للتوزيع والنشر — القاهرة ١٩٧٨

ص ٨٩ — ٩١ .
(٢) فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعى : النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية — والمؤسسات الدولية —

سلسلة فضائح إسلامية مطبعة الفيصل الكويت ١٩٨٦ — ص ٢٣ .

ومقرها نيويورك .

(٣) التلفزيون :

ومن المعروف أن اليهود يسيطرون سيطرة مباشرة على أشهر ثلاث شبكات تلفزيونية بالولايات المتحدة وهى :

شبكة A.B.C ورئيسها اليهودى ليونارد جولدنسون (يهودى) .

شبكة C.B.S ومالكها وليام بيلي (يهودى) .

شبكة N.B.C ومالكها إلفرد سلفرمان (يهودى) .

وفى بريطانيا يسيطر اللورد «لوغريد» على إنتاج شركة (A.T.V) للإنتاج التلفزيونى . وهى واحدة من أهم شركات الإنتاج التلفزيونى . إضافة إلى ذلك فإن الامبراطور الصحفى اليهودى — روبرت ميردوخ يمتلك نحو عشرين محطة تلفزيونية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومؤسسة تجارة البث التلفزيونى بالقمر الصناعى فى بريطانيا فضلاً عن امتلاكه عشرات الصحف^(٥) .

(٤) دور النشر :

وتوجد معظم دور النشر الكبرى فى الولايات المتحدة فى مدينة نيويورك ويمتلك اليهود معظمها بل الأغلبية الساحقة منها . وقد أصبح معروفاً فى العالم الغربى أن كل من يكتب كتاباً مناوئاً لإسرائيل أو الصهيونية يجد صعوبة فى نشره .

ومن أشهر دور النشر الخاضعة لليهود بالولايات المتحدة دار نشر Herker &

Row ، وسيمون أند شوستر ، وريدرد ديجست .

* لم نعمل كثيراً على أسماء الصحف والشبكات التلفزيونية التى يمتلكها روبرت ميردوخ الذى تسيطر شركته على ١٥٠ جريدة و ٥٠ مجلة و ٢٠ محطة تلفزيونية . وعدة دور نشر الكتب وشركة أفلام ، بسبب تردد أنباء عن أنه غير يهودى ، وأن السبب فى وصفه باليهودى هو اسمه «ميردوخ» ذو الصبغة اليهودية . فى حين أشارت صحيفة المساء إلى يهوديته صراحة (عدد ١٨ ابريل ١٩٨٧) فقال : البلدوزر اليهودى يغزو أمريكا . وأشارت مجلة آفاق عربية العراقية (العدد ٦ لسنة ١٥ — يونيو ١٩٩٠) إلى صهيونيته فقط « مقال امبراطور الصحافة الصهيونى روبرت ميردوخ » (ص ١٤٨) .

(٥) السينما :

وهى وسيلة ركز اليهود عليها كثيراً ومنذ مدة طويلة ، حيث يسيطر اليهود سيطرة شبه تامة على شركات الانتاج السينمائي :

وفشركة فوكس كان يمتلكها ويليام فوكس ، وقد اشتراها منه ميردوخ .

وشركة جولدوين يمتلكها اليهودى صاموئيل جولدوين .

وشركة مترو يمتلكها اليهودى لويس ماير

وشركة إخوان وارنر يمتلكها اليهودى هارنس وارنر وإخوته .

وشركة برامونت يمتلكها اليهودى هود كنسون .

وتشير الاحصائيات إلى أن أكثر من ٩٠٪ من مجموع العاملين فى الحقل السينمائي الأمريكى إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً هم من اليهود^(١) . ولا تقتصر السيطرة على صناعة السينما فقط ولكن تمتد لتسيطر على وسائل نشر هذه الصناعة ، فنجد فى بريطانيا أن اللورد اليهودى «لفونت» يمتلك ٢٨٠ داراً للسينما ويقوم بنفسه بمشاهدة أى فيلم قبل عرضه ، وقد منع عرض فيلم عن «هتلر» من تمثيل إريك غينيس المؤيد للصهيونية بحجة أن الفيلم لم يكن عنيفاً ضد هتلر بالشكل الذى يرضيه!^(٢) .

(١) المرجع السابق ص ٣٦ .

تقول مجلة الاكسبريس عدد رقم ٨٦٨ ص ٧٥ ، أنه يوجد بهوليوود قرابة ٨٠٪ من النجوم والمنتجين من أصل يهودى . ولعل أبلغ ما قيل فى وصف السيطرة الصهيونية على صناعة السينما الأمريكية ما ورد فى مقال نشرته صحيفة «الأخبار المسيحية الحرة» عام ١٩٣٨ قالت فيه :

إن صناعة السينما فى أمريكا هى يهودية بأكملها ، ويتحكم اليهود فيها دون أن ينازعهم فى ذلك أحد . ويطردون منها كل من لا ينتمى إليهم أو لا يصانهم . وجميع العاملين فيها أما من اليهود أو من صنائعهم . لقد أصبحت هوليوود بسببهم هى سدوم العصر الحديث ، حيث تنتحر الفضيلة وتنتشر الزّذيلة ، وتستترخص الأغراض وتهب الأموال دون رادع أو وازع . وهم يرغمون كل من يعمل لديهم على تعميم نشر مخططاتهم الإجرامى تحت شعارات خادعة كاذبة .. أوقفوا الصناعة المجرمة لأنها أصبحت أعظم سلاح يملكه اليهود لنشر دعايتهم المضللة الفاسدة » .

(٢) المرجع السابق ص ٤١ .

٦ - المسرح :

حيث يسيطر اليهود على سر أقدم المسارح الإنجليزية الشهيرة ومنها المسرح الملكي الذى يملكه اللورد اليهودى «لوجريد» والذى يمتلك شركة مسارح أخرى اسمها شركة «بيزمانزا اندناتان ليمتد» كما يمتلك مسرح «دورى لين» ومسرح لندن بوليديوم ، ومسرح فيكتوريا بالاس ، ومسرح أبوللو ، ومسرح ذى ليريك ، ومسرح ذى جلوب ، ومسرح «ذى لندن كوليزيوم» ومسرح ذى لندن هيبوروم^(١) .

وقد عمد اليهود إلى السيطرة على المسارح لمنع عرض أى مسرحية تسيء إليهم — كمسرحية المندوب التى تكشف عن تواطىء الحركة الصهيونية مع النازية لقتل الآلاف من يهود المجر ، بل ولعرض وبث الدعايات السافرة لليهود ضد العرب والمسلمين .

٧ - لجان التحكيم والنقد :

حيث عمد اليهود إلى السيطرة على أشهر لجان الجوائز الأدبية والسينائية وعلى أدوات النقد الأدبى بغرض منح الجوائز لليهود أو للمسيحيين المؤيدين لليهود . وفى هذا نذكر سيطرة اليهود والصهيونية على جائزة نوبل للأدب والسلام حيث منحت الأخيرة لأعظم إرهابى فى التاريخ «مناحم بيجين» رئيس وزراء اسرائيل السابق — وحيث منحت الأولى لعشرات الأدباء اليهود وآخرهم عن عام ١٩٩١ الروائية لجنوب افريقية «نادين جوددير» وهى يهودية من أسرة يهودية .

أما بخصوص النقد ، فحيثما تصدر الكتب يوجد النقد . والنقاد اليهود فى أمريكا — كما يقول «روجر كان» يتزايدون ويناسلون بمتهى الحرية إلى الدرجة التى جعلت أحد الكتاب الأمريكين يقول متهمكاً :

«إن المؤلفين والروائيين اليهود يحققون الثروات الطائلة بسبب مدح النقاد

اليهود»^(٢) .

(١) المرجع السابق ص ٥٨ .

(٢) أنيس منصور الحائط والدموع .. منشورات دار الشروق القاهرة ١٩٧٧ — ص ١٩٧ .

قائمة بأسماء الفنانين والفنانات اليهود في السينما العالمية

- | | |
|----------------------|-----------------------|
| ١ - بوب هوب | ١٢ - جين فوندا |
| ٢ - بول نيومان | ١٣ - رومي شنيدر |
| ٣ - كيرك دوجلاس | ١٤ - بروك شيلدز |
| ٤ - لورانس أوليفيه | ١٥ - شيلي دوفال |
| ٥ - روجر مور | ١٦ - جيرالد دين شابلن |
| ٦ - روبرت دينيرد | ١٧ - ماري كيلر |
| ٧ - ستيف ماكوين | ١٨ - كاري فيشر |
| ٨ - روبرت ميتشوم | ١٩ - جوان وود وارد |
| ٩ - روبرت ردفور | ٢٠ - ديبى رينولدز |
| ١٠ - فيكتور ماثيور | ٢١ - فالتينو |
| ١١ - اليزابيث تايلور | |

أما بخصوص مهرجان كان السينمائي فتجدر الإشارة إلى أن رئيس لجنة التحكيم السينمائي لعام ١٩٩١ كان اليهودي «رومان بولانسكي» الذي منح دون وجه حق فيلم المخرجين اليهوديين : جويل وايتان كوهين ، المعنون «باركون فنيك» أكبر ثلاث جوائز بالمهرجان ، وهو شيء لم يحدث لا في تاريخ مهرجان كان (٤٤ سنة) ، ولا في تاريخ أى مهرجان سينمائي عالمي على الإطلاق ، بالإضافة إلى أن الفيلم متوسط القيمة الفنية ولا يرقى إلى مستوى الجوائز بشكل عام^(١) .

٨ — المنظمات الصهيونية :

حيث تمارس هذه المنظمات الصهيونية أساليب الدعاية للكيان الصهيوني وتخضع خضوعاً شبه مباشر للسيطرة الإسرائيلية في القدس ، رغم كونها منتشرة في أكثر من دولة . ومن أشهر هذه المنظمات الصهيونية :

(أ) المجلس الصهيوني الأمريكي . ويتألف من ست لجان هي :

١ — لجنة الصحافة : ومهمتها الرقابة على جميع وسائل الكلمة المنشورة في العالم والتنبيه على ما يعادى أو يخالف وجهة النظر الصهيونية وهو يتدخل في إعداد المواد الخاصة بالكتب المدرسية .

٢ — لجنة التلفزيون .

٣ — لجنة الإذاعة .

٤ — لجنة الشؤون الدينية .

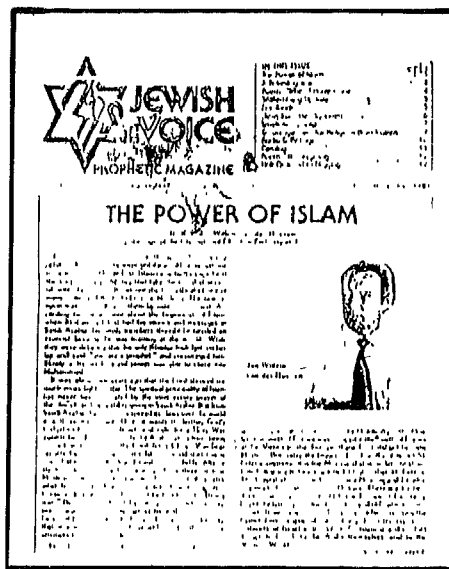
٥ — لجنة الشؤون الاجتماعية .

٦ — لجنة العلاقات العامة .

(ب) مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية . ومهمته تنسيق نشاطات المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية في مجال الشؤون الأمريكية — الإسرائيلية وأيضاً في المسائل التي تؤثر على اليهود في البلاد الأخرى .

(ج) المؤتمر اليهودي العالمي : وتقوم أقسام مختلفة داخل « المؤتمر اليهودي العالمي » بتنسيق الأعمال بالنيابة عن الجماعات اليهودية وتتولى شؤون العلاقات

(١) أخبار اليوم عدد ٢٥ مايو ١٩٩١



غلاف مجلة دعائية تصدر بالولايات المتحدة وتتناول بالتهجم الاسلام وتحذر المسيحيين من تنامي القوة الاسلامية .



إعلان نشرته النيويورك تايمز لحماية « الصداقة الأمريكية - الإسرائيلية » . يشغل الاعلان ربع صفحة من الجريدة ، ويحاول أن يظهر اليهود كمحيين للسلام ، الاعلان تحت عنوان .. في أى وقت ، وفي أى مكان سوف تجرى إسرائيل مفاوضات مباشرة مع أى من جيرانها .

مع الهيئات الدينية لغير اليهود ، وتمثل اليهود أمام المنظمات الدولية .

(د) منظمة البناء بريث : وهى منظمة دولية لها فروع فى ٤٠ دولة وتعتبر نوعاً جديداً من التحالفات اليهودية لكى تتخطى الانقسام فى الحياة اليهودية . وشعارها « المعاملة الطيبة والحب الأخوى والتوافق بين اليهود » . وتعتبر البناء بريث أقوى المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة ، وهى تعمل من واشنطن ولها فروع فى ٤٥ ولاية أمريكية ، وأخذت على عاتقها « محاربة معاداة السامية » .

(هـ) الاتحاد الصهيونى الأمريكى : وهو الأكثر كفاءة فى مجال الدعاية ، ويعمل من أجل تسيير برنامج صهيونى مخطط لتقدير أكبر للثقافة اليهودية داخل المجتمع اليهودى الأمريكى وكذلك من أجل المركزية الروحية لإسرائيل كوطن قومى لليهود . وهو يتألف من ١١ منظمة صهيونية على المستوى الأمريكى و ١٠ حركات صهيونية للشباب .

(و) اتحاد صحافة اليهود الأمريكين : ويعمل من أجل تقدم الصحافة اليهودية والوصول بالصحفيين من أعضائها إلى مستوى أفضل والحفاظ على الصحافة « حرة لهم » يعبرون فيها عما يريدون كتابته !

٩ — اللجان الإعلامية :

وتنتشر بالولايات المتحدة أعداد كبيرة من اللجان الإعلامية التابعة لوزارة الخارجية الإسرائيلية تقوم بنشر الدعاية الإسرائيلية من جهة والدعاية اليهودية التابعة لها من جهة أخرى ، وتعمل هذه اللجان ، بمساعدة واتفاق مع اليهود الأمريكين المختصين بالدعاية اليهودية فى اللجان والمنظمات الصهيونية المختلفة بالولايات المتحدة .. كما تختص هذه اللجان بتنظيم مقابلات المسئولين الإسرائيليين مع الصحفيين الأمريكين ، والإعداد للمؤتمرات الصحفية التى يدلى بها مسئولون إسرائيليون إلى الصحافة ووكالات الأنباء العالمية .

وعن دور اللجان الإعلامية نشير إلى مقابلة صحفية أجرتها صحيفة

الصنداي تايمز مع الصحفية الأمريكية اليهودية «سارة اميرمان» روت فيها بافتخار كيف أن لجنتها الإعلامية تمكنت خلال ثمانى وأربعين ساعة فقط من تغيير الرأى العام الأمريكى الغاضب جداً على إسرائيل ، بسبب قصصها للمفاعل النووى العراقى ، وجعلته يتقبل وجهة النظر اليهودية . بل وأقنعت أن ضرب المفاعل النووى العراقى كان عملاً رائعاً وشجاعاً من أجل السلام فى جميع أنحاء العالم .

١٠ — جماعات الضغط الإعلامى والدبلوماسى :

والطريق الشهيرة فى الولايات المتحدة لجذب أنظار المسؤولين الأمريكين إلى الدعاية اليهودية هى الضغط اللين من قبل جماعات ضغط يهودية عبارة عن مجموعات من الشخصيات النافذة التى ينجحون فى استمالتها إلى جانبهم ، ومن أجل هذا يسعون إلى التغلغل فى أوساط السياسيين وفى أوساط رجال الأعمال وفى هيئات المهنيين والاختصاصيين ، كالحامين والأطباء والمهندسين والاقتصاديين ، واتحادات الكتاب والصحفيين والفنانين بحيث يستميلون أكبر عدد منهم ، وأهم شخصياتهم ليستخدموهم «مطية» يمارسون الضغط بواسطتهم على أى مسئول فى الدول يعادى سياستهم ، ويستغلونهم فى إقناع غيرهم بالدعايات اليهودية .

ومن أشهر جماعات الضغط المشهورة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، جماعة الضغط المعروفة باسم «اياك» وهى لجنة علاقات عامة أمريكية إسرائيلية لها تأثير كبير على أعضاء الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكين . وتمارس هذه اللجنة عملها بأسلوب العمل من وراء الستار «لوى» Lobbying ، فمظهرياً يبدو نشاط اللوى بمثابة العملية التى تقدم فيها المعلومات المختلفة ، والبيانات الإحصائية ، والتقارير إلى أعضاء الهيئات التشريعية والحكومية ، لكن جوهر الموضوع أن هذه البيانات تشتمل على أوكار اللوى التى تحاول التأثير على الهيئات التشريعية أو التنفيذية لكى تصدر قرارات تتطابق مع المصالح الصهيونية .

١١ — صندوق الإحسان السياسى :

وقد أدرك اليهود أن أفضل طريق لجعل المسؤولين الأمريكين يخضعون لمضمون الدعاية اليهودية ، هى إغراء هؤلاء المسؤولين ، لا عن طريق فريق الحب

فقط ولكن عن طريق تقديم الدعم المالى لهم خاصة من كان منهم على عتبة الانتخابات الأمريكية ، إذ يسارع اليهود إلى تقديم الدعم المالى لهم لتمويل حملتهم الانتخابية ويتم إغداقه بعشرات الآلاف من الدولارات يتم استقدامها من صندوق مالى أعده اليهود لهذا الغرض وأسموه « صندوق الإحسان السياسى » . ويتم تمويل هذا الصندوق من خلال لجنة العمل السياسى الموالى لاسرائيل وتسمى اختصاراً (باك) — وهى غير إيباك المشار إليها سابقاً — ومن « النداء اليهودى المتحد » وهى أكبر جهاز يهودى لجمع التبرعات والاككتابات لصالح اسرائيل واليهود فى كل أنحاء العالم .

وفى الآونة الأخيرة نشرت كبرى الصحف الأوربية قائمة بأسماء المسئولين الأمريكيين الذين حصلوا على أموال من اليهود فأصبحوا « رجال اسرائيل » بدلاً من « رجال أمريكا » . والمسئولون هنا هم نواب فى الكونجرس الأمريكى وشيوخ فى مجلس الشيوخ ثبت أنهم تقاضوا من اليهود مرتين لدعم حملاتهم الانتخابية ، مرة من الممولين الموالين لإسرائيل . ومرة من (باك) ، وبلغت المبالغ أرقاماً خيالية رغم أن القانون الأمريكى لا يسمح لأى مرشح أن يتقاضى أكثر من ألف دولار من أى شخص .

وفى التقرير أن السناتور كارل ليفن قد حصل على ٥٦٣٠٧٣ دولارا أى تعدى نصف مليون دولار . وهو أكبر مبلغ تقاضاه عضو بمجلس الشيوخ ، أما أقل مبلغ (١٢٧١٠٠ دولار) فقد تقاضاه السناتور ماكس باوكوس . وبالنسبة لنواب الكونجرس فإن أكبر مبلغ تقاضاه نائب من رجال اسرائيل وهو ٨٩٧٧٩ دولارا تقاضاه النائب ميل ليفين ، منها ٧١٦٠٠ دولار مباشرة من أشخاص موالين لاسرائيل و ١٨١٧٩ دولارا من لجنة العمل السياسى لاسرائيل (١) .

١٢ — الدعاية عن طريق التعليم :

وقد حرص اليهود أشد الحرص على السيطرة على وسائل نقل المعرفة ومنها

(١) أخبار اليوم عدد ٥ أكتوبر ١٩٩١ . ويقول « لارى ماكنسون » المشرف على الدراسة التى أجراها مركز دراسات يسمى بمركز الدراسات المستجيبية ، أى التى تستجيب ، وهو مركز لا يتبعى لحزب سياسى وليست له اتجاهات معروفة ، أن الأرقام المنشورة — أى الدولارات — هى مجرد الجزء العائم فوق السطح وظاهر للعيان ، أما باقى جبل الجليد فهو لايزال مغموراً تحت الماء أى قليل ظاهر وكثير باطن .

الأستاذية الجامعية كوسيلة مباشرة لبث الدعايات . ووفق أصدق الدراسات فإن اليهود يحتلون أكثر من ١٠ ٪ من عدد أعضاء هيئات التدريس بالجامعات الأمريكية وهى نسبة كبيرة ولا شك قياساً إلى نسبة اليهود فى الولايات المتحدة والتي تبلغ ٣ ٪ من نسبة السكان ، وأقل من ذلك (١) .

١٣ — الدعاية عن طريق استطلاع رأى :

وقد عمد اليهود بحث واضح إلى السيطرة على المراكز استطلاع رأى لما لها من مقدرة فائقة على حمل الجماهير على تبني وجهة نظر مستطلعو رأى ، الخادعين ، وسوقهم عن غير إرادة إلى الدخول فى حظيرة المعتقد الذى يبيغيه مستطلعو رأى . والواقع أن استطلاع رأى أداة تخدم أهدافاً سياسية .. فذكر منها على سبيل المثال دوره فى إنجاح مرشح ما أعلنت استطلاعات رأى حصوله على نسبة غالية من التأييد الجماهيرى . وكذلك الحال مع الدعايات التى يتم قياس رأى عنها فإذا ما حصلت — بالتزوير — على قناعة قطاع كبير ، فإن معظم القطاع الباقى — وقد يكون هو الكبير حقاً — سيكون مقتنعاً إلى حد ما بتبنى وجهة نظر القطاع الكبير الوارد رأيه فى استطلاع رأى .

١٤ — الدعاية عن طريق الألعاب :

وهذه حقاً هى أخطر أنواع الدعاية اليهودية حيث تكمن خطورتها فى أنها تستغل عقول الأطفال فى إقناعهم بالدعايات اليهودية عن طريق ألعاب يحبونها ، ويحبون معها الدعاية ذاتها . ومن هذه الألعاب نشير إلى « لعبة إعادة بناء الهيكل الثانى » التى نشرها مروجو الدعايات اليهودية فى الولايات المتحدة ، وهى لعبة أكثر شبيهاً بلعبة « الميكانو » ويتم فيها تجميع القطع حسب المخطط المرسوم لبناء هيكل من المكعبات . وخطورة هذا الهيكل أنه يدعم أفكار الشباب عن الهيكل

(١) إبراهيم إبراهيم : من يحكم الولايات المتحدة ، مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ٢٩٨ — سبتمبر ١٩٨٣ ص ١٩ ويقول الكاتب أن اليهود قد اتجهوا بكل مالدتهم من قوة نحو التعليم ، فنجد فى منتصف الستينات ٨٠ ٪ من الطلبة اليهود قد تخرجوا من الجامعات مقابل ٤٠ ٪ من مجموع الشعب الأمريكى . وكذلك الحال مع أساتذة الجامعات . فإن عدد الأساتذة اليهود يزيد على ١٠ ٪ من مجموع العاملين فى حقل التعليم العالى .. وفى الجامعات المشهورة كهارفارد فإنهم يؤلفون حوالى ٣٣ ٪ من هيئة التعليم .

الاول ويقدم لهم المبررات للتعلم في تاريخ اليهود ، إضافة إلى غرس حب بناء الهيكل الثانى فى نفوسهم ، أو زيارة بقايا الهيكل الأول حيث تدعى إسرائيل أن حائط المبكى (جدار البراق) هو جزء من الهيكل الذى تهدم .. ومن الألعاب الأخرى التى تعتمد على المادة الذهنية نذكر لعبة « انشغالات تافهة » التى سيرد الحديث عنها تفصيلاً ضمن صفحات الكتاب .

١٥ — الدعاية عن طريق شبكة الاتصالات :

وهى ذلك الجانب من الدعاية الذى يعتمد على البريد والبرق والهاتف والفاكس . وفيها يتم إرسال رسائل بريدية متعددة ، بأسماء مزيفة إلى الشخص — أو الصحيفة — المراد إقناعها بالدعاية اليهودية . أو يتم إرسال مئات الآلاف من البرقيات حيث يشارك الفرد الواحد فى إرسال أكثر من بريقة للجهة المراد إقناعها . أو يشارك فى الاتصال تليفونياً بها . ومن أحدث طرق الدعاية اليهودية يتم استخدام أجهزة الفاكس لإرسال الدعاية اليهودية ، وتنتشر أجهزة الفاكسميل فى معظم بيوت ومكاتب الشخصيات المهمة بالولايات المتحدة ، وهى مفتوحة طوال اليوم ، وفجأة يجد صاحب الجهاز منشوراً أو أكثر يحمل الدعاية المطلوب إقناعه بها . ومع أن العادة أن كل رسالة تجيء على الفاكس يكون السطر الأول منها رقم التليفون واسم المدينة أو التاريخ ، إلا أنه من السهل حذف هذه المعلومات حتى يتمكن صاحب الدعاية من إخفاء نفسه وإرسال نفس الدعاية لأكثر من شخص دون معرفة مصدر الدعاية . أو إعادة تكرار إرسال نفس الدعاية على غرار أسلوب : « اكذب اكذب حتى يضطر الناس لتصديقك » .

١٦ — **الحافل الماسونية** : وهى قلاع يهودية داخل الدول التى تنتشر بها . وتنتشر فيها الفساد والدعاية اليهودية ، والماسونية جمعية يهودية دينية منتشرة على مستوى العالم وبدأت نشاطها منذ القرن السابع عشر ، وأهم أهدافها : الانقلابات السياسية لإحلال سلطة مكان سلطة بحيث تكون الجديدة تابعة لها . وخادمة لأهدافها . ولها شعارات براقية ، لكنها زائفة ، فهى تتخفى خلف كلمات

« الإخاء — الحرية — المساواة » (١) !

(١) محمد ابراهيم عبدالله : بين البهائية والماسونية — سلسلة البحوث الإسلامية — القاهرة ١٩٨٦ ص ٢٨ .

١٧ — وسائل أخرى :

ونذكر منها : الاتصال الشخصي — المؤتمرات — الإعلانات — الكتيبات — المنشورات — الأفشيات — الندوات — السياحة والرحلات — تبادل الخبرات — اختلاق الفضائح والابتزاز .

□ وبخصوص الدعاية الأهمية فتجدر الإشارة إلى أن المقصود بها هو الدعاية غير اليهودية التي تؤيد أو تسير على نهج الدعاية اليهودية وتعرف بالدعاية الصهيونية غير اليهودية . وجذور الصهيونية غير اليهودية ، وهى الصهيونية المسيحية ، قديم ، ويرتد إلى عصر الإصلاح الدينى المسيحى ، وتقول ريجينا الشريف فى كتابها المهم « الصهيونية غير اليهودية ، جذورها فى التاريخ الغربى »^(١) .

لقد بدأت الصهيونية غير اليهودية تتخذ شكلاً متميزاً فى أوائل القرن السادس عشر حين تضافرت حركة النهضة الأوربية وحركة الإصلاح الدينى على إرساء أساس التاريخ الأوربى الحديث ، وقد أثار الاهتمام بالأدب التوراتى وتفسيره اهتماماً عاماً باليهود ، وعودتهم إلى فلسطين ، وعلى ذلك لم يعد تحرير اليهود — إعطاء حقوق المواطنين — بل الدور الذى كتب على اليهود أن يقوموا به بشأن القضايا الجديدة كتحقيق لنبوءات التوراة واليوم الآخر ، وعودة المسيح المنتظر .. وعلى هذا فإن حركة الإصلاح الدينى البروتستانتى ، بإتاحتها الفرصة للنهضة اليهودية القومية وعودتهم الجماعية إلى فلسطين ، هى التى ابتدأت سجلاً جديداً للصهيونية غير اليهودية كعنصر مهم فى اللاهوت البروتستانتى والايمان بالأخريات (كالموت والخلود ونهاية العالم واليوم الآخر) .. وتضيف إلى ذلك قولها : كانت المبادئ البروتستانتية التى وضعتها حركة الإصلاح الدينى فى القرن السادس عشر مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة ، وتوصف هذه الحركة بأنها بعث (عبرى) أو (يهودى) تولدت عنه وجهة نظر جديدة عن الماضى والحاضر اليهودى وعن مستقبله بشكل خاص .

(١) ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٩٨٥ ص ٢٥ — ٢٦ .

كان اهتمام حركة الاصلاح البروتستانتي منصباً على العالم القادم ، وكانت تنظر إلى الحياة بمنظار الأبدية ، كما ساد الاعتقاد بالمسيح المنتظر والعهد الألفى السعيد للذين هما من مقومات المبادئ اليهودية^(١) .

وهكذا بدأ « مارتن لوثر » زعيم الاصلاح الديني سلسلة من زعماء المسيحية الصهيونية ، ترددت خلالها أسماء « هنري فنش » باعتباره أول انجليزى يدعو إلى الاستيطان اليهودى فى فلسطين من خلال كتابه « الاحياء العظيم للعالم » أو « دعوة اليهود » . وإسحق دى لايرير باعتباره أول فرنسى يدعو إلى إحياء إسرائيل وتوطين الشعب اليهودى فى الأرض المقدسة وذلك فى كتابه « دعوة اليهود » . وكذلك بول فلجنهادر الذى أكد فى كتابه « أخبار سعيدة لإسرائيل » أن عودة المسيح المنتظر ووصول المسيح اليهودى حدث واحد ، و « وليام هشر » القس البروتستانتي الذى دخل إلى قاعة المؤتمر الأول للحركة الصهيونية « اليهودية » المنعقد فى بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ وهو يهدف بحياة الزعيم الصهيونى المؤسس للصهيونية السياسية قائلاً « يحيا الملك » وخطب فى المؤتمرين مطالباً بأن « استفيقوا يا أبناء اسرائيل ، فالرب يدعوكم للعودة إلى وطنكم القديم فى فلسطين » .

ومنذ أيام هشر ، والصهيونية المسيحية تتزايد لأسباب دينية وسياسية واستعمارية وعنصرية ، وتنتقل من دولة إلى دولة ومن قارة إلى قارة حتى استقرت الآن — كقوة سياسية مؤيدة لإسرائيل — فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث يصل عدد المسيحيين البروتستانت المؤيدين للصهيونية لأكثر من ٧٠ مليون نسمة^(٢) . بدءوا يشكلون المنظمات المؤيدة لإسرائيل ، ويعقدون المؤتمرات لدعمها .

وتعتبر منظمة « السفارة المسيحية الدولية » هى أكثر التنظيمات والقوى الصهيونية والمسيحية المعاصرة انتشاراً ونفوذاً فى الساحة الدولية . وقد ولدت هذه المنظمة فى نهاية سبتمبر ١٩٨٠ حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دينى

(١) المرجع السابق ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) يوسف الحسن : مؤتمر دول المسيحيين الصهاينة ايضا . مقال بمجلة العربى الكويتية — العدد ٣٢٦ — يناير ١٩٨٦ ص ٢٠ .

مسيحي جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة في مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيراً عن الدور المركزي لهذه المدينة المقدسة في فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة . وقد جاء تأسيسها لإثراء رفض المجتمع الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة أبدية « لإسرائيل » . وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب . وقد افتتحت « السفارة » مقراً رئيسياً لها في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة وافتتحت لها فروعاً في عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية . كما أعلنت عن افتتاح قنصليات لها في ٣٧ دولة في أوروبا وآسيا وأفريقيا . وكندا وأستراليا . وقد جددت هذه المنظمة — السفارة أهدافها في منشور أصدرته لهذا الغرض في عام ١٩٨٠ على الشكل التالي :

١ — الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي ودولة « إسرائيل » .

٢ — تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة من أجل القدس وأرض « إسرائيل » وتحريضهم لممارسة التأثير في بلادهم لصالح إسرائيل .

٣ — إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية في إسرائيل .

وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله : إنا صهيانية أكثر من الإسرائيليين أنفسهم^(١) .

وتعقد منظمة « السفارة المسيحية الدولية » مؤتمرات واحتفالات ومسيرات لها سنوياً في إسرائيل . وفي احتفالات ١٩٨٣ شارك أكثر من ثلاثة آلاف مسيحي صهيوني ، وفي احتفالات ١٩٨٤ حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من أكثر من ٥٠ دولة تجمعوا في القدس ونظموا الاحتفالات وسيروا المظاهرات تأييداً « لإسرائيل » ودعماً لها . وتقول الواشنطن بوست^(٢) « لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء إسرائيل وقادتها ، وكان عنوانها : القدس كعاصمة أبدية لإسرائيل .

وفي عام ١٩٨٥ عقدت المنظمة مؤتمراً لها في مدينة بازل بسويسرا ، في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية ، وحضر

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) عدد ١٣ من أكتوبر ١٩٨٤ .

المؤتمر الأخير الذى سمي «بازل الجديد» (٢٧ — ٢٩ أغسطس) أكثر من ٦٠٠ من القيادات الصهيونية المسيحية قدموا من ٣٧ دولة إضافة إلى أكثر من هذا العدد من المراقبين . وقد تركزت قرارات المؤتمر على عدد من القضايا الرئيسية تشكل بلا شك المحور الرئيسى للإعلام والدعاية الصهيونية غير اليهودية تجاه اليهود وإسرائيل ، ومن أبرز هذه القضايا :

١ — الضغط باتجاه مزيد من الاعتراف الدولى بإسرائيل كدولة لليهود ودعم تجميعهم من شتى أنحاء العالم ، وخصوصاً من الاتحاد السوفيتى ، لاستيطان الضفة الغربية وغزة ، وتكملة المشروع الصهيونى الممتد من الفرات إلى النيل تحقيقاً للنبوءات التوراتية .

٢ — مطالبة جميع الدول والمؤسسات الحكومية الخاصة بفتح أبوابها كاملة للمشاركة الإسرائيلية ، وعلى الدول الصديقة الانسحاب من هذه التجمعات إذا ما طردت منها «إسرائيل» .

٣ — مطالبة جميع الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية «لإسرائيل» وبالتالى نقل سفاراتها إليها .

٤ — إدانة كل أشكال اللاسامية ضد اليهود .

٥ — مطالبة الدول الصديقة بالامتناع عن تسليح العرب بما فيهم مصر .

٦ — تشجيع أطروحة توطين الفلسطينيين . يسميهم المؤتمر (اللاجئون من إسرائيل) فى الوطن العربى .

٧ — دعم ومساندة الاقتصاد الإسرائيلى وإنشاء « صندوق استثمار مسيحي دولى » لهذه الغاية مقره فى أمستردام وبرأسمال مبدئى قدره مليون دولار يخصص لصناعات التقنية والسياحة فى إسرائيل .

٨ — مطالبة العالم بعدم الانصياع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل .

٩ — تعبئة الكنائس لنصرة إسرائيل وإنشاء تنظيمات بجذور شعبية لهذه الغاية ، ومطالبة مجلس الكنائس العالمى بالاعتراف بالرباط التوراتى بين الشعب اليهودى وأرضه الموعودة ودولته إسرائيل .

١٠ — الصلاة انتظاراً للمجيء الثانى للمسيح ومملكته القادمة فى القدس^(١) .

ورغم أن التيار المسيحى المؤيد للصهيونية ، يشكل هرطقة دينية تسمى إلى المسيحية الصحيحة إلا أن مثل هذه المحاور تنتشر فى الدعاية الصهيونية غير اليهودية التى ينغمس فيها معظم المسيحيين البروتستانت بالولايات المتحدة ، ويرددون إضافة إلى ما سبق كل المحاور الدعاية التى تعمل عليها الدعاية اليهودية التى تعمل هى الأخرى كبوق للدعاية الاسرائيلية .

أما أهم وسائل وأدوات الإعلام الصهيونى غير اليهودى فنذكر منها :

١ — الدعاية عن طريق الصحف : ومن أشهر هذه الصحف نذكر صحيفة الديلى ميل — الديلى نيوز والمجلة المنزلية الشهيرة Good house keeping ، ومجلة ماريتى السينائية ، ومجلة « المراجعة » التى تصدرها منظمة « السفارة » .

٢ — التلفزيون : فقد أنشأت المسيحية الصهيونية عدداً من المحطات التلفزيونية يبلغ عددها ٢٠٠ محطة من أصل ألف محطة بالولايات المتحدة ، إضافة إلى ٤٦٨ شبكة تلفزيونية تبث لمشركيها برامج يشاهدها نحو ٦٠ مليون أمريكى . ومن بين تلك البرامج الأكثرها جاذبية تلك التى يقدمها « بات روبرتسون » الذى اشترى فى عام ١٩٦١ محطة تلفزيونية فى جنوب فرجينيا للتبشير بالإنجيل ، والادعاء بأن العالم على وشك النهاية من خلال حرب نووية يصفها بأنها حرب مقدسة يأتى بعدها المسيح ! ولهذا جاءت معظم برامجها باسم « ماذا بعد الحرب المقدسة » .

وخلال سنوات قليلة تحولت محطة الإرسال التلفزيونى فى فرجينيا التى اسمها « شبكة البث المسيحية » إلى شركة كبيرة تبلغ ميزانيتها السنوية ٢٠٠ مليون دولار . وهذه الشبكة تملك أكثر من مائة محطة داخل الولايات المتحدة وفى الخارج ، مثل تلفزيون الشرق الأوسط الذى يث من الشريط الحدودى الذى تحتله إسرائيل فى جنوب لبنان^(٢) .

(١) مؤتمر دولى للمسيحيين الصهاينة ايضاً . مرجع سابق ص ٢٣ .

(٢) عن المنظمات البروتستانتية الصهيونية ، يمكن العودة إلى مقال « الله والمال » مجلة النيوزويك عدد ٦ ابريل ١٩٨٧ ص ٣٠ — ٣٤ ومن بينها منظمة بات روبرتسون C.B.N .

٣ — أندية الروتارى : وقد أسس أندية الروتارى فى شيكاغو بأمريكا اليهود : « سلفستر شيلر » و « جوستاف لوهر » و « ميريام شورى » . واليوم هناك أكثر من ١٦٧٠٠ نادى روتارى تنتشر فى ١٥١ دولة ، تضم ٩٠٠ ألف عضو روتارى فى أكثر من ١٥١ دولة يشكل المسيحيون الصهانية أكثر من ٩٠ ٪ من الأعضاء يخضعون للسيطرة اليهودية التى تقود هذه الأندية . وتنتشر نوادى الروتارى وراء الأخلاق المثالية — والقيم الإنسانية — العالمية ومحبة السلام ، لكن الهدف الأساسى لها هو خدمة الصهيونية العالمية وتسريب الدعاية الصهيونية .

٤ — الدعاية عن طريق أسماء المدن : ففى الولايات المتحدة توجد ١٥ مدينة صغيرة تحمل اسم « صهيون » و ٤ مدن تحمل اسم أورشليم ، وحوالى ٢٧ مدينة وقرية وضاحية تحمل اسم « سالم » وهو اسم يتردد كثيراً فى التوراة اليهودية . وفى ولاية ألباما مدينة تحمل اسم أريحا ، فى أريزونا مدينة تحمل اسم عدن وفى ايداهو مدينة « السامرة » وفى أوهايو مدينة سدوم وفى كونتيكيت مدينة تحمل اسم كنعان الجديدة وكلها أسماء وردت فى التوراة وتحمل دعاية لليهودية .

٥ — وسائل أخرى : منها إرسال الرسائل البريدية إلى صانعى القرار فى عدد من دول العالم — انتاج الأفلام الصهيونية على غرار أفلام « سيسيل دى ميل » المؤيدة لليهود — والدعاية عن طريق المنشورات والملصقات ، وما إلى ذلك من أدوات ووسائل الدعاية .

هذا وتعتمد الدعاية الصهيونية إجمالاً ، من إسرائيلية ويهودية وأمية على عدة أساليب يتم من خلالها نقل الدعاية . ومن هذه الأساليب نذكر :

١ — أسلوب الاستضعاف والاستعطاف ، بغية التأثير فى نفوس الشعوب والحكومات : وهو واحد من أهم الأساليب التى تعتمد عليها إسرائيل فى مواجهتها للعرب حيث يساعدها هذا الأسلوب على إظهار حالة الخوف من الاعتداء وإبراز نداء الضحية قبل أن يعتدى عليه ، مما يجلب لها العون والمساعدة وتبرر لها القيام برد فعل وقائى .

٢ — أسلوب النداء العاطفى : حيث يعتبر أكثر فعالية من الأسلوب الموضوعى

المباشر ، وذلك لما له من تأثيرات مباشرة تخلق احتجاجات عاطفية تساعد على جذب عطف واهتمام المنادى عليه .

٣ — أسلوب النداء الدينى : وهو واحد من أكثر أساليب الصهيونية استدراراً للمؤازرة والتأييد لما للدين من تقديس فى النفوس . وقد ساهم هذا الأسلوب فى إبراز التأييد لإسرائيل اعتماداً على رؤية مزعومة ترى أن « إسرائيل » هى امتداد لليهودية ، وتحقيق لنبوءات الكتاب المقدس عن العودة المزعومة وتمهيد لعودة المسيح !

٤ — أسلوب التكرار فى المصادر المتعددة : حيث تعتمد الصهيونية على « لوك » أكاذيبها فى أكثر من أداة إعلامية كالإذاعة والصحافة الإسرائيلية ثم الإذاعات والصحف والتلفزيونات العالمية .

٥ — أسلوب الرقابة : وذلك بالضبط الانتقائى للمعلومات التى يترتب عليها طرح وتغيير وجهة نظر معينة ، وما عزل الضفة الغربية وغزة واعتبارهما منطقتين عسكريتين محظورتين دخولهما ، إلا عملية من عمليات الرقابة على الأنباء والأخبار التى يرسلها صحافيون العالم . بل وإغلاق لمصادر الأنباء عنهم .

٦ — أسلوب التحريف : حيث تعمل الصهيونية على تحريف الأخبار وتزييف الأنباء وبتز الحقائق واختلاق الأكاذيب .

وبكل هذه الأساليب تعمل الصهيونية على « خديعة العالم » اعتماداً على :

الدعايات الرخيصة التى يتم حشوها داخل أساطير سياسية تحتوى أنواع

من :

التلاعب بالكلمات .

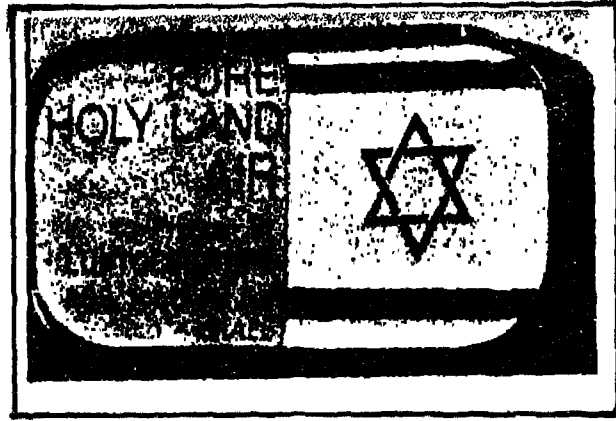
والاتجار بالشعارات .

والترديد المتكرر للإسطوانات المشروخة .

والترهات المموجة .

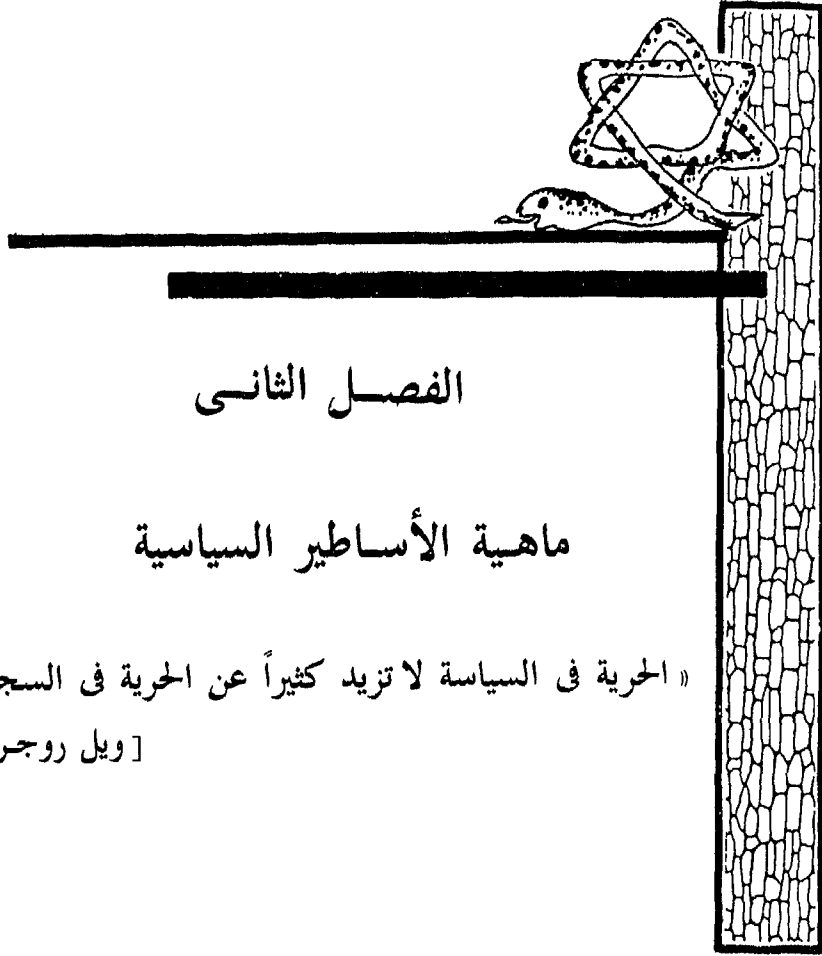
والتضليل الفكرى .

والدجل السياسى .



لم تكتف الدعاية الصهيونية ببث ونشر وبيع الأفكار لصالح اليهود ولكن عمدت إلى بيع هواء القدس معلباً في علب على اعتبار أنه هواء مقدس . في الصورة علبة فارغة (!) كتب عليها « هواء نقي من الأرض المقدسة » وقد بيعت العلبة فعلاً وبأسعار غالية في الأسواق المسيحية !





الفصل الثانى

ماهية الأساطير السياسية

« الحرية فى السياسة لا تزيد كثيراً عن الحرية فى السجن »
[ويل روجرز]



- الأساطير هي الأكاذيب المنمقة .
- التلفيقات الواعية للفرد تندرج تحت باب الأساطير .
- بعد أن كانت الأسطورة مهيمنة على العقل . هيمن العقل عليها .
- الأساطير السياسية تنطوى على توظيف سيئ وتضليل سياسى .
- السياسة دائماً تحتاج إلى الأسطورة .
- النظم الطاغية تستخدم الأسطورة بديلاً عن القمع والإكراه السياسى .
- الحرية فى السياسة تتصف بالابتذال والإسفاف لكثرة استعمالاتها .
- أساطير إسرائيل تنبع من غرفة عمليات دعائية تستخدم أسلوب التنظير
- الحروب الإسرائيلية العربية أبدعت أساطير وقتلت أخرى .
- أكاذيب اسرائيل لا تنقطع لأنها تعتبر نفسها فى حالة حرب دائمة .
- ... معرفة أساطير إسرائيل يقود لمعرفة كيف نحاربها .



● ما هى الأساطير السياسية

تعرف الأسطورة فى اللغة العربية بأنها « اشتقاق » من الفعل « سطر » أى ألف الأساطير التى هى أحاديث لا أصل لها ، أو الأحاديث العجيبة والخرافة للطبيعى والمعتاد عند البشر . ويقول العلامة ابن منظور « الأساطير » : أباطيل . والأساطير أحاديث لا نظام لها ، واحدها أسطار وأسطارة وأسطير وأسطور وأسطورة .

وللأساطير تعاريف كثيرة ، يكاد يكون إجماع كثير من الباحثين فيها ، أنها لا تخرج عن أن تكون قصة خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التى لم تقع فى التاريخ الفعلى ولا يقبلها العقل . حتى أننا عندما نريد أن نفى وجود شيء نقول أنه « أسطورى » . وهى بهذا قصة تفسر مؤثرات الناس حول العالم وما وراء الطبيعة والآله والأبطال والسمات الثقافية والمعتقدات الدينية فى إطار مزيج بالخرافة .

وإن لم تكن الأسطورة هى الخرافة نفسها ، كما يشير إلى ذلك المعجم الوسيط ، فإنها الخرافة والحكاية التى لا أصل لها بعد إضافة تلميحات إليها . ولما كانت الخرافة مرادفة للكذب فإن الأسطورة ، وهذه نقطة مهمة ، هى الكذب ، « المنق » .

ولنشأة الأسطورة فى عقلية البشر أكثر من سبب يعود به « اندرو لانج » إلى « نتيجة التأمل فى ظواهر الكون » وعلاقة هذه الظواهر بحياة الإنسان على الأرض ، أو بتعبير آخر أن الأسطورة إخراج لدوافع داخلية فى شكل موضوعى ، والغرض من ذلك هو حماية الإنسان من دوافع الخوف والقلق .

ويرجعه « ماكس مولر » إلى فكرة « المرض اللغوى » الذى كان الإنسان البدائى يتحدث من خلاله — لا من خلال اللغة — ولهذا فقد بدت له أشعة الشمس أصابع الآلهة ، والسحب الممتلئة بالماء أبقاراً ممتلئة ضروعاً وهكذا^(١) .

(١) ارنست كاسير : الدولة والأسطورة ترجمة د . أحمد حمدي محمود ، مراجعة د . أحمد خاكي الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٧ .

ويرى « جيمس فريزر » أنها مرتبطة بمرحلة السحر (الأداء التمثيلي لطقوس معينة يقوم بها الإنسان البدائي بقصد درء الشر عن نفسه وعن جماعته) .

أما « ليفي شتراوس » فيرى أنها تفكير في عقل الإنسان ينطلق من الحالة الوسيطة بين الشعور واللاشعور ، والمعروفة بحالة « خارج الشعور non concious » والتي يعتبر المشي هو خير مثال لها ، فهي حالة شعورية غير كاملة ، بمعنى أننا لا نكون على وعى تام بحركة السير وكيفية القيام بها ، كما أنه ليس عملاً لا شعورياً Unconcious .. ويرى « أرنست كاسيرر » أنها ظهرت كنتيجة « لوحدة الشكل البنائي للروح الإنساني »^(١) .

وفيما يخص الروح والنفس البشرية فإن « كارل يونج » يرى أن الأسطورة ظهرت كتعبير عن صراعات اللاوعي البشري ، ويشير « يونج » إلى أن المضمون القصصي للأساطير تختفي وراءه كل ما تنطوي عليه أصول الفكر الإنساني السابق للتعقل .

وهناك بحاثون آخرون يرون أن السبب في ظهور الأسطورة هو تحول العقل البشري في بدائياته السحيقة ، فالأقدمون كانوا يقصون الأساطير عوضاً عن القيام بالتحليل والاستنتاج^(٢) . والإنسان القديم لم يكن يفكر في جواب معين ، بل كان الجواب ينكشف له فيلثم الرمز بالرموز إليه^(٣) ..

على أن الأساطير كثيراً ما تخلق في المحيطات البدائية من قبل رجال الدين الذين يخلقونها لمصلحة الكبراء والزعماء في هذه المجتمعات . وهكذا فالأسطورة التي يمكن أن تنشأ عن النوازع والمشاكل الداخلية عند الإنسان فتشكل صور إخراج هذه الدوافع كما يتشكل الحلم ، يمكن أن تنشأ أيضاً عن وعى كامل يراد به « دفع حقيقة بعينها » . ويبدو هذا واضحاً من معظم الأساطير الصهيونية التي نحن بصدد دراستها ، حيث صاغت اليهودية

(١) د . نبيلة إبراهيم : الأسطورة . سلسلة الموسوعة الصغيرة — العدد رقم ٥٤ — بغداد ١٩٧٩ —

ص ٨ .

(٢) هنري فرانكفورت : ما قبل الفلسفة ، ترجمة حبرا إبراهيم جبرا ، مراجعة محمود الأمين . منشورات دار

مكتبة الحياة — بغداد — ب . ت — ص ١٧ .

(٣) المرجع السابق ص ١٩ .

والصهيونية بناءها عن وعى كامل بأنها أسطورة ولكن دبلجت فصولها بحيث انطبق صوتها الغوغائى على بعض الصور الحقيقية فاكتسب صوتها الكاذب صدقاً صعب على البعض اكتشافه ..

ولكن هل من السليم تسمية التليفقات الواعية للفرد أسطورة ؟

عن هذا السؤال. يجيب « شتراوس » فى كتابه « حياة يسوع المسيح » بقوله : بالتأكيد « فطالما أن هذه التليفقات قد صدقها الناس وأصبحت جزءاً من تاريخ قوم أو طائفة دينية . بنفس الوقت ، هذا يُظهر أن مؤلف هذه التليفقات لم يشكلها حسب خيالاته الذاتية فقط . ولكن باشتراك وثيق مع وعى الأغلبية من فوق »^(١) .. ويضيف بأن كل « فرية » أو « كذبة » لأساس لها تاريخياً ، ومهما كان مصدرها ، تعتبرها طائفة دينية كجزء مؤسس فى تاريخها المقدس ، وكتعبير مطلق عن مشاعرها وأفكارها الأساسية هى أسطورة .

ويقودنا الحديث عن الأساطير الواعية وغير الواعية إلى الحديث عن أنواع الأساطير . وهنا تجدر الإشارة إلى أن تقسيم الأسطورة إلى أنواع أمر ليس من السهولة بمكان ، حيث تتنوع الأساطير إلى أنواع وأشكال كثيرة . وبالنظر لكثرتها وتجنباً للمزالتق فسنعرض لمفاهيم وأنواع الأسطورة بإيجاز بسيط .

فأهم أنواع الأسطورة هى :

١ — الأسطورة الكونية (الطبيعية) : وهى التى تحاول تحديد مفهوم الإنسان بالنسبة للكون . وهى وليدة الإحساس بعاطفة شعورية بين الإنسان والشيء قادت به إلى تشخيص عناصر الكون ، وتحويلها إلى كائنات حية . وبمقتضاها كانت عناصر الهواء والنار والماء هى محط العبادة الدينية ، وكانت الآلهة الرئيسية مشخصات من قوى الطبيعة^(٢) .

(١) موريس وابلز : أسطورة تجسد الإله فى السيد المسيح — تعريب د . نبيل صبحى — دار القلم — بيروت ١٩٨٥ ص ٢٢٧ .

(٢) لفلنش : عصر الأساطير ترجمة رشدى السيسى ومراجعة د . صقر خفاجة . دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٦٦ ص ٤١٢ .

- ٢ — الأسطورة التعليلية : وهى صنف من الأساطير الكونية ، وليدة التأمل الموضوعى فى ظاهرة تبدو غريبة وتحتاج إلى تعليل . وظهرت بعد أن ظهرت فكرة وجود كائنات روحية خفية فى مقابل ما هو موجود فى الظاهر .
- ٣ — الأسطورة الرمزية : وهى مرحلة متقدمة من تاريخ الإنسانية لم يكن فيها الإنسان قد التزم بتعاليم الأديان السماوية بعد ، فاستخدمت للرمز على شئ معين . وفيها نرى حسنات الإنسان تُخلع بسخاء على الآلهة . كما نرى الإنسان قادراً على مواجهة تحديات السماء .
- ٤ — الأسطورة الطقوسية (الدينية) : وهى حكايات مأخوذة أساساً من مصادر دينية . وقد ظهرت مرتبطة بعمليات العبادة مهما يكن شكلها أو طريقتها . وعنتيت بإثبات الجانب الكلامى من الطقوس قبل أن تصبح حكاية لهذه الطقوس .
- ٥ — الأسطورة الحياتية (أسطورة الأزمات) : وهى الأساطير المتعلقة بالأحداث الحاسمة فى حياة الإنسان ، وتعنى بالدرجة الأولى بالولادة والبلوغ والزواج والموت وبالتعميد والتسمية والتكهن وترافق كل هذه العمليات الشعائر التى تشكل انتقال الفرد من حالة إلى أخرى .
- ٦ — الأساطير التاريخية (التاريخسطورة) : وقد ظهرت هذه الأساطير التاريخية بعد أن أدرك الإنسان قيمة نفسه وبرهن على ذلك بأنه القادر على صنع عالمه والانتقال به من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة التاريخية .
- ٧ — أساطير الأشخاص غير العاديين : حيث يركز قسم كبير من الأساطير على الأفراد غير العاديين : الأبطال الشقاة . الآلهة والمخلصين (Saviors) . وثمة نظرية تفسيرية تذهب إلى أن جميع الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى الأساطير كانوا يوماً ما كائنات بشرية حقيقية وأن الأساطير والروايات الخرافية المنسوبة إليهم ، ليست سوى زيادات وزخارف أقحمت فى عهود متأخرة^(١) .
- ٨ — الأساطير اللغوية : وقد ظهرت نتيجة المزج بين الحقيقة والمجاز . باعتبار أن الأسطورة مجازات فهمت حرفياً^(٢) . وهكذا فالأسطورة مظهر من مظاهر اللغة .

(١) المرجع السابق ص ٤١٠ .

(٢) ارنست كاسير . مرجع سابق ص ٣٣ .

ولكنه المظهر السلبي ، حيث تمثل الجانب السيئ أكثر من تمثيلها الجانب الخير . إن نقطة الضعف في اللغة هي اشتراك أشياء مختلفة في نفس الاسم ، وهو ما أدى إلى الجناس ، الذي أدى بدوره إلى انبعاث شخصيات مختلفة من هذا الاسم .

٩ — الأساطير « الواعية » — أو هكذا يجب أن نسميها قياساً إلى تلك الأساطير السابقة حيث نبعت جميعاً دون وعي .. وقد ظهرت هذه الأساطير في المرحلة التي أدرك فيها الإنسان أنه مميز عن الكائنات الأخرى من ناحية وأنه قادر على صنع حياته وتنظيمها على نحو ما صنع الكون ونظمه من ناحية أخرى . ومن هنا راح يصنع الأسطورة بمنطق الأسطورة ذاتها . وبعد أن كانت الأسطورة هي المهيمنة على العقل ، أصبح العقل هو المهيمن على الأسطورة ، يكيفها بعد أن كانت هي التي تكيفه^(١) .

وتنقسم الأسطورة الواعية إلى قسمين :

الأول إيجائي ، وفيه أصبحت الأسطورة متعة تشبع عاطفة أو ترقق إحساساً أو تحبى وجداناً أو توقظ ضميراً ، كما أصبحت مصدراً من مصادر الإلهام والوحى في الفنون التشكيلية والأدبية ، في الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرح .

والثاني سلبي ، وفيه أصبحت الأسطورة أداة للحصول على مزاعم سياسية محددة أو وسيلة لإثبات أصالة « وهم » محدد . أنها « خدعة واعية » ترتبت على الحاجات التي تريد الطبيعة العقلية لأشخاص ما فرضها على غيرهم ، إذا تطلبت الحاجة لتحويل الأفكار القديمة إلى أسلحة سياسية قوية وفعالة ، ابتكار فن تقني جديد ، هو فن الأسطورة الواعية السلبية التي تعرف بالأسطورة السياسية ، والتي تساعد على زيادة سرعة ردود الفعل ، وتحقيق قدر أكبر من الفعالية .

وإذا كانت الأساطير القديمة قد وصفت دائماً بأنها نتيجة لفعل لا شعورى ، وبأنها نتيجة لانطلاق الخيال ، إلا أننا في الأساطير السياسية الحديثة ، نرى الأسطورة تتبع مخططاً ، فهي لا تظهر عشوائياً ، إنها ليست ثمرة شيطانية من صنع خيال خصب . إنها أشياء مصنوعة قد صنعها صناع مهرة ماكرون إلى أبعد حد ،

(١) د . ثروت عكاشة : الأغريق بين الأسطورة والإبداع — دار المعارف القاهرة ١٩٧٨ ص ٣٤٦ .

فلقد كتب على القرن العشرين أن ينهض بفن أسطوري جديد ، هو فن الأسطورة السياسية ، ومنذ ذلك العهد ، أصبح من الميسور صنع الأساطير على نفس الوجه الذى يتبع عند صنع أى سلاح حديث آخر كالرشاشات والطائرات .

ولكن لماذا يُعتبر هذا النوع من الأساطير سلبياً ؟

الإجابة تكمن فى أنه :

— يوظف الحقيقة توظيفاً سيئاً ، بمعنى أنها تصبح فيه وسيلة لغاية أخرى ، فالأساطير السياسية غالباً ما تبدأ من مقدمة صحيحة ، ثم تستنتج منها نتيجة باطلة . وهذا الأسلوب كثيراً ما ينطلى على كثيرين ، لأنهم حين يجدون المقدمة صحيحة ، والشواهد تؤيدها بالفعل ، يتصورون أن النتيجة مرتبة عليها حقاً ، ولا بد أن تكون بدورها صحيحة .

— إنه يعتمد على التضليل السياسى ، وخطورة التضليل السياسى تتمثل فى أنه يؤثر تأثيراً كبيراً على طريقة تفكير الإنسان ، لأنه أولاً يحول بين الناس ، وبين فهم أنفسهم ومجتمعهم وعالمهم ، بطريقة علمية^(١) .. والأهم من ذلك أنه يعودهم الاستسلام للمغالطات ويسلبهم القدرة على مقاومتها . ومن ثم فإنه ينتزع من عقل الانسان أهم ملكة يحتاج إليها لكى يفكر تفكيراً علمياً ، ونعنى بها ملكة النقد والتساؤل .

— إن الأسطورة بصفة عامة بلا منطق ، فمنطقها هو منطق «اللازمان» ومنطق «اللامكان»^(٢) ، وبتعبير أدق فإن منطق الأسطورة هو منطق اللامنطق الذى تبدو فيه الأسطورة وسطاً بين الحلم واليقظة ، أو لعلها تبدو وكأنها ضرب ممتع من أحلام اليقظة ، ولذلك فهي أدعى إلى التصديق بها والاستسلام لها ، ومستغلو الأساطير السياسية يعزفون كثيراً على هذا الوتر ، فلا يبحثون بداخل الأساطير عن منطق . وفى هذا الصدد كان بن جوريون مؤسس دولة إسرائيل يقول :

« إن الأغبياء هم وحدهم الذين يفتشون على المنطق فى التاريخ » .

(١) د . فؤاد زكريا : التفكير العلمى . منشورات عالم المعرفة — الكويت ١٩٨٨ — ص ٣ — ص ١١٦ .

(٢) د . احمد كمال ذكى : الأساطير — سلسلة المكتبة الثقافية رقم ١٧٠ — القاهرة ١٩٦٧ ص ٤٠ .

فما بالنا نعبر عن المنطق بالأسطورة السياسية !

— إن الأسطورة السياسية التى تخلق بين الناس يمكن أن تكون الشرارة التى تؤدى إلى الانفجار . ويظهر أثر ذلك أكثر إذا مست المسألة حالة خوف أو ضجر كامنة داخل أوضاع على وشك الانفجار . فمثلاً فى حالة الفلاحين الذين يعيشون فى حالة تمزق وخراب من الضرائب والديون التى بالربا . عندما تردّد بينهم أسطورة تشير إلى العودة إلى سيطرة الغاصبين ، فإن ذلك سوف يدفعهم إلى القيام بمذبحة يقضون فيها على أصحاب الديون المرابين^(١) .

ولكن كيف تعود الأسطورة للقرن العشرين الذى حلت فيه النظم العقلانية محل التنظيمات الأسطورية للمجتمع ؟ ولماذا تحتاج السياسة دائماً للأسطورة ؟

الواقع أن تحقيق النظم العقلانية فى الفترات التى يسود فيها الهدوء والسلام ، أو فى العهود الأكثر ثباتاً وطمأنينة ، أمر يسهل — نسبياً — تفسيره . ففى هذه الفترات يمكن لأية نظم عقلية أن تشعر بالأمان ضد أى اعتداء عليها . على أن الاستقرار والتوازن لا يمكن أن يتحققا فى صورة كاملة فى السياسة على الإطلاق . ونحن نعرف أن القرن العشرين هو قرن السياسة بكل ما فى الكلمة من معنى . إننا نعيش فى السياسة دائماً فوق أرض بركانية ، وعليها أن نستعد لمواجهة أية هزة ، وأى انفجار ، ولا يمكن لأى قوة عقلانية فى الأوقات الحرجة أن تطمئن إلى قدرتها على الحيلولة دون عودة الأسطورة القديمة ، إذ تعود الأسطورة مرة أخرى فى مثل هذه الظروف لأنها لم تقم ولم تروض بصفة نهائية ، فهى موجودة دائماً فى الظلام وتتهبأ للانقضاض فى اللحظة المناسبة . وتجيء هذه اللحظة المناسبة بمجرد تعرض القوى التى تربط المجتمعات الانسانية للوهن لسبب أو لآخر ، وعندما تعجز عن محاربة شيطان الأسطورة^(٢) . غير أن عودة هذا الشيطان تتم هذه المرة وهو عقيد الحركة ، أسيراً لصاحب القوة العقلية صانع السياسة أو المتحكم فيها .

(١) فيليب ماسون : فكرة صائبة عن الأجناس والعنصرية — ترجمة د . شوقي طموم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٧ — ص ١٠٦

(٢) ارنست كاسيرر الدولة الاسطورة مرجع سابق — ص ٣٦٩ — ٣٧٠ .

لقد عاد ساسة اليوم من جديد إلى حقل الأسطورة لينهلوا منه عن قناعة ، عارفين كل المعرفة أن تحريك الجموع الكبيرة اعتماداً على قوة الخيال بكثير من تحريكها بواسطة القوى المادية الصرفة . ولقد استفادوا من هذه المعرفة أعظم فائدة ، وأصبح الساسة نوعاً من العرافين في المسائل العامة . وأصبح التنبؤ عنصراً أساسياً في فن الحكم الجديد ، وأصبحت الوعود تلقى بغير حساب بغض النظر عن استحالتها ، أو عدم إمكانها ، فهناك وعود يوتوبية (طوباوية) متعددة تكرر النظم السياسية المختلفة الوعد بها بغير انقطاع .

ويكاد لا يوجد حاكم واحد لا يركن في السياسة إلى استخدام الأسطورة ، بما في ذلك حكامنا العرب ، حيث اعتمدوا على خديعة العالم العربى بثلاث أساطير رئيسية^(١) : الثورة بغير ديمقراطية ، والاشتراكية بغير مشاركة شعبية ، وإمكان تحقيق الوحدة العربية باستخدام القوة ، بيد أن الآثار السيئة المترتبة على مثل هذه الأساطير التى تصفها النخبة السياسية السلطوية تتحملها الفئات السياسية الخاضعة لها وحدها دون غيرها من الشعوب والفئات الأخرى للدول المجاورة أو غير المجاورة ، وهذا على العكس تماماً من التأثيرات السيئة التى تترتب على « اختراع » النظم السلطوية في الدولة الصهيونية لأساطيرها ، وتهدف الصهيونية من ورائها إلى إخفاء الشرعية على العدوانيات المتتالية وضم أراضي الغير من جانبها ، فالضحايا المباشرون هذه الأساطير هم عموم العرب — أى غير الخاضعين للسلطوية السياسية في إسرائيل ، أما الضحايا الآخرون فهم اليهود في داخل إسرائيل وخارجها ، وتمثل خسائرهم في أكثر من جهة ، فهم أولاً ضحايا لأساليب التزييف الفكرى التى ترتكها الصهيونية السياسية ، ثم أنهم يعيشون بسبب هذه الأساطير في أزمة هوية ، يعيشون الاغتراب عن الأوطان التى تؤويهم ، يعيشون في وعى زائف ، صنعته الأساطير السياسية التى تخلب اللب وتجعل علاقات اليهود بالمجتمعات التى تربو بين ربوعها علاقة عابرة . فيحيا اليهود في دائرة أسطورة فلسطين التى غادرها آباؤهم « الأسطوريين » منذ ألفى عام فتضيع داخله الحدود الفاصلة بين الوطن والانتفاء ،

(١) السيد ياسين : سقوط الأساطير السياسية . مقال بمجلة العربى الكويتية العدد ٣٩٥ — أكتوبر ١٩٩١

فيسعى بدلاً من أن يعيش على الأرض التي ولد فيها لاكتساب المواطن في أرض ليست له . حتى هؤلاء الذين اكتسبوا هذه المواطنة ، يعيشون في أزمة أخلاقية كبيرة سببها أنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن الأرض التي يزرعونها ، والبيت الذي يسكنون فيه ، ليست أرضهم ولا بيتهم ، ومع ذلك أفلحت الأسطورة الصهيونية في إقناعهم بالاستيلاء عليها ، رغم أن هذا ، لا ضد مبادئ القانون الدولي فقط ولكن ضد أبسط مبادئ الأخلاق .

ومن العجيب أننا لو درسنا الأساطير السياسية الحديثة ، وعرفنا طرق استعمالاتها ، سنرى أمراً مثيراً للدهشة . فهي لم تكتف بإعادة تقويم القيم الأخلاقية ، ولكن قامت بتحويل الكلام الإنساني . فإذا ما كان للكلمة في تاريخ الحضارة الإنسانية مهمتان بعيدتا الاختلاف ، يمكن تسمية المهمة الأولى منها بالمهمة الدلالية للكلمة التي بغيرها لن يتحقق أى كلام إنساني ، في حين تسمى المهمة الأخرى باسم المهمة السحرية لها ، حيث لا تصف فيها الكلمة الأشياء ولا العلاقات بين الأشياء . بل تحاول إحداث أثر وتغيير اتجاه الطبيعة اعتماداً على فن سحري محكم . والمهمة الأخيرة هي المهمة التي تركز إليها الأساطير السياسية ، فأصبح للمفهوم السحري للكلمة الصادرة على المفهوم الدلالي لها . وأصبحت الكلمات القديمة تستخدم للدلالة على معان جديدة ، كما حدث تغيير كبير في معناها . ويرجع هذا التغيير إلى أن هذه الكلمات ، بعد أن كانت تستخدم في أغراض دلالية ووضعية ومنطقية قد أصبح لها الآن دور سحري . قصد به إحداث آثار معينة لتحريك انفعالات معينة . إن فحوى كلماتنا العادية هي المعاني . أما هذه الكلمات التي أعيد صياغتها ، فمشحونة بمشاعر وأهواء عنيفة^(١) . والأسطورة السياسية الصهيونية — مثلها في ذلك مثل كل الأساطير السياسية الحديثة — ليست غافلة عن هذا الأثر السحري للكلمة . خذ في ذلك مثلاً بكلمة « أهولو كوست » وهي في أصلها اللغوي — العبري — تعني « المحرقة » و« الأضحية » . ومنشؤها أن اليهود كانوا يقدمون قرباناً أو أضحية دينية على شكل ضحية بشرية تحرق تماماً بالنار ، وهذا التقليد اليهودي تحول مع الزمن إلى الرمزية ، فأصبحت الضحية عبارة عن « عجل » أو « تيس » ، ثم اكتسب

(١) ارنست كاسيرر الدولة الاسطورة مرجع سابق ص ٣٣٨ .

كلمة « الهولوكوست » معنى : الحرق التام والنهاى كتنصحية وفداء وتكفير .
 « أما فى الأسطورة السياسية المزعومة فهى تشير إلى « الإبادة والرعب الذى عاشه اليهود تحت حكم النازية فى أوربا » . وقد خرجت عشرات الأفلام السينائية والمسلسلات التليفزيونية والإذاعية ، ومئات وآلاف الكتب والمجلات حول « الهولوكوست » . ولا تمر ساعة فى السينما الغربية ، وفى التلفزة وأجهزة الإعلام دون العزف على الأسطورة الهولوكوست . مما جعل للاستعمال الحديث للهولوكوست معانى ورموزاً هامة : اليهود « كبش الفداء » الأبدىين فى « محرقة » العنصرية ومعاداة السامية .

ونعود إلى الأساطير السياسية بصفة عامة لنشير إلى أن دور الأسطورة السياسية أصبح من الأهمية بمكان فى عصرنا الحاضر بالنسبة لأغلب النظم السياسية الطاغية فى مجتمعاتنا الحديثة ، فهى البديل — وهذه نقطة هامة إلى حد ما بالنسبة للأسطورة السياسية الصهيونية — عن الوسائل القمعية والتقليدية التى كانت مستخدمة من قبل . فلقد سبق منذ الأزل اللجوء إلى وسائل القمع والإكراه فى الحياة السياسية ، وأن كانت هذه الوسائل لم ترم فى أغلب الأحيان إلى غير تحقيق غايات مادية ، وقنعت حتى أغلب نظم الطغيان المرعبة بفرض قوانين معينة من الناحية العملية . ولم تكن مسائل شعور الناس وأحكامهم ، وأفكارهم من المسائل التى اهتمت بها هذه النظم على الإطلاق . حقاً لقد بذلت محاولات عنيفة خلال المشاحنات الكبيرة للسيطرة على أفعال الناس وضمائرهم ، ولكن هذه المحاولات تعرضت للإخفاق . والأثر الوحيد الذى أحدثته هو تقوية الشعور بالحرية الدينية . وتتجه الأساطير السياسية الحديثة الآن أتجهاً مخالفاً للغاية . فهى لا تبدأ بالمطالبة « بتحريم » أفعال معينة ، أنها تهدف إلى تغيير الناس حتى تستطيع تنظيم أفعالهم والتحكم فيها .

إن أثر الأساطير السياسية الحديثة لشبيهة بالحية التى تحاول شل فريستها قبل أن تفترسها ، والناس يقعون فى أسرها بغير أن يظهروا أية مقاومة جادة لها . فهم يتعرضون للهزيمة والخضوع قبل أن يدركوا بالفعل ما حدث .. وما كانت وسائل الاستبداد السياسية المعتادة لتكفى لأحداث هذا الأثر . فلقد استطاع الناس — حتى تحت أقصى الضغوط السياسية — أن يحبوا وفق مشيئتهم . وظل هناك على الدوام

جانب من الحرية الشخصية تقف في وجه هذا الضغط . واستطاعت المُثل الأخلاقية الكلاسيكية في العصور القديمة أن تحافظ على هذه القوة ، وأن تدعمها وسط فوضى الفساد السياسى فى العالم القديم . فلقد عاش « ستىكا » فى عهد « نيرون » وعمل فى بلاطه ، وإن كان هذا لم يحل دون قيامه بالمجاهرة فى أبحاثه ورسائله الأخلاقية بخلاصات لأسمى الأفكار الرواقية ، أو بأفكار خاصة باستقلال الإرادة وتحرر الرجل الحكيم .

لقد حطمت الأساطير السياسية كل هذه الأفكار والمُثل وحالت دون إحداثها أى أثر فعال . وأصبح فى وسعها ألا تخشى أية معارضة فى هذا الجانب . وهى فى هذا تتكأ على عصا الحرية الأخلاقية والسياسية . ونحن ندرك أن الحرية السياسية من الشعارات التى أصبحت تتصف بالابتزاز والإسفاف من كثرة استعمالها . فلقد أكدت لنا كل المعسكرات السياسية أنها الممثلة الحقيقية للحرية ، وأنها الوحيدة القادرة على حمايتها — وأن كل هذه المعسكرات قد اتجهت إلى تعريف هذه الكلمة تعريفاً يتوافق مع مقصدها — وسخرتها لمصالحها الخاصة . والحرية الأخلاقية أبسط من ذلك ، فهى خالية من أى إيهام من النوع الذى يبدو مُحتملاً فى الميتافيزيقيا والسياسة على السواء . إن ما يجعل الناس يتصرفون ككائنات حرة ليس تمتعهم بالحرية التى لا تنقيد بأى قيد ، وأن ما يجعل العقل يتصف بالحرية ليس خلوه من الدافع ، بل طابع هذه الدوافع ، ويعد الإنسان حراً بالمعنى الأخلاقى إذا اعتمدت دوافعه على حكمه الخاص بما يعنيه الواجب الأخلاقى وعلى إيمانه بهذا المعنى . وفى أوقات الأزمات الاجتماعية العنيفة عندما يبدو انهيار الحياة العامة وشيكاً ، ففي هذه الأوقات يتجه الفرد إلى عدم الوثوق فى قدراته ، ونظراً لأن الحرية ليست ملكة موروثه عند الإنسان ، فإذا ما أراد التمتع بها عليه أن يخلقها — ولو ترك الإنسان لاتباع غرائزه الطبيعية ، فإنه لن يكافح من أجل الحرية ، بل لعله يختار حيثئذ التبعية ، فلا يخفى أن الاعتماد على الآخرين فى التفكير والحكم والتقييم والتعميم أهون من الاعتماد على النفس^(١) . وهذا يفسر لماذا كثيراً ما ينظر إلى الحرية فى حياة الأفراد والحياة السياسية على أنها عبء أكثر منها امتيازاً ، ويحاول الإنسان فى الظروف البالغة الشدة أن يخفف من هذا

العبء .. هنا تجدد الدولة الشمولية ، والأساطير السياسية الفرصة سانحة . فالمعسكرات السياسية قادرة على أقل تقدير على الوعد بالاهتداء إلى مخرج من هذا المأزق . لأنها وإن كانت تقمع الشعور بالحرية ذاته وتحطمه ، إلا أنها في الوقت نفسه تحرر الناس من كل شعور بالمسؤولية الشخصية .

لقد كانت الدعاية الصهيونية على علم بهذه القاعدة السياسية — قمع حرية المواطنين بدعوى تخليصهم من أعباء السياسة — حين راحت تبني من انواء أساطيرها السياسية ، فاتجهت بالثقل الأكبر من أساطيرها إلى الدولة المعروفة في دستورها بأنها « بلد حر » وراحت تستغل فيه مدى إحساسه بالحرية أو الحاجة إليها ، وراحت تقمع فيه — عن « وعى كامل منها » وعلى غير إرادة منه — حريته في أن يرفض أساطير أثبت علم التفسير منذ قرون ، وبخاصة في السنين الأخيرة عدم صحتها وفندها تفنيداً . وجعلت اليهود الأمريكيين ، مثلهم مثل يهود إسرائيل ، يرضون بقبول مالا يمكن قبوله عقلاً عن « دولة إسرائيل » التي هي الوريث الشرعى والامتداد الطبيعى « لإسرائيل التوراتية » وجعلت كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية عن الشروط اللازمة لعودة المسيح ، ومنها عودة « دولة إسرائيل » .. وبصحة أقوال « مدارس الأحد » البروتستانتية حول العودة إلى جيل صهيون .

ولكن من أين ينبع الأساطير السياسية الصهيونية ؟

تنبع معظم الأساطير الصهيونية من مخيلة بعض الصهيونيين الذين أنيط اليهم مهمة قيادة غرفة العمليات الدعائية الإسرائيلية حيث توجد بإسرائيل غرفة عمليات دعائية — سبق الحديث عنها — تعمل على متابعة الأنباء والتطورات أولاً بأول . وإظهار رد فعل ونشر دعاية عنه في الوقت المناسب حيث يعتبر عامل التوقيت من أهم تكتيكات الدعاية الصهيونية التى يجب أن تتفق وسيكلوجية الجماهير واستعدادهم لتقبل هذه الدعاية في هذا الوقت بالذات .

وتعمل هذه الغرفة الدعائية وفق أسلوب دعائى علمى يسمى بالتظير العلمى أى أنها تضع النظرية أولاً بواسطة خبراء متخصصين في الدعاية والإعلام وبمشاركة علماء في مجالات العلوم والاقتصاد والسياسة . ثم ينحون على النظرية

بالعمل والتفديد وصراخ الابواق وفق استراتيجية متكاملة لكل أسطورة :

نظرية ، تخطيط إستراتيجى — أعمال مرحلية — نظريات فرعية متممة — نتائج — ثم نظريات أخرى تلائم النتائج والمكتسبات ، وهكذا دواليك .
وطبيعى أن تلجأ غرفة العمليات الدعائية تلك إلى دعم أساطير السياسة بأساليب تتنافى مع مقومات التفكير السليم — لأنها أولاً وأخيراً أساطير — وتستخدم كل أنواع المغالطات من أجل تبرير هذه الأساطير ، ثم وهذا هو الأهم تركيز طويلاً على صراخ الأبواق الدعائية الصهيونية لهذه الأسطورة ، الأمر الذى يجبر معظم العقول على أن تستسلم بسهولة لهذه الدعاية الملحة المتكررة . ولكن العقول الواعية نفسها قد تظل تقاوم تأثير الدعاية وترفض هذه الأساطير ، وتحفظ بقدرتها على التفكير السليم إلى حين ، ثم قد لا تجد أمامها مفرّاً من الاستسلام فى آخر الأمر « لأن الدعاية العلمية » الحديثة بصفة عامة تعمل بحرص ودأب على إشاعة العقلية التى تستلم ها . وعلى هدم روح النقد ونشر روح الانقياد «^(١) .

وطبيعى أيضاً أن يكون لكل مرحلة أساطيرها ، كما أن بعض هذه الأساطير سابق لنشأة الصهيونية السياسية ، ويرتد إلى نصوص العهد القديم من الكتاب المقدس حيث يلاحظ فى جميع الأسفار الإسرائيلية ميل ظاهر إلى استخراج نظرية من انتظام الحوادث . وخاصة وأن هذه الأسفار لم تكتب لحفظ الذكرى للوقائع الممتعة فقط . بل كان غايتها إثبات شىء . وهذه الأسفار جميعاً إذا وضعت بصيغة الجزم بدأ حسن النية فيها هزياً — مثل أسطورة « أرض الميعاد » و « شعب عمر المختار » ، فإن لكل مرحلة صهيونية أساطيرها بدءاً من أسطورة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض ، وأسطورة الأرض (فلسطين) الياب ، ومروراً بأساطير « السيف والحراث » و « إعدام ستة ملايين يهودى فى أفران الغاز » و « الحق التاريخى » بل أن لكل حرب خاضتها إسرائيل مع العرب أساطيرها التى نبعت من موقفين رئيسيين ، الأول ، محاولة تدمير وإحباط عزائم العرب وتحطيم إرادتهم ووصفهم بما هو ليس فيهم . وفى هذا تحمل الأسطورة محل الشائعة التى

(١) التفكير العلمى . مرجع سابق ص ١١٢ .

هى بالأساس « كذب مدمر » والثانى كبديل عن العجز أو الخوف ، والعكس صحيح أيضاً ، فالانتصارات الإسرائيلية السهلة التى تدعم الأمن وتظهر القدرة الإسرائيلية مصدراً خصباً للأساطير :

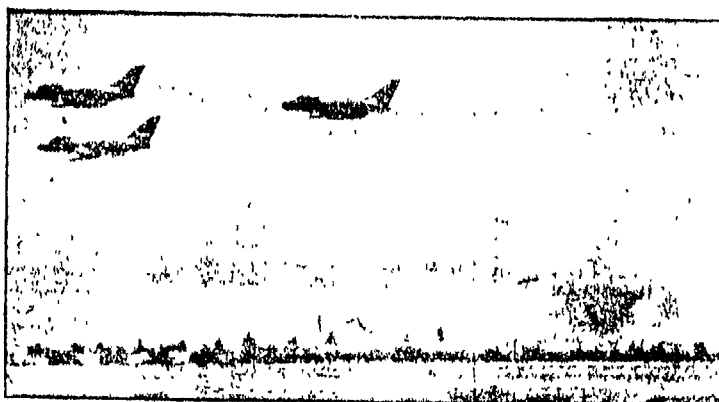
ففى حرب ١٩٤٨ سادت عدة أساطير أشهرها أسطورة داود وجوليات .
وفى حرب ١٩٦٧ سادت عدة أساطير أشهرها أسطورة الجيش الذى لا يقهر .

وفى كل الحروب يتم دعم الأساطير السياسية الإسرائيلية بالكاذب . ويكون هدف الكذب فى منشأ الأسطورة هو تقويتها . بينما يكون هدفه — والأسطورة فى طريقها إلى زوال — هو محاولة تأجيل موتها ، وهو بهذا أكثر شبيهاً بقبلة الحياة التى يتم بها إعادة الميت إلى الحياة ، لكن الميت — ولأنه قد انتهى يموت بعدها بقليل . وخير مثال على هذه الأكاذيب التى استخدمتها الدعاية الصهيونية . هو الفبركة الصحفية التى قامت بها صحيفة « النيوزويك » لصور أرادت أن تثبت بها روعة الانتصارات الإسرائيلية ، فقد نشرت فى عددها الصادر يوم ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ صوراً لطائرات تلقى بقذائفها على أرض صحراوية وكتبت تحتها « طائرات سكاي هوك الإسرائيلية تقصف قواعد مصرية فى السويس » وسجلت أن الصورة من تصوير كيستون Photo Kegstone . والطريف أن الصورة نفسها . وبكل جزئياتها منشورة فى كتاب اسمه « قصة الطيران الإسرائيلى » صدر فى لندن عام ١٩٧٠ . وهو كتاب دعائى عن دور الطيران الإسرائيلى فى حرب يونيو ١٩٦٧ . وكان المكتوب تحت نفس الصورة فى الكتاب « طائرات ميستر تلقى قنابل نابالم أثناء عرض أقيم بمناسبة يوم السلاح الجوى الإسرائيلى فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ . والأكثر طرافة أن الصورة مسجلة فى الكتاب أيضاً على أنها من تصوير كيستون ^(١) ! وهكذا فإن أكاذيب إسرائيل لا تنتهى ، لا فى دعايتها الإسرائيلية ولا فى دعاية أذنانها الصهيونية ، ومع أنه من المباح أن تستخدم كل الدول الأكاذيب أثناء الحرب حيث كان تشرشل مثلاً يرى أنه فى الحرب « تكون الحقيقة غالية علينا ،

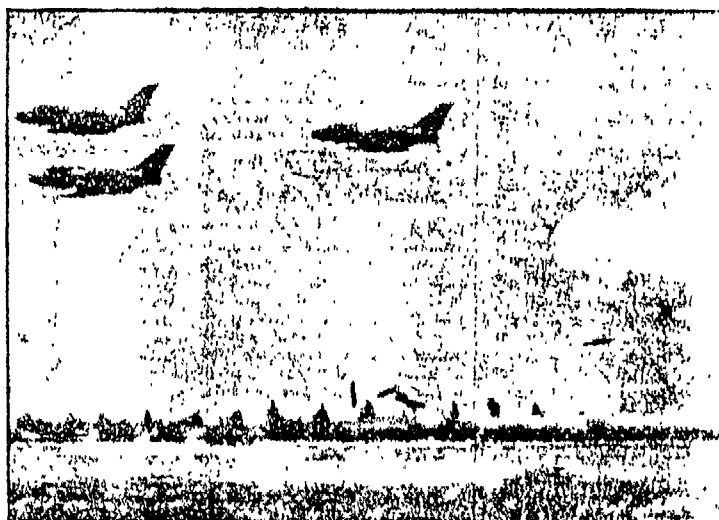
(١) موسى صبرى . مقال نخريدة الأخبار عدد ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

لدرجة أننا يجب أن نحرسها بحيش من الأكاذيب ، فكانت الأكاذيب التي نسبت إلى تشرشل أثناء الحرب العالمية الثانية في كل الجبهات ٣٥٠٠ أكذوبة . إلا إن إسرائيل تمارس أكاذيبها ليل نهار في حرب وفي سلم ، وقد تكرر العضلة أن إسرائيل ترى أن كل لياليها وأيامها حروب ، فحروبها مع العرب لا تنقطع ، وليس مهما أن تكون الحروب على جبهات القتال ، فالمدفع والطائرة والصاروخ يصبحون في وقت السلام أكاذيب فجأة تتحول بمهارة وخبت يهوديين إلى أساطير على غرار أسطورة التبرئة من سفك دم المسيح ، أو أسطورة نقاء الجنس اليهودي ، أو أسطورة العداء للسامية أو أسطورة العرى القبيح ، أو أسطورة الرغبة الإسرائيلية في السلام أو غيرها من أساطير ظلت الدعاية الصهيونية لها تطبق مبدأ جوبلز — وزير الدعاية النازي — القائل : « أكذب ثم كرر الكذبة حتى يضطر الناس إلى تصديقك » حتى صدق الناس ، أو على الأقل غالبية الغربيين مضمون هذه الأساطير ، وهذه هي الطامة الكبرى بالنسبة لنا نحن العرب ، وبالنسبة لأي باحث في الأساطير السياسية الصهيونية أو أى مؤرخ لهذه الأساطير . فمشكلة أى باحث انثروبولوجى أو أى مؤرخ للأساطير العادية أنه قد يجد حقيقة قد تحولت إلى أسطورة فيظل يتتبع جذور الأسطورة وما قد ترمز إليه حتى يصل إلى الحقيقة أو يقترب منها . أما هنا فالعكس ، فالأسطورة السياسية الصهيونية قد تحولت إلى حقيقة في أذهان الناس ، إذ أنه لا يكاد يوجد في أساطير العالم السياسية أساطير أخذت طابع الحقيقة مثلما حدث في أساطير إسرائيل السياسية . ولكن هل يمكن دحض هذه الأساطير التي تحولت إلى حقائق عن طريق الفلسفة أو المنطق ؟

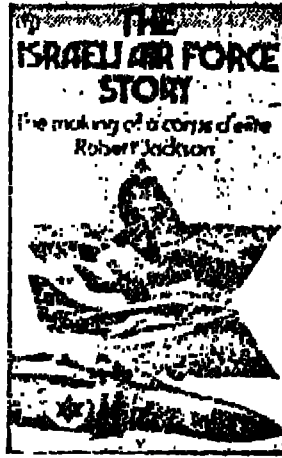
إن القضاء على الأساطير السياسية أمر يفوق قدرة الفلسفة أو المنطق وحدهما . فالأسطورة بمعنى ما معصومة ومنيعه أمام البراهين العقلية . ولا يمكن دحضها تماماً بوساطة القياسات المنطقية وحدها . إذ لابد من الاستعانة بالمنطق والفلسفة والتاريخ والعلوم وبكل الوسائل لدحضها . لكن الفلسفة تستطيع أن تؤدي لنا خدمة هامة أخرى . أنها تستطيع تعريفنا بأعدائنا ، لا معرفة ظاهرية إذ نعلم جميعاً أن إسرائيل والصهيونية هما عدونا اللدود الأول . ولكن معرفة عميقة نستطيع من خلالها أن نحارب ، فأول المبادئ الأولية في الاستراتيجية الصحيحة أن تعرف عدوك .



صورة العرض الاسرائيلى الجوى فى الكتاب ، ووصفت بأنها طائرات مبستير بلقى فنابل .
نابالم فى عرض أقيم يوم سلاح الجو الاسرائيلى فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ .



نفس الصورة نشرت فى مجلة النيوزويك فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وكتب تحتها أنها طائرات
سكاي هوك إسرائيلية تقصف قواعد مصرية فى السويس !! الفارق الوحيد أنهم حذفوا
جزءاً قليلاً من عرض الصورة .
أحد الأدلة على أكاذيب الدعاية الصهيونية خلال حرب ١٩٧٣ .



الكتاب الذى صدر فى لندن فى عام ١٩٧٠ بعنوان « قصة الطيران الاسرائيلى » بقلم روبرت جاكسون ، ونشرت فيه صورة العرض الجوى الاسرائيلى فى ١٩ يوليو ١٩٦٩ .

ولا يعنى ذلك معرفة أوجه نقصه وضعفه فقط ، وإنما يعنى أيضاً معرفة أسباب قوته التى تكمن فى مجموعة الأساطير السياسية التى يوجهها عبر أبواقه الدعائية إلى أبنائه .. وإلينا .. وإلى غيرنا .

وإذا كنا جميعاً قد جنحنا فيما مضى إلى الاستخفاف بهذه القوة ، فعندما سمعنا بأساطيره السياسية اعتقدنا أنها حمقاء وقاصرة ووهمية ومثيرة للسخرية إلى أبعد حد ، بحيث لا يتصور تسلطها علينا وعلى غيرنا ، ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى النظر إليها نظرة جادة . إلا أننا اليوم وقد اتضح لنا أن هذا كان خطأ بالغا . علينا ألا نقترف نفس الخطأ مرة أخرى . أن علينا أن ندرس فى عناية أصل الأساطير السياسية الصهيونية ، وتكوينها وأساليبها ، وطرق تنفيذها . علينا أن نرى عدونا الصهيونى وجهاً لوجه حتى نعرف كيف نحاربه .



الفصل الثالث أسطورة العداء للسامية

« أن صيحة اللاسامية القبيحة ، هي العصا التي يستخدمها
الصهاينة لحمل غير اليهود على قبول وجهة النظر الصهيونية بشأن
الأحداث العالمية أو لحملهم على التزام الصمت »

الصحفي الأمريكي هارولد . ر . بايتي

-
- الساميون هم العرب وليسوا يهود اليوم ، والموجود اليوم عداء لليهودية .
 - العداء لليهودية الموجود اليوم مفتعل من قبل اليهود أنفسهم .
 - أفلحت الصهيونية في هذا القرن في إنشاء منظمات تحارب العداء للسامية .
 - إسرائيل تراقب كل ما يكتب في العالم عنها وعن اليهود وعن الصهيونية .
 - يكفي أن نكتب في أمريكا عبارة ضد اليهود في دورة مياه حتى يقيم اليهود الدنيا .
 - اليهود يؤولون أى هجوم على يهودى أو إسرائيلى أو الصهيونية إلى هجوم على السامية .
 - التعاطف مع الفلسطينيين معناه العداء للسامية !
 - « بوش » لم يسلم من الاتهام بالعداء للسامية !
 - في فرنسا يتر سيف اللاسامية كل كلمة عن أكذوبة أفران الغاز .
 - في فرنسا قانون يعاقب على مجرد الاقتباس من بروتوكولات خبثاء صهيون .
 - في معاداة اليهود لا يمكن اعتبار العداء جريمة دون أن نسأل عن أسباب العداء .
 - إسرائيل تبتكر حوادث نبش القبور لتتهم الفلسطينيين بالعداء للسامية .
 - لا توجد دولة في العالم تخشى « خطر » السلام إلا إسرائيل !
-

● أسطورة العداء للسامية

قبل عدة سنوات كتب العالم البريطاني الأستاذ « آرثر كويستلر » يقول « إن أجداد يهود اليوم لم يقدموا من الأردن أو فلسطين ، بل من الفولجا ، وأنهم لم يهيموا من كنعان ، بل من القوقاز ، وأنهم من حيث الأرومة أقرب رَحماً لقبائل الهون والايغور والجر منهم للذرية ابراهيم واسحق ويعقوب . وأنه إذا تحقق هذا فإن القول بالعداء للسامية يصبح خلواً من المعنى » .. إن رحلتنا في هذا الفصل تنبع في دراسة العداء للسامية من الإجابة عن الأسئلة الآتية : — .

— ما المقصود بالتسمية « السامية » ؟ ومن أول من استخدم الكلمة ؟

— هل يهود اليوم ساميون ؟ هل تنطبق عليهم مقولة العداء للسامية ؟

— فإذا لم تنطبق ، فهل هو عداء لليهودية ؟

— فإذا كان عداء لها ، فمن هم موجدوه ، وما هي دوافع وجوده ؟

بداية فإن « السامية » هي اسم علم على مجموعة القبائل والشعوب التي سكنت في جزيرة العرب (المملكة العربية السعودية الآن) ثم انطلقت منها شمالاً لتستقر في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين قبل الألف الثالث قبل الميلاد .. وأول من استخدم كلمة السامية للإشارة إلى هذه الشعوب (كسمية وكمصطلح وكعلم) هو « أوجست لوديك شلوتسر » عام ١٩٨١ حيث كتب يقول :

« من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ، ومن وادي الرافدين إلى الجزيرة العربية سادت — كما هو معروف جيداً — لغة واحدة ، وعلى هذا فالسومريون والبابليون والعبرانيون والعرب كانوا شعباً واحداً . ولقد تكلم لغة واحدة . تكلم بها الفينيقيون ، هذه اللغة أسميها « السامية » .

والحقيقة أن تسمية السامية التي استمدها شلوتسر من اسم سام بن نوح الوارد في التوراة لا تدل على حقيقة منيت هذه الشعوب ، وتلك اللغة ، ألا وهي الجزيرة

العربية . ومنبع الخطأ في استخدام اسم سام أنه لا يستند إلى واقع تاريخي أو إلى أسس علمية عنصرية (جنسية) صحيحة أو وجهة نظر لغوية سليمة ، إنما هو محاولة من شلوتسر إلى رد أسماء الشعوب القديمة إلى رواية توراتية ثبت فساد فحواها .

إن شلوتسر لم يطلق على هذه اللغة وتلك الشعوب اسمها الحقيقي نسبة إلى موطنها الحقيقي : أقوام عربية ولغات عربية ، أو حتى أقوام جزيرية أو لغات جزيرية (نسبة إلى الجزيرة العربية) ولكنه أخطأ وأطلق كلمة السامية . وعلى هذا فالمقصود بالعداء للسامية أو اللاسامية أو ضد السامية هو العداء للأقوام الجزيرية التي سكنت جزيرة العرب أو هاجرت منها ومن بينهم نسل ابراهيم الخليل . وهذه الأقوام عربية المنبت ويمثل العرب أبناء الشرق الأوسط نسلاً مرتبطاً بها بأوثق الصلات .

بيد أن الصهيونية ، اعتماداً على خطأ شلوتسر—ولأسباب سياسية محضة — أفلحت منذ مطلع هذا القرن في تحريف المعنى ، وتضليل الباحثين ورجل الشارع حول المقصود بالعداء للسامية ، وذلك بقصر هذا العداء على اليهود دون غيرهم من الشعوب العربية ! فأصبح العداء للسامية علماً على العداء لليهودية أو لإسرائيل ، وبذلك جعلوا من العداء للسامية « بهذا المعنى فقط » أسطورة يدعم أسطورتها خمس حقائق . ومعلوم أنه إذا وقفت حقيقة ضد فكرة ما أصبحت هذه الفكرة أكذوبة ، فإذا تم تنميق هذه الأكذوبة أصبحت أسطورة . والحقائق الخمس هي :

١ — إن يهود اليوم — أو بالأصح : صهيونيو اليوم — ليسوا امتداداً لليهود الأمس ، وأن الصلة بينهم وبين العبرانيين الأوائل الذين خرجوا من أرض الكلدانيين مقطوعة .

٢ — إن العداء للسامية باعتباره عداء لليهودية أو لليهود أو لإسرائيل عداء مفتعلاً وأن مثل هذا العداء المفتعل هو الذي أنجب إسرائيل وهو الذي يمدها بشتلات بشرية جديدة وبمياه مادية تروى هذه المشكلات .

٣ — إن العداء لليهودية وإسرائيل في الولايات المتحدة وأوروبا في طريقه

مسيحي جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة في مؤتمر بمدينة القدس المحتلة ، تعبيرا عن الدور المركزي لهذه المدينة المقدسة في فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة . وقد جاء تأسيسها إثر رفض المجتمع الدولي لقرار الحكومة الإسرائيلية اعتبار القدس عاصمة موحدة أبدية « لإسرائيل » . وكرد فعل على قيام عدد من دول العالم بنقل سفاراتها من القدس إلى تل أبيب . وقد افتتحت « السفارة » مقراً رئيسياً لها في ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة وافتتحت لها فروعاً في عدد كبير من المدن الأمريكية الرئيسية . كما أعلنت عن افتتاح قنصليات لها في ٣٧ دولة في أوروبا وآسيا وأفريقيا . وكندا وأستراليا . وقد جددت هذه المنظمة — السفارة أهدافها في منشور أصدرته لهذا الغرض في عام ١٩٨٠ على الشكل التالي :

١ — الاهتمام البالغ بالشعب اليهودي ودولة « إسرائيل » .

٢ — تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة من أجل القدس وأرض « إسرائيل » وتخريضهم لممارسة التأثير في بلادهم لصالح إسرائيل .

٣ — إنشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية في إسرائيل .

وقد اختصر زعيم هذه السفارة أهداف منظمته بقوله : إننا صهيانية أكثر من الإسرائيليين أنفسهم^(١) .

وتعقد منظمة « السفارة المسيحية الدولية » مؤتمرات واحتفالات وصيريات لها سنوياً في إسرائيل . وفي احتفالات ١٩٨٣ شارك أكثر من ثلاثة آلاف مسيحي صهيوني ، وفي احتفالات ١٩٨٤ حشدت السفارة سبعة آلاف من رجال الدين المسيحي جاءوا من أكثر من ٥٠ دولة تجمعوا في القدس ونظموا الاحتفالات وسيروا المظاهرات تأييداً « لإسرائيل » ودعماً لها . وتقول الواشنطن بوست^(٢) « لقد حضر هذه الاحتفالات رئيس وزراء إسرائيل وقادتها ، وكان عنوانها : القدس كعاصمة أبدية لإسرائيل .

وفي عام ١٩٨٥ عقدت المنظمة مؤتمراً لها في مدينة بازل بسويسرا ، في نفس المكان الذي انعقد فيه أول مؤتمر للحركة الصهيونية السياسية ، وحضر

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) عدد ١٣ من أكتوبر ١٩٨٤ .

السياسية وذلك لإقناع اليهود بالفرار من أوطانهم والهجرة إلى فلسطين ، ثم لدفعهم إلى عدم الاندماج وسط المجتمعات التي يعيشون بين ربوعها ، وهذا هو أكبر خطر تخشاه الصهيونية وليس معنى الاندماج Assimilation هو أن يختفى اليهود كيهود ، ولكن معناه أن يبقى اليهودى يهوديا ، كما أن المسلم سيظل مسلماً والمسيحي مسيحياً ، ومرد خطر الصهيونية من مثل هذا الاندماج هو اختفاء إحساس اليهود ، لنقل في أمريكا مثلاً ، بأنهم نوع مختلف وأنهم شعب مختار قائم بذاته ، وتفصله هوة عميقة عن الأمريكى العادى .. وبالتالي سوف يصبح ولاء اليهودى السياسى والقومى لأمريكا فقط ، وسوف يقل ولاؤه للصهيونية وللدولة إسرائيل وسوف تنتهى من ذهنه نهائياً فكرة « العودة إلى أرض الميعاد » وهى أهم الأفكار التى تقوم عليها الصهيونية ، والتى عبر عنها أحد زعماء المنظمة الصهيونية الأمريكية (فى مؤتمرها المنعقد فى واشنطن بتاريخ ١٩٦٢/٦/٢٨) بقوله : « إن الخطر الذى يواجهه يهود أمريكا ليس الشعور المعادى للصهيونية ، بل هو خطر الاندماج بالشعب الأمريكى » .

ولما كان الاندماج لا يأتى إلا فى ظروف التعايش السلمى وتبادل المصالح بين مختلف طوائف الوطن الواحد ، لذا فقد عمدت الصهيونية منذ البداية إلى محاربة هذا التعايش السلمى والتخطيط لتدمير كل ما من شأنه أن يترك اليهود يعيشون بسلام مع مواطنيهم حيثما كانوا ، حتى ولو كان ذلك باستخدام القوة ضدهم ، فالهم ليس الوسيلة ، ولكن الغاية ، والغاية هى إنشاء دولة إسرائيل ، وتدعيم هذه الدولة بعد إنشائها بمدد جديد من المهاجرين الذين يتم « ركلهم فى أوطانهم لدفعهم إلى الهجرة إلى إسرائيل ، ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم لماذا تحالف هرتزل مع « فون بلهيف » وزير نيغولا الثانى الذى كان من ألد أعداء السامية ولماذا تمت مذبحه « كيشينيف » ضد اليهود الروس بعد مرور أربعة شهور فقط على زيارة هرتزل لروسيا ولقائه والوزير الروسى .. لقد كان هرتزل الذى كتب يقول :

كان اللساميون محقين ، ولا يحق لنا أن نشعر بالغيرة إزاءهم ، فنحن أيضاً سنكون سعداء ، لقد كان هرتزل وراء هذه المذبحه اللسامية التى ذُبح فيها بعض

اليهود ككبش فداء عن يهود آخرين^(١) .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم لماذا ضحى قادة الصهيونية في عهد النازي بجزء من القطيع اليهودي في ألمانيا وأوروبا لدفع باقي القطيع للهجرة إلى فلسطين ، ولماذا وقفت بعض المنظمات الصهيونية ضد فتح الأبواب الأمريكية أمام هؤلاء المهاجرين أو الفارين من جحيم الحرب العالمية الثانية .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم لماذا تم إغراق السفينة « إلتانيا » وعلى متنها ٩٠٠ مهاجر يهودي ، قرب شواطئ حيفا عام ١٩٤٦ على يد عصابة « الأرجون الأرهابية الصهيونية » ، ثم إلصاق هذه التهمة بالعرب ، لقد تم إغراق هذه السفينة — والترويج لهذا الحادث إعلامياً — حتى يسمح رد الفعل الانساني ، بمزيد من الهجرة الشرعية إلى إسرائيل .

ومن هذا المنطلق أيضاً يجب أن نفهم كيف ساعدت اللاسامية في إنجاب الصهيونية لدولة إسرائيل العنصرية . وكيف تم تدبير عداة لاسامى ضد اليهود المنتشرين في بعض دول العالم — ومنها العراق — وذلك لحثهم على الرحيل إلى إسرائيل ، وإجبارهم على الهجرة إليها .

وحيث أننا أشرنا إلى بعض المنطلقات السابقة في كتابنا « الأكذوبة الكبرى » — الفصل السابع — فإن اهتمامنا سينصب الآن على المنطلق الخاص بهم « لماذا تم تدبير عداة لاسامى ضد يهود العراق » ، غير أننا نبدأ بالإشارة إلى بعض أقوال الصهيونية^(٢) ، قبل وبعد العداة اللاسامى ، والتي تؤكد على أن مثل هذا العداة كان مفتعلاً من قبل الصهيونية نفسها :

(١) المعروف أن اليهود القدماء كانوا يطهرون من خطاياهم بصورة رمزية حيث يلقونها على كبش ثم يطلقونه فيما بعد في الصحراء . ولا تزال تستخدم إلى الآن تعبير كبش الفداء لبيان الشخص البريء الذى نعلق عليه أخطاؤنا . وفي السنوات الأخيرة استطاعت الصهيونية أن تحافظ على تلك العادة بطريقة مناسبة وفي شكل ضحية للتكفير ، حيث يقدم الصهيوني أخوته في اليهودية أو أخوته في الدم أو أخوته في الشقاء أو رفاقه ككبش فداء عنه وعن أمثاله من الصهيونية .

(٢) الصهيونية في الستينات ، مرجع سابق ص ١٩٠ — ١٩١ .

- « إنه لا يخجلنى أن أعترف بأنه لو كان لدى من القدرة مالى من الرغبة ، لجهزت عُصبة مختارة من الشباب اليهودى الملتهب المتحمس الذكى المؤمن بخلاص اليهود والواهب حياته لخدمة مبادئه ، وأطلقتها فى البلاد التى يندمج فيها اليهود بحكم اطمئنانهم النفسى الآثم ، لتنشر بينهم طاعون الشعارات اللاسامية نحو : « أيها اليهود الديمويون .. اذهبوا إلى فلسطين » وأكاد أجزم بأن نتائج هذه العمليات فيما يتصل بالهجرة إلى إسرائيل ستكون أعظم ، عشرة آلاف مرة من نتائج تلك البعوث التى تبشر منذ عشرات السنين لتلقى آذاناً صماء » .
- من كلمة للمحرر اليهودى « شارون » محرر صحيفة دافار الإسرائيلية منشورة بصحيفة كمبر التى تصدر فى نيويورك بلغة « اليديش » بتاريخ ١١/٧/١٩٥٢ .
- « لقد اعتقدنا دوماً بأن من واجب الصهيونية الحد من اللاسامية فى العالم . ولكننا نشهد عكس ذلك . ألا نجد أنفسنا ، أنتم وأنا بين المسئولين المتهمين » .
- من كلمة للدكتور يهودا ليون ماجنس بالجامعة العبرية بالقدس فى أكتوبر ١٩٤٧ .
- « إن هبوط تيار اللاسامية قد يحمل معه خطراً جديداً على الكيان اليهودى . إن اللاسامية بمعناها الكلاسيكى كانت مفيدة من الناحيتين السياسية والمادية للطوائف اليهودية » .
- من أقوال ناحوم جولدمان بصحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ٢٤/٧/١٩٥٨ .
- « إن مثل هذا الإضطهاد — ضد اليهود — قد يكون بركة . من الممكن أن شيئاً من اللاسامية ضرورى لتعزيز الكيان اليهودى » .
- من أقوال الصهيونى لبوفغر فى صحيفة ناشنال جويش بوست اندينيون بتاريخ ١٩٥٩/١/٦ .
- « إن كيان إسرائيل ليس ضرورة سياسية فحسب ، بل هو قيمة مثالية نهائية ، إنهم — الصهيونيين — مستعدون للتضحية بيهود المنفى وبكافة المصالح اليهودية مادام ذلك يعود على إسرائيل بالنفع » .
- الصهيونى وليم زوكرمان ، من مقال بالجويش نيوز بتاريخ ٤/٩/١٩٦١ .

والكلمة الأخيرة تعكس تماماً ما حدث بالعراق الذى كانت تعيش به أكبر جالية يهودية بالعالم العربى ، وتعيش فى حالة اندماج شديد اعتبر اليهود أنفسهم فيه عراقيين فكان بينهم ورير فى الحكومة العراقية وكانت أمورهم فى العراق تسير من حسن إلى أحسن ، فكانوا يمارسون أنشطتهم الدينية والسياسية والاجتماعية بحرية شديدة ، ولهذا عندما قامت إسرائيل على أنقاض فلسطين ، قامت المظاهرات فى بغداد تندد بالكيان الصهيونى الوليد ، ولكن الجالية اليهودية الكبيرة — أكثر من ١٥٠ ألف يهودى — ظلت تمارس نشاطها دون الإساءة إليها ، ولهذا لم يكن لديها أى مبرر للهجرة إلى إسرائيل مجهولة المستقبل ..

بيد أن عددهم — كما يقول وجيه أبو ذكرى^١ — كان يسيل لعاب بن جوريون ، فقامت بريطانيا بطلب منه بترتيب لقاء بينه وبين نورى السعيد — حاكم العراق — فى النجف .. وتم فى هذا اللقاء الاتفاق على تهجير يهود العراق إلى إسرائيل ، وذلك عن طريقة خطة جهنمية :

تفتح العراق باب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، مع إسقاط الجنسية عن كل مهاجر ، حتى لا يعود بعد أن يصل إلى إسرائيل .. وقدم المشروع إلى البرلمان العراق الذى أقره ، ولكن لم يتقدم الكثير للهجرة إلى إسرائيل .

وهنا بدأت الموساد فى دورها لإجبار الجالية اليهودية فى العراق على الهجرة إلى إسرائيل بالأساليب الإرهابية وبدأت بغداد تشهد سلسلة من الانفجارات وإلقاء القنابل على تجميع اليهود العراقيين !

ولقد كانت كل هذه القنابل مدبرة بطريقة أريد بها إجبار اليهود على مغادرة العراق باتفاق ضمنى — مع حاكمها « الخائن لقضية أمته العربية » لقد أثبت هذه الحقيقة وبوضوح الصحفى الإسرائيلى باروخ نابل عام ١٩٧٧ . وأثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن عمليات التحريض الإرهابية وحوادث إلقاء القنابل تمت على يد العناصر اليهودية التابعة للهاجاناة — جيش إسرائيل .

وقد أثبت نابل أيضاً أن العصابة الصهيونية الحاكمة فى إسرائيل قد طبقت على يهود العراق ما جاء فى تقرير « كلا وزنر » أمام المؤتمر اليهودى الأمريكى المنعقد

في ٢ مايو ١٩٤٨ والذي طالب بإعادة اليهود إلى إسرائيل بالقوة حيث جاء في التقرير :

« ليست لدى اليهود رغبة قوية في الذهاب إلى فلسطين » .. « أعتقد أن هؤلاء الناس يجب أن يجبروا على الرحيل إلى فلسطين .. فلتحقيق هذا البرنامج للطائفة اليهودية ، ينبغي قلب الأوضاع ، فبدلاً من تهيئة أكبر قدر من الراحة للأشخاص (المطلوب ترحيلهم) يتعين على الناس تحقيق ظروف متعبة لهم ، .. ويمكن في مرحلة لاحقة الاستعانة بالهاجانات لإقلاق هؤلاء اليهود ودفعهم إلى الانخراط في الهاجانات » .. والهاجانات التي سيتم الاستعانة بها هي العصابات التي يتم إرسالها إلى خارج إسرائيل لدفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين ، والهاجانات التي سينخرط فيها المهاجرون هي جيش إسرائيل الذين سيلتحق به المدفوعون إلى الهجرة حال وصولهم إلى إسرائيل .. مما يعنى مضاعفة القوة العسكرية لدولة إسرائيل العدوانية ، وزيادة قدرتها الاقتصادية بزيادة مواردها البشرية من جهة ، وزيادة حجم التعويضات المادية التي ستصل إلى إسرائيل من ألمانيا التي تحلب إسرائيل ضررها على اعتبار أنها أتت في عهد النازي موبقات العداء للسامية الأمر الذي يضطرها إلى التكفير عن هذه الموبقات بدفع التعويضات إلى اليهود الذين تعرضوا للعداء للسامية على أراضيها وعلى أراضي غيرها ! كما سيؤدي أيضاً إلى زيادة حجم المعونات والمنح والقروض التي تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية إلى إسرائيل حيث تبنت الأولى دعم إسرائيل بموارد مادية تمكنها من « سقاية » الشتلات اليهودية التي يتم جلبها قسراً إلى إسرائيل بدعوى العداء للسامية التي تتعرض له في منبتها الأصل .

ونحن إذا القينا نظرة على الطريقة التي تم بها تهجير اليهود العراقيين إلى إسرائيل ، لاكتشفنا أن إسرائيل — كما هي عادة الصهيونية تضلل الرأي العام العالمي فهي إذ تشن حملة شديدة على الحكومة العراقية وتتهمها بالعداء لليهود ، فإنها تعلم أنها المستفيد الأوحده من مثل هذا العداء ، إن مثل هذه الحملات ضد الحكومات التي تصفها إسرائيل بأنها تثير لدى رعاياها اليهود الخوف من إعادة إحياء اللاسامية ، تقوم بها المنظمات الصهيونية ضد كل من يتفوه بقول — لا يأتي

بفعل فقط — ضد اليهود وضد إسرائيل ، الأمر الذى أدى على مدار النصف الأخير من هذا القرن إلى اختفاء كل ما يمكن وصفه بالعداء للسامية « اليهودية » — بفرض وجود سامية يهودية .

لقد أفلحت الصهيونية خلال هذه الفترة فى إنشاء عدة منظمات يهودية فى الولايات المتحدة وأوروبا تراقب تصرفات وأقوال الأمريكيين والأوروبيين^(١) وتتصب لهم المشائق إذا ما رأت أو اشتمت رائحة معادية لليهود فى أى قول وتصرف يصدر منهم ، ومن بين هذه المنظمات المنتشرة فى الولايات المتحدة وأوروبا — اخترنا فرنسا كمثال عن أوروبا — نذكر المنظمات اليهودية الآتية فى الولايات المتحدة .

○ منظمة البناء بيرث — وهى منظمة تصف نفسها بأنها « إجتماعية وإنسانية » وفى نفس الوقت تشرف على عصبة تعمل لمحاربة كل من يسعى إلى اليهود ، وهى تستهدف بدورها « استئصال الإساءة لليهود » .

○ اللجنة اليهودية الأمريكية ، وهى لجنة أنشئت بهدف السعى إلى منع انتهاك الحقوق المدنية والدينية لليهود فى أى مكان فى العالم . وهذه اللجنة أقامها أصلاً اليهود الأمريكيون الأثرياء — القادمون من أصل ألماني — ومازالوا حتى الآن يسيطرون على سياساتها .

○ منظمة المؤتمر اليهودى الأمريكى ، الذى ظهر أصلاً فى العشرينات من هذا القرن كمجموعة منشقة من « اللجنة اليهودية الأمريكية » . وحسب تعريف المؤتمر لنفسه فإنه « يسعى إلى استئصال كل النشاط العنصرى والتعصب الدينى والدفاع عن انفصال الكنيسة عن الدولة ، وتنمية البناء الخلاق للشعب اليهودى ومساعدة إسرائيل فى النمو بسلام وحرية .

(١) لا يتوقف الأمر على الولايات المتحدة وأوروبا فقط ولكن يشمل كل العالم ، بما فى ذلك العالم العربى ، حيث تراقب المنظمات اليهودية كل كتابات المصريين والعرب التى ضد إسرائيل أو ضد الصهيونية أو ضد اليهود .. وتصدر كتابات مخصصة لإظهار هذا العداء ضدهم .. ومن هذه الكتابات نذكر كتاب « برنارد لويس » : « الساميين واللاسامين » روح القاهرة (منشورات سيد بنفيلد ونيكلسون ، لندن ١٩٨٦) وكتاب الباحثة الإسرائيلية بعنوان : متغطرة ، « اللاسامية فى كتابات المصريين » .

○ **لجنة العمل اليهودى** ، وهى لجنة تصف نفسها بأنها تسعى إلى مقاتلة العداء للسامية ، ومساعدة منظمات العمل اليهودية ، وغير اليهودية فيما وراء البحار . وبالنسبة لهذه المنظمات ، وكثير غيرها ، أحجمنا عن ذكره لكثرتة ، فإن « البناء بيرث » هى أكبرها ، حيث كانت تقول — عام ١٩٧١ — أن عدد أعضائها يصل إلى ٤٠٠ ألف يهودى^(١) .

وعن عمل هذه المنظمات يقول الروائى الأمريكى « بول جاكوب »^(٢) إن اليهودى الأمريكى عندما يتعرض لأى أساءة ، فإن أربع منظمات يهودية على الأقل تهب للشكوى نيابة عنه .. وهو يضرب مثلاً ساخراً على ذلك بأنه إذا حدث مرة ودخل يهودى أمريكى إلى دورة مياه فوجد « عبارة نابية » ضد اليهود مكتوبة على الحائط فإن ما يحدث فوراً ما يلى :

تسرع منظمة « البناء بيرث » إلى إرسال ممثل عنها ينتقل إلى مكان دورة المياه لى يأخذ البصمات من هناك ، ويلتقط لها عدة صورة .. ثم تقوم المنظمة بفحص هذه البصمات من واقع الملفات التى تحتفظ بها لبصمات مليونين من الأمريكيين الذين اعترفوا بعدائهم للسامية . وعلى الفور تنشر المنظمة البصمات فى صحيفتها ، لى يتبين أن العداء للسامية ينتشر ويتزايد ، وأن على كل يهودى أن ينضم لعضوية المنظمة .

فى نفس الوقت يقوم مسئول من اللجنة اليهودية الأمريكية ، بدراسة دورة المياه بدقة ، وسرعان ما تقرر اللجنة إعطاءه منحة لجامعة كولومبيا لدراسة « العداء للسامية » ، كما تعبر عنه كتابات الحائط عبر التاريخ .. كما تقوم اللجنة بإصدار كتيب تثبت فيه أن مشروب المارتينى (الذى يحبه الأمريكيون) هو اختراع قام به أصلاً رجل يهودى ، وفى النهاية تخبر اللجنة أعضائها أن شخصية طبية كبيرة سوف تتحدث فى الاجتماع السنوى القادم عن العلاقة بين شرب

(١) محمود عوض : « الحرب الرابعة ، سرى جداً » — المكتب المصرى الحديث — القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩٨ — ١٩٩ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٩ — ٢٠١ .

المارتينى وبين العداء للسامية (١) إنها مناقشة طبية سوف تعقبها مناقشة علمية .

وفي نفس الوقت يصل إلى مكان الحادث مسئول « المؤتمر اليهودى الأمريكى » حاملاً فى أعقابهِ لافتات تعلن : « مزقوا الحائط » . أما فى مكاتب المؤتمر فإن ستة من المحامين يكونون قد بدأوا فى التحضير لدعوى يرفعونها أمام المحكمة الأمريكية العليا ، بهدف المطالبة بمنع بيع الخمر إلى أى شخص تصدر عنه ملاحظة تحمل العداء للسامية .

وبينما يجرى كل هذا تكون « لجنة » العمل اليهودية « قد رتبت سلسلة من المحاضرات الأسبوعية لأعضاء اتحاد البارات ، وتكون قد أعدت مشروع قرار عرضه فى الاجتماع السنوى التالى ، المشروع يأمر أعضاء اتحاد البارات بالآ « يتبولوا » فى دورات المياه « المعادية للسامية » !

وفى النهاية — وكأنه اعتذار عما قد صدر من المنظمات السابقة — يصدر « المجلس الأمريكى لليهودية » — وهو مجلس يسعى إلى تنمية المبادئ العالمية للديانة اليهودية المتحررة من القومية ، والتزامه الواضح هو محاربة الصهيونية — يصدر بياناً .. أن مثله يجتمع بالصحفيين لتلاوته عليهم ، بينما يحيط به اثنان من العرب — جاءوا لإثبات أن العرب لا علاقة لهم « بالحادث » ، وقد أرسلتهما « جمعية أصدقاء الشرق الأوسط » — إن المتحدث باسم المجلس ينكر أن تكون العبارة قد كتبت أصلاً لأنه « لا يوجد يهود ، ولكن يوجد فقط أمريكيون من أصل يهودى » . وحينئذ .. يرسل المجلس نداء إلى الرئيس الأمريكى ووزير الخارجية وحكام الولايات الخمسين ، لكى يدينوا مجهودات إسرائيل الصهيونية التى تهدف إلى لصق إسرائيل باليهود الأمريكيين .

(أى أن ما يحدث هو منظمة تصد وأخرى ترد بحيث لا تخسر كلتا المنظمتين رأى العام ولكن تثيره فقط لصالح كليهما) .

وإذا كان الأمر هكذا فيما يختص بكتابات مجهول كتبها فى مكان « قدر » لا يدخله كثيرون ، فما بال رد فعل هذه المنظمات تجاه أى كتابات يقوم بها

كُتَاب يوقعون بأسمائهم على مقالاتهم . في صحف ومجلات يطلع عليها الملايين .. لابد أن رد الفعل سيكون أقوى وأخطر بكثير ، وستختفى منه « اعتذارات » المنظمة الأخيرة .. وهذا هو ما يحدث فعلاً .. وقد حدث ذات مرة أن تهجم الكاتب الصحفى الأمريكى جور فيدال على الصحفى اليهودى الأمريكى « نورمان بودهورتز »^(١) فكتب الأول في صحيفة Notion (عدد ٢٢ مارس ١٩٨٦) يقول إن بودهورتز وزوجته ميدج ديكر هما فردان « يعيشان بيننا لترويج الدعاية وجمع الأموال لصالح إسرائيل ، وذلك البلد الذى لا يبدو أنهما يتوقان للعيش فيه » ، ورغم أن مقولة « فيدال » لا تتعدى ذكر الحقائق ، ولا تمثل أى إساءة إلى دولة إسرائيل أو إلى عموم اليهود ، إلا أن الأخير كتب يرد على « فيدال » في مقال تحت عنوان « انفجار فيدال مرحلة جديدة مشؤمة من اللاسامية » (نشرت بالواشنطن بوست عدد ٨ مايو ١٩٨٦) ملأه بالهجوم الشخصى على فيدال واتهمه بمجموعة من الصفات « العارية والوقحة والشريرة » واستطرد يقول :^(٢) .

« أن فكرة فيدال الأساسية هى أن معظم اليهود الأمريكان يشكلون « طابوراً خامساً إسرائيلياً » [وهم كذلك فعلاً] . فكل كلمة تفوه بها فيدال مشبعة بكرهه لليهود .. إن فيدال تأكله مشاعر شديدة العداء لليهود .. إن اللاسامية بدأت بالزحف من جديد إلى الحديث العام ، وها هى مقالة جور فيدال تمثل نموذجاً أساسياً لها !

وبالنتيجة فقد أول بودهورتز الهجوم على شخصه وعلى زوجته — وذلك بغض النظر عما إذا كان لهذا الهجوم ما يبرره — أوله كهجوم على اليهود كافة وبالتالي اعتبره معادياً للسامية ! .
والواقع أن العداء للسامية — اليهودية — فى وجهة نظر اليهود لا يقتصر على مجرد إبداء العداء لليهود ، ولكن حساسيتهم الزائدة جعلتهم يوسعون دائرة

(١) محرر مجلة كومنترى الشهرية Commentary الصادرة عن اللجنة اليهودية الأمريكية .
(٢) مقال معاداة السامية ومعناها المتغير ، بقلم آلان براونفلد ، ترجمة سحر الهندي ، مجلة الثقافة العالمية العدد ٣٧ — نوفمبر ١٩٨٧ ص ٣٩ .

المحرمات التي لا يجوز المساس بها أو الاقتراب منها .. وهذه المحرمات توسع فيها ارنولد فورستر وبنجامين ابشتاين — قادة العصبة المضادة لتشويه السمعة ، التابعة للبنائى بيرث — وذلك فى كتابهما « اللاسامية الجديدة » ، كما توسع فيها ناثان برلموتر — المدير القومى للعصبة المعادية لتشويه السمعة — وكذلك توسع فيها يهود آخرون لتصبح قائمة المحرمات :

— إبداء العداء تجاه اليهود ، أو الوقوف موقف معاكس لهم ، وفى هذا الصدد طالب بودهورتز « اليهود بعمل خنادقهم بالرجال فى تلك الحرب العقائدية الضروس التى تشن ضد إسرائيل وضد اليهود ككل » !

— انتقاد إسرائيل ، أو ذمها ، أو وضع اللوم عليها ، ويبرر مؤلفا « اللاسامية الجديدة » ، هذه « النظرية » ! التى يتم مساواتها باللاسامية على أساس مفهوم يقول بأهمية إسرائيل لليهود وكذلك إدراك اليهود « لمركزية » إسرائيل بالنسبة لوجودهم وأمنهم ، وفى هذا الصدد يثور ثمة سؤال : « اذا كانت إسرائيل « مركزية » بالنسبة ليهود أمريكا ، وكأن مقياس الأمور بالنسبة لهم « هل هذا مفيد أم مضر لإسرائيل » ، وكانت إسرائيل بالنسبة لهم هى أرض الميعاد ، فلماذا لا يتركون أمريكا ويعودون إلى إسرائيل ؟

إبداء العداء ضد الصهيونية ، باعتبارها حركة سياسية تعبر عن مجموع اليهود ، حتى وإن كان العداء موجهاً من قبل يهود (!) ينظر اليهم على أنهم لاساميين منشقين أو من قبل مؤسسات تمثل جميع شعوب العالم . وفى هذا الصدد يعتبر ناثان برلموتو (نقلاً عن الواشنطن بوست عدد ٥ يونيو ١٩٨٣) أن الأمم المتحدة هى « الحلة التى تطبخ فيها اللاسامية » وما ذلك لشيء إلا لأن الأمم المتحدة أدانت الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية (القرار ٣٣٧٩ الصادر عام ١٩٧٥) .

تبلد الشعور بالنسبة للمواضع التى تقلق اليهود ، فالوقوف على موقف الحياد — يفسره المؤلفان بأنه « عدم مبالاة قاسية لاهتمامات اليهود من قبل مؤسسات أو أشخاص جديرين بالاحترام » ويقول عنه غيرهما بأن « من ليس

بمؤيد « لإسرائيل » ، ولا هو بمؤيد للفلسطينيين هو معادٍ للسامية (١) . وواضح أنه تصنيف ييسط أمور معقدة ويحول النقاد والمعلقين إلى أحد طرفين : أصدقاء أو أعداء .

— إبداء شعور بالأسف تجاه الضحايا الفلسطينيين ، وهو شعور يصفه اليهود بأنه « أشواق لاسامية » ! وفي هذا الصدد فقد وصف محررو الصحف اليهودية كل من أبدى أسفه لسقوط الضحايا في مذبح صابرا وشاتيلا ، بأنهم « لاساميون تثير لديهم الأشواق الرقيقة للسلام صوراً لاسامية ممزوجة بغضب عارم » وبأن « الغلو ، والجهل يثير صور معاداة السامية لديهم » .

الاعتراض على الاتصالات السرية فيما وراء الكواليس Lobbying التي تقوم بها « لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية « ايباك » AIPAC . وهي اتصالات اهدف منها خدمة إسرائيل حتى ولو كان ذلك على حساب مصلحة أمريكا .

انتقاد الديانة اليهودية أو ذم بعض أساطيرها ، أو مناقضة أطروحاتها وإثبات « دجل مؤلفو التوراة » .

إن قائمة المحرمات تلك قابلة للتوسع .. والعكس ليس صحيحاً — وهو توسع تمليه العقلية اليهودية التي ترى أن معاداة السامية « مرض مستوطن في العالم غير اليهودي » وبأنها « مستفحلة في أمريكا » إن الكاتب اليهودي الأمريكي « بيتر دافيد هورنك » بعد أن يؤيد هاتين « النقطتين » ويحذر من معاداة السامية هي جزء من البيئة العادية المفترضة لحياة الطبقات العاملة في أمريكا يعود فيؤكد أن مشكلة التزاوج بين اليهود وغير اليهود في أمريكا معروفة للجميع ، والأرقام مرعبة ٣٥٪ هنا — ٥٠٪ هناك !! وهو بهذا يناقض نفسه — كما هو عادة اليهود الذين لا تقوم أقوالهم على صدق — فلو كانت معاداة السامية — بالفعل — منتشرة الى هذا الحد ، وهو أمر يعلمه مراقبون أكثر ثقافة وحكمة منه أنه غير صحيح — فلماذا إذن يكون التزاوج مقبولاً إلى هذا الحد ، وهل يستطيع المرء ، أن يقول بجديّة إن اليهود يعانون من التعصب الأعمى ضدهم على جانب ، بينما على الجانب الآخر أن يتلاشوا من الوجود بسبب قبولهم الواسع في

الاجتمع غير اليهودى !؟

بالطبع هذا غير معقول ، ولكن ما عسانا نفعل فى المنطق اليهودى الذى لا يعتمد على قاعدة حقيقية ، شأنه فى ذلك شأن الادعاء بوجود عداء ضد السامية فى أمريكا رغم أن الانتقادات التى يوجهها الأمريكيون غير اليهود إلى إسرائيل ليست أكثر حدة من الانتقادات التى يوجهها اليهود أنفسهم إليها ، ورغم أن توجيه النقد لسياسة ما لا يعنى أنك تهاجم دولة إسرائيل التى تتبع هذه السياسة ، ورغم أن أمريكا بلد ديمقراطى حر ، وجوهر أى مؤسسة ديمقراطية هو النقاش الحر وابداء الرأى فى كل الأمور التى تتعلق بمصير هذه المؤسسة ، فما بالنا بمصير دولة كأمرىكا ، تستنزف إسرائيل أموال دافعى الضرائب الأمريكين وتستغل أموالاً كان الأجدى أن تذهب الى فقراء أمريكا ! .. وحتى مثل هذا القول الأخير ، ليس بمستطاع نشره علانية لأن سيف العداء للسامية سيرتفع ضد قائله ، حتى وأن كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية نفسه . وقد حدث فى شهر سبتمبر عام ١٩٩١ أن اشتد الجدل حول طلب الاسرائيليين مبلغ عشرة مليارات دولار تريد إسرائيل ان تحصل على ضمانات لأخذها خلال خمس سنوات من أمريكا ، وبالنظر لأن هذه القروض ستستخدم فى توطین اليهود السوفيت بإسرائيل ، مما يعكر صفو الخطوات التى تتخذها أمريكا بشأن عقد مؤتمر دولى للسلام لحل النزاع العربى الاسرائيلى حيث يمثل السلام أفضل خدمة لإسرائيل فقد حدث أن عقد الرئيس الأمريكى مؤتمراً صحفياً دعا فيه أعضاء الكونجرس الأمريكى إلى الموافقة على تأجيل إتمام الصفقة لمدة ١٢٠ يوماً فقط حتى تكون عملية السلام قد بدأت ، وفى اللقاء سأله إحدى الصحفيات إن كان توجيه هذه المليارات بعشرة لخدمة فقراء أمريكا أفضل من توجيهها لتوطین اليهود السوفييت بإسرائيل ؟ فكان أن أجاب « بوش » مؤكداً ذلك بشدة .. فماذا كانت النتيجة ؟

لم تنظر الدوائر الحكومية الإسرائيلية إلى الأمر من منطلق مدى الخدمات التى قدمها بوش إلى إسرائيل ، وهى خدمات عبر عنها صراحة المستشار الألمانى هيلموت كول ، حين قال : « إنه لم يعرف أى رئيس للولايات المتحدة الأمريكية قدم لإسرائيل من الخدمات أكثر مما قدم الرئيس بوش » (سياتى

الإشارة إلى بعض الخدمات التي قدمها بوش لإسرائيل من جراء حرب الخليج في فصل قادم) ولم تأخذ في اعتبارها أن :

الرئيس بوش ليس ضد هجرة اليهود إلى إسرائيل بدليل أنه أشرف بنفسه حين كان نائباً للرئيس الأمريكي عام ١٩٨٥ على عملية ترحيل اليهود الأثيوبيين (الفلاشا) إلى إسرائيل ، وأنه كان القائد الأول لعملية الترحيل الثانية للفلاشا عام ١٩٩١ . بل إنه كان وراء فتح الاتحاد السوفيتي أبواب الهجرة أمام اليهود السوفيت ، وذلك عندما عرض على الاتحاد السوفيتي إزالة القيود القانونية على التجارة مع الاتحاد السوفيتي مقابل فتح أبواب الهجرة اليهودية أمام اليهود السوفيت .

الرئيس بوش ليس ضد توطين المهاجرين في إسرائيل ، بدليل أنه أغلق الباب الأمريكي أمام اليهود السوفيت ليحبرهم على الهجرة إلى إسرائيل ، وبدليل أنه في الوقت الذي كان يهاجم فيه وزير خارجيته إقامة المستوطنات الإسرائيلية بالضفة الغربية وغزة ، كان هو يتفاخر بمدى سعادته في المشاركة في عملية ترحيل ١٨ ألف يهودي أثيوبي إلى إسرائيل (ليستوطنوا هذه المستوطنات) .
— الرئيس بوش ليس ضد عملية إعطاء ضمانات بمثل هذا المبلغ الضخم (١٠ مليارات) بدليل أنه :

(أ) لم يطلب إلغاء الصفقة بأكملها .

(ب) ولم يطلب تأجيلها إلى أجل غير مسمى .

(ج) وعد بتقديم مساعدة عاجلة تستطيع بها إسرائيل أن « تسير أمورها » حين حصولها على المبلغ المتنازع عليه .

(د) اكتفى بمجرد طلب التأجيل لأربعة شهور فقط .

كل هذه الأمور لم تأخذها إسرائيل في الحسبان ، أو لعلها أخذتها ولكن صرفتها في « الابتزاز السياسي » ودفعتها ممثلة في شخص « رحبعام زيفني » الوزير بلا وزارة .— ومن وراءه من الإعلام الإسرائيلي — إلى إتهام بوش بأنه : كذاب ، ومعاد

لإسرائيل ، ومناهض للسامية^(١) ..

وهكذا فإن أى مناقشة لسياسة الشرق — يقول جورج بول ، قد تم إسكاتها بالاستعمال الواسع لتهمة العداء للسامية ، حيث أنه « يهم غالبية الناس كثيراً عدم تهتهم باللاسامية »^(٢) .

هذا عن العداء للسامية فى أمريكا حيث أصبحت حرية القول آخذة فى الانهيار بسبب الضغوط التى يمارسها الصهاينة على كل أمريكى ، الأمر الذى أدى إلى اختفاء كل ما يمكن اعتباره معاداة للسامية . أما فى أوروبا — وبالتحديد فى فرنسا ، فإن القيود التى يضعها الصهاينة على عقول مفكرى ونقاد فرنسا لا تقل « جودة » عنها فى الولايات المتحدة ، ففى فرنسا توجد كذلك عدة منظمات صهيونية مهمتها الأولى هى مناهضة العداء للسامية . ومن أهم هذه المنظمات : —

— « مراب » الحركة المضادة للعنصرية من أجل الصداقة بين الشعوب .

— « ليسيا » جمعية المناهضة للسامية .

« ليكرا » الرابطة المضادة للعنصرية واللاسامية .

وتركز هذه المنظمات الصهيونية على مراقبة « الأنفاس الفرنسية » بهدف محاسبة كل من يتجرأ وتخرج منه « زفرة » يمكن أن يستشف منها رائحة العداء لليهود ، أو لليهودية ، أو لإسرائيل ، أو للصهيونية ، أو لأنصار كل هؤلاء .. وقد حدث أنه عندما نشر أحد الصحفيين — كلود ريجانت — مقالاً عن أفكار البروفيسور « روبرت فوريسون » حول غرف الغاز المزعومة التى أريد فيها ستة ملايين يهودى ، والتى أكد فيها فوريسون أن الأمر لا يعدو أن يكون سوى أكذوبة تاريخية . هبت الجمعيتان « ليسيا » و « ليكرا » واشتكت أمام القضاء فى

(١) ويعلق السناتور الأمريكى روبرت ييرو على آراء الحكومة الإسرائيلية بقوله : أنه لمن الأيام الحزينة ألا يستطيع الرئيس الأمريكى التعبير عن اختلافه فى رأى مع إسرائيل بدون أن يتهم بأنه معاد للسامية !
(٢) عن مثل هذه الآراء . ورأى هارولد بايتى ، يمكن العودة إلى كتاب « من يجزؤ على الكلام » للسيناتور الأمريكى السابق بول فندلى . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — بيروت ، ١٩٨٦ طبعة ثالثة .

وقت واحد على البروفيسور المذكور وعلى الصحيفة المذنبية (لوماتان دو بارى) ، لأنها سمحت له بالتعبير عن نفسه ، ولأن «ريجات» قد تجرأ على الكلام في هذا الموضوع (رغم أن مقال ريجانت كان بمثابة تزوير لا علاقة له إطلاقاً مع أبحاث فوريسون ، مما أدى إلى تشويه تلك الأبحاث)^(١)

إن موضوع «أفران الغاز» هو أحد أهم وأكبر المحرمات التي تمنع الصهيونية على أى صحيفة أو جريدة الاقتراب منها ، وتتهم المنظمات الصهيونية كل من يتعرض لحقائق هذا الموضوع «بالعداء للسامية» ، فبعد أن يوصف كاتب المقال الصحفى بأبشع الأوصاف يتم مقاضاة الصحيفة بتهمة العداء للسامية ، والغريب أن القضاء لا يجد مناصاً من مجارة المنظمات الصهيونية خوفاً من بطشها أو الإساءة لسمعتها ، فيصدر أحكاماً لصالح هذه المنظمات ، كما حدث في صحيفة نيوستيم New Stimm الفرنسية التي تصدر في منطقة الالزاس ، حيث حكم عليها بغرامة قدرها عشرة آلاف فرنك بتهمة «التحريض على إثارة التفرقة العنصرية ، والعداء للسامية» وذلك لمقال نشرته في يونيو ١٩٨٥ يتناول استعمال اليهود لموضوع غرف الغاز في دعايتهم الصهيونية في فرنسا .. أما بخصوص مقاضاة «فوريسون» ، فرغم أن الجمعيتين ليسيا وليكرا قد أقدمتا على مقاضاته ، إلا أن المحكمة لم تجمع الحكيم معاً وحكمت ضد فوريسون مرتين بسبب نفس المخالفة ، عكس ما يحصل عادة ، والحكم الذى صدر في ١٣ يوليو ١٩٨١ كان يشمل الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر مع وقف التنفيذ ، وتغريمه مبلغ خمسة آلاف فرنك فرنسى وإجباره على دفع عشرة آلاف فرنك فرنسى كتعويضات ، وعلى نشر الحكم الذى صدر على نفقته الخاصة في الصحف ، مع قراءة الحكم مرتين على إذاعة أوروبا رقم «١» ومرة خلال نشرتها الإخبارية . أما التهمة التي قام عليها الحكم فهي : «التشنيع العنصرى حيث صدرت من فوريسون ألفاظاً اعتبرتها المحكمة بمثابة تشنيع عنصرى» ! .. والغريب في أمر هذا

(١) حول ما تعرض له «فوريسون» من ضغوط صهيونية يمكن مراجعة كتاب «الأكثوبة التاريخية» تأليف روبر فوريسون وماري بول ميمى ، ترجمة وإعداد ماجد خلاوى . نشر دار الناشر للطباعة والنشر . بيروت — ١٩٩٠ .

الحكم أن الاتهامات التي وجهت إلى فوريسون ، الذى وصفته المنظمات الصهيونية بأنه مزور ، معتوه ، مسكين ، إنسان ضال ، إنسان غير مُنور ، وحش مخيف ، لم تكن قائمة على دليل علمى تاريخى ولكن على مجرد كلام إنشائى يتصف بمجرد العداء للسامية الأمر الذى اضطر المحكمة أن تبدى رأيها بأنه « ليست للمحاكم صفة أو كفاءة للحكم بشأن التاريخ ، وأنها لا تستطيع أن تفرض أطروحة تاريخية تكون لها قيمة التاريخ الرسمى » .. ومع هذا انسأقت وراء الحملة الصهيونية التى شنتها الصحف الصهيونية الفرنسية من أمثال « ليبراسيون » أو « لوماتان » وغيرهما .. فعقب تداول القضية إعلامياً ظهرت صحيفة ليبراسيون بالعناوين الآتية :

— « أعمال معادية للسامية لأستاذ جامعى » .

— « تدريس المعادة للسامية » .

— « صفوف روبر فوريسون ، الأستاذ المعادى للسامية ، مُعلِّقة مؤقتاً » .

بل وصلت الحملة التحريضية الواردة فى مقالات وافتتاحيات « ليبراسيون » حد نشر مقال مبسبب انتهى بالفقرة الآتية :

« لكن ألن يكون هناك سوى الطلاب المنتظمين فى صف « الأدب الفرنسى فى القرن العشرين » ، لكى يستمعوا يوم الاثنين إلى فوريسون فى جامعة كلود بارنار ، فى القاعة رقم ١٢ عند الساعة الثامنة بعد الظهر » .
أى « هبوا جميعاً إلى المظاهرة ، واتجهوا إلى العنوان أعلاه ، فى الساعة أعلاه ، لكى تتظاهروا » .

وهو ما حدث بالفعل ، حيث لم يتمكن فوريسون من إعطاء محاضرتة فى ذلك اليوم ، وقد اعتدى عليه بالفعل .

اما صحيفة لوموند من جانبها — وفى محاولة لإبراء ساحتها ، فقد تكرمت بنشر بيان « صهيونى » يضرب عرض الحائط بأبسط القواعد العلمية ، حتى أن الأدلة الثبوتية التى يفترض أن يبحث عنها الباحث العلمى التاريخى لم تعد ذات أهمية عند ناشرى البيان الذين يصفون أنفسهم بالعلميين ، وهم فى الواقع مجرد صهيونيين لا تسيرهم سوى أغراض خاصة ، فنجد حفنة منهم عددها ٢٤

يصفون أنفسهم بأنهم مؤرخون يقول بالحرف في البيان الذي نشرته صحيفة لوموند بتاريخ ٢١ فبراير ١٩٧٩ (ما بين قوسين تعليق من المؤلف) : « لا يجوز أن نتساءل كيف كان ممكناً من الناحية التقنية تنفيذ تلك المجزرة الجماعية [وكل الحقائق تشير إلى استحالة ذلك] لقد كان ذلك ممكناً طالما أنه وقع [١] تلك هي نقطة الانطلاق الإلزامية لأي بحث تاريخي حول الموضوع (غرف الغاز) ، وعلينا أن نعيد التأكيد على تلك الحقيقة البسيطة : لا يوجد ولا يمكن أن يحصل نقاش حول وجود غرف الغاز » ا . ه ..

— وانظروا إلى أى حد بلغت المخاباة للصهيونيين على حساب البحث العلمي المجرد .. أن نفس هذه المخاباة هي التي قادت صحيفة «ليراسيون» (عدد ٣١ يوليو ١٩٨٦) إلى الهجوم على شخص الأستاذ «هنري روك» — الذي أثبت في رسالة دكتوراه أنه لا يمكن لأى عاقل الاستناد إلى شهادات الشهود حول إعدام ستة ملايين يهودى في أفران الغاز — والصحيفة لم تكتف بمهاجمة شخص «روك» بل هاجمت وزير البحث العلمي والتعليم العالى والأساتذة المناقشين للرسالة ، بل ذهبت الصحيفة إلى أبعد من ذلك ، حيث طالبت بتحديد أسماء من «حضر المناقشة» ، وليس فقط هيئة الأساتذة المناقشه ، حتى يتسنى لنا مهاجمتهم واتهامهم بالعداء للسامية لمجرد الاستماع إلى رسالة الدكتوراه ! ولك هذا على سبيل المخاباة للجمعيتين : ليكروليسيا ، اللذين أقاما عام ١٩٨٢ دعاوى قانونية ضد مدير صحيفة «لوموند» يومها — السيد جاك فوفيه — فقد وظيفته ليحل محله الصهيونى «أندريه فونتان» . أما أسباب هذه الدعاوى فكان نشر الصحيفة إعلاناً احتل صفحة كاملة تحت عنوان «إعلان» — Publicite — (التوضيح أن الصفحة إعلان مدفوع الثمن وليس من مسئولية الجريدة) حمل الإعلان توقيعات : روجيه جارودى ، الأب ميشال لولون ، والراعى اتيان ماتيو (صديق الفلسطينيين) والنص حمل عنواناً سياسياً بارزاً : بعد مجازر لبنان «ما هو معنى العدوان الإسرائيلى ؟» . وثمن الإعلان بلغ سبعين ألف فرنك فرنسى دفعها الطلبة اللبنانيون الذين كانوا يومها يحتلون مكاتب

جامعة الدول العربية في باريس ، والجامعة العربية نفسها ، وبعض السفارات العربية .

ومضمون البيان — الإعلان الصادر عبارة عن وثيقة سياسية تشرح للرأى العام الفرنسى ما يجرى في لبنان وما جرى في فلسطين قبل ذلك (١٩٥٦ — ١٩٤٨ — ١٩٦٧ — ١٩٧٣) ويدعو إلى موقف فرنسى عام ضد الغزو الإسرائيلى الجديد .

أما أدلة الاتهام الرئيسية ضد البيان — الإعلان فكانت التالية :

— أن من يقرأ البيان يخرج بشعور صارخ بالإدانة ضد الصهيونية (ليراسيون عدد ١٩ مارس ١٩٨٣) (١) .

— إن البيان يتكلم عن الصهيونية بلهجة متشددة (١) .

— لا يجوز التهجم على ما يسمى بدولة إسرائيل ، ولا يجوز تشبيهها بالنازية ، ولا يجوز الكلام عن اللوى الصهيونى وعن السيطرة المالية الصهيونية في أوروبا وأمريكا لأن ذلك يعتبر بمثابة ترديد لكلام «بروتوكولات حكماء صهيون» وهو كتاب ممنوع ومدان يعاقب القانون الفرنسى على كل من ينشره أو يحمله أو يقتنيه ! .

والواقع أن مثل هذه الاتهامات — وكلها تعنى الاتهام بالعداء للسامية — غير صحيحة بالمرّة ، فالبيان كان يدين تصرفات الجنود الإسرائيليين اليهود في لبنان ، وهى تصرفات أكثر حدة من تصرفات جنود النازى في فرنسا ثم أن البيان لم ينقل عن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون فقرات بعينها ، ولكن قال كلاماً عاماً :

«إن القوة المالية هى التى تفسر — بلا شك — تلك السيطرة العجيبة للعربى الصهيونى على مجمل وسائل الإعلام في العالم من الصحافة إلى التلفزة مروراً بالسينما ودور النشر . وقد صدق ديجول حين أدان عام ١٩٦٩ ذلك النفوذ المبالغ فيه .»

ولا تمثل تلك الفقرة أى اقتباس من الكتاب المدان .. ثم إن القانون الفرنسى الذى يمنع تداول ذلك الكتاب ويعاقب كل من ينشره أو يحمله أو

يقتنيه ، قانون غريب — ومريب معاً — فالقانون يمثل حجراً على تداول ونقل المعلومات عن الصهيونية وهو حجر لا يستهدف سوى « تبيض وجه الصهيونية » وبالتالي فقد صدر القانون لمصلحة اليهود بهدف « التعمية على إستراتيجية اليهود للسيطرة على العالم »^(١) !! هذا عدا أن التصرفات والأعمال الإرهابية اليهودية المتبعة في فلسطين وفي لبنان هي تصرفات « تستحق » النقد وبالتالي فإن ناقدتها — سواء كان يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً أو غير ذلك — لا يمكن إتهامه بالعداء للسامية فالتصرفات التي تستحق النقد ، لماذا تمثل عداء بين الناقد والمنتقد ؟!

إن كل تصرفات « بعض اليهود » أو « الغالبية العظمى من اليهود » تستحق النقد بل وتولد الكراهية ضد اليهود ، وقد كان هرتزل على علم بذلك حين قال : « إن اليهود أينما ذهبوا يحملون في نفوسهم النزعة التي تثير أسباب العداء ضدهم » .

ولا نريد هنا أن نعدّد مثالب الشخصية اليهودية ، ولا الأفكار التي تقوم عليها الديانة اليهودية ، ولا المبادئ التي غرستها بروتوكولات « خبثاء » صهيون في صدور كل اليهود ، ولكن نكتفى بذكر الأسباب التي تؤدي إلى كره زواج انولايات المتحدة الأمريكية لليهود ، خاصة في نيويورك حيث يوجد في نيويورك وحدها مليون ونصف مليون زنجي يخضعون لسيطرة البوليس اليهودي والمدرس اليهودي والمحامي اليهودي ، وصاحب المحل اليهودي ، وصاحب البيت ، وصاحب الدكان ، والسمسار والطبيب والقاضي ، وكلهم من اليهود ، وجلهم تجمعهم المنظمات اليهودية المتعصبة خاصة المنظمة التي يقودها « اللوبافيش » الذين يكرهون السود كراهية شديدة حتى أنهم يطلقون عليهم

(١) لا يبدو من باب المصادفة أن تسن فرنسا قانوناً يمنع مناقشة أى جرائم تتعلق بالانسانية ! حتى وأن كانت الأدلة العقلية والنقلية تنفي حدوثها ! فالقانون لا يخدم أساساً سوى اليهود الذين استغلوه في رفع دعاوى — وكسبوا — ضد أى إنسان أو صحيفة تناقش « أفران الغاز » وآخر هذه الدعاوى ما نقلته وكالات الأنباء عن الحكم ببراءة على رئيس تحرير ومؤلف بتهمة العداء للسامية لأنه نفى وجود غرف الغاز في معسكرات الاعتقال النازية استند في الحكم على قانون جديد يحظر على أى شخص التشكيك في حدوث جرائم الانسانية !! (الأهرام عدد ٢٠ أبريل ١٩٩١ .

اسم «أولاد الكفرة» ، وأن لعنة السماء جعلت منهم أصحاب البشرة السوداء ، أن كل من ليس أبيض اللون وعيونه ملونة فهو إنسان ملعون من السماء .. إن مثل هذه الرؤية العنصرية ليست هي فقط التي تؤدي إلى كره الزواج لليهود ، ولكن التصرفات الناجمة عن مثل هذه الرؤية هي التي تقود إلى مزيد من الكراهية لهم ، وعلى سبيل المثال ، فالمرابي اليهودي يأتي إلى أى حى زنجى — وليس حى بروكلين فقط — ويبيع الغسالة بـ ٢٩٩ دولارا بالتقسيط ، فى وقت يبلغ فيه سعر هذه الغسالة ، فى الحى اليهودى بـ ٦٩ دولارا نقداً ، ولكن اليهودي يأتي إلى الرجل الأسود ويقول له : أدفع عشرة دولارات فقط وأخبرنى بوظيفتك .. وخذ الغسالة .. والآن يوقع الرجل الأسود على ورقة ، بينما اليهودي يأخذ هذه الورقة ويبيعها إلى شركة اثباتان ، وهى بدورها يهودية ! وبمجرد أن يعجز الدائن الأسود عن تسديد بعض الأقساط ، فإن محامياً يهودياً يحصل فوراً على أمر قانوني باستدعائه ، وبعدها يأتي محضر ، أن اليهود يأخذون الغسالة ، لكى يبيعونها من جديد ، بينما المواطن الأسود الفقير — الذى ربما لا يملك فى جيبه أكثر من دولارين — يفر من سخط أسرته ، وتحكمه رغبة فى الجرى ، ويسيطر عليه شعور بأنه لا يجد ما يفعله سوى أن يجرى إلى محل خمر ويضع الدولارين الآخرين فى جيبه فى الخمر ، أن الرجل الذى يبيع له الخمر هو فى النهاية يهودى آخر ! ثم بعد ذلك لا يعادى الأمريكى الأسود اليهود ؟ لا يعادى السامية ؟؟

إن اليهود هم الذين يخلقون العدا للسامية ، تصرفاتهم تجاه غيرهم هي التي تخلق العدا لهم^(١) ، تصرفاتهم هي التي أدت إلى اضطهادهم من قبل أسبانيا وألمانيا وإنجلترا وفرنسا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وهولندا والبرتغال وغيرهم .. وقد سبق لنا أن تساءلنا فى كتابنا «الأكذوبة الكبرى» : هل كل الشعوب المعادية للسامية واليهود فقط على حق ؟ والإجابة المنطقية على مثل هذا

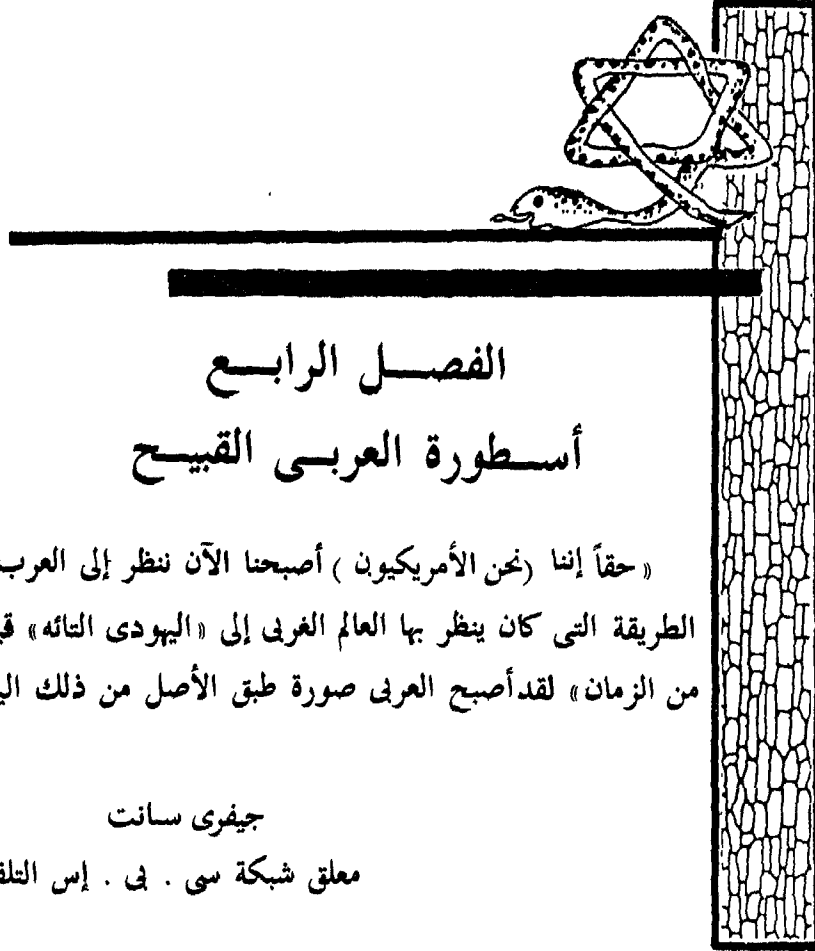
(١) فى معاداة اليهود لا يمكن اعتبار العدا لليهود جريمة دون أن نسأل الطرف الآخر عن أسباب هذا العدا . لأن هذا أشبه بالحكم دون سماع الدفاع أو شهادة الشهود . ثم هل أن الكره مقبول من كل البشر ضد كل البشر إلا ضد اليهود ؟!

السؤال أن المجموع على صواب^(١) ، والفرد على خطأ ، لكن الكاتب اليهودي « لوفسكى » في كتابه « العداء للسامية وسر إسرائيل » يقول صراحة إن العالم كله غلطان وأن اليهود وحدهم على حق ! أنه يقول ذلك رغم علمه أن العداء للسامية لعبة يتسبب في إيقاظها من سباتها تُضرفات اليهود حيال غيرهم ، فإذا لم توقظها هذه التصرفات ، افتعلها اليهود بأنفسهم لأكثر من غاية ، وهذا ما تفعله اليهودية العالمية الآن كلما اشتد على إسرائيل ضغط مطالبتها بتحقيق السلام مع الساميين الحقيقيين — العرب — فالمكر اليهودي يدبر ضد اليهود في كل مكان حوادث معادية للسامية . وقد حدث مع إحساس إسرائيل بالخطر الذي تحمله جولات شولتز من جراء مطالبتها بالسلام (١) — ولا توجد دولة في العالم بأكملها تشعر بخطر السلام ! لأن السلام لا يحمل أى خطر إلا لمن كانت لديه طبيعة فاشستية عدوانية — حدث أن انتشرت دفعة واحدة وفي وقت حوادث نبش قبور اليهود وتدنيسها وكتابة الشعارات والنداءات المعادية لهم تظهر .. في فرنسا وإيطاليا والسويد وبولندا والإتحاد السوفيتي وكندا ، بل وفي إسرائيل نفسها ، فغطت أنباء معاداة السامية على جولات السلام .. واليوم مع اشتداد حملات السلام الدولية تجدد إسرائيل نفسها ومعها الأقلام الموالية لها في أوروبا وأمريكا تنشط للتذكير بأن قرار عقد مؤتمر دولي لتسوية النزاع العربي الإسرائيلي هو عقاب لإسرائيل ، وتفسير ذلك — في نظر هؤلاء المحللين هو أن معاداة اليهودية قائمة ، وهو تفسير ساذج يعتمد على أوهام زائفة وخيالات مريضة ، فالعداء لليهود وبالتالي للسامية هو محض أسطورة يعمل اليهود على تنميقها وإلباسها ثوب الحقيقة كلما ألت بهم ضائقة واحتاجوا إلى مزيد من العطف على ذلك السامي اليهودي الغلبان الذي يتعرض بدون سبب (١) للعداء . أن اليهودي اليوم ليس ساميا ، وهو سبب البلاء والخراب والدمار الذي يجتاح العالم اليوم .

(١) كل البلاد التي اضطهدت اليهود كانت لديها مجموعة من الأسباب لتعذيب وطرد هؤلاء الناس ، أنهم أناس غرباء شواذ وخونة مثل فئران السفينة ، التي تجد إذا ما غرقت شيئا تأكله .



حادث تديس قبور اليهود في تل أبيب . الحادث دبره ونفذه اليهود والمبهم هم
الفلسطينيون . والدعوى هي العداء للسامية !



الفصل الرابع أسطورة العربى القبيح

«حقاً إننا (نحن الأمريكيون) أصبحنا الآن ننظر إلى العرب بنفس
الطريقة التى كان ينظر بها العالم الغربى إلى «اليهودى التائه» قبل قرن
من الزمان» لقد أصبح العربى صورة طبق الأصل من ذلك اليهودى»

جيفرى سانت
معلق شبكة سى . فى . إس التلفازية

● أسطورة العربى القبيح

- العوامل التى ساعدت الصهيونية على تشويه صورة الإنسان العربى .
- الشخصية العربىة ليست خالية من العيوب ولكن التركيز على عيوبها يظهر التحيز .
- فى السينما الصهيونية : العربى همجى وخسيس . وتافه وجبان وجاهل وبدائى وداعر !
- فى الإعلانات التجارية التلفازية : العربى قذر بحيث لا يمكن تنظيفه بأى منسحق غسيل !
- فى الأعمال الغنائية : العربى متخبط فى سيره متعثر فى خطواته !
- فى برامج الأطفال : العربى إرهابى مولع بالحرب والقتال وشرير فاسد !
- فى المسلسلات التلفازية : العربى قبيح ودميم ووحش جنسى وتاجر للرقيق وإرهابى عريق !
- فى الصحافة الصهيونية البريطانية : العربى أقل مكانة من الخنازير !
- الصحافة الصهيونية الأمريكية تستغل كل خبر للإساءة إلى العربى !
- فى حرب الخليج ركزت الصحف الصهيونية على أن كل العرب « صدام حسين » !
- الدراسات العلمية التى يجب أن تتصف بالحياد لا تخلو من الإساءة إلى العربى !
- فى موسوعة مريام وبستر : العربى متشرد وفارغ ومنحرف وأزعر وزبالة .
- الروايات الصهيونية تكتب بطريقة خاصة فى أجهزة المخابرات والحرب النفسية الإسرائيلية .
- فى المسرح يسود خبث صهيونى 'يدمغ العرب بالتبذير ويتعرض للإسلام بالإساءة .
- حتى الألعاب المخصصة للأطفال والشباب لا تسلم من الإساءة إلى العربى !

● أسطورة : العربى القبيح

استكمالاً للفصل السابق ، حيث أُشير إلى « أن العداء للسامية الموجود الآن والذى ينمو يوماً بعد يوم هو العداء للساميين العرب ، وهى عداء تدعمه وتقويه الفئات الصهيونية ، وهى المستفيد الأول من ورائه » فإن تركيزنا فى هذا الفصل منصب على بيان الأنماط السيئة للشخصية العربية التى تتكرر فى وسائل الإعلام الصهيونية بهدف سلب كل الصفات الإنسانية من « الإنسان العربى » ، وجعله يبدو فى نظر الغربيين ، عارياً من كل فضيلة إنسانية حاملاً لكل رذيلة شيطانية ، الأمر الذى يبدو معه قبيحاً فى عين كل انسان عربى سواء فى الولايات المتحدة حيث تركز دراستنا على دراسة صورة العربى القبيح فى وسائل إعلامها — أو فى أوروبا ، وبالتالي فى عين كل من يشاهد الأعمال الدعائية الصهيونية التى يتم تصديرها إلى معظم دول العالم .

وقبل الشروع فى بيان النمط القبيح للشخصية العربية ، فإن مقتضيات الحقيقة تتطلب أن نؤكد أن الدعاية الصهيونية هى الكامنة وراء هذا التقييح المتعمد للإنسان العربى ، والدليل على ذلك أن الإعلام الغربى عامة والأمريكى خاصة قد أعاد الاعتبار والكرامة لكل الأجناس والشعوب التى كان يناصبها العداء ، فلم يعد اليابانيون أشراً ، ولا الصينيون أوغاداً ، ولا الأسبانيون كسالى ، ولا الإيطاليون جميعهم أعضاء فى عصابات المافيا ، ولا الهنود الحمر متوحشين ، ولكن بقيت الشخصية العربية وحدها تماثل الصورة السيئة التى كان عليها اليهودى قبل قرن مضى ، مع أن العرب لا يناصبون جميعهم العداء للأمريكان أو الأوربيين ، وهى صورة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم فتتحول من سىء إلى أسوأ .

ثم أن عملية التشويه متعمدة ، ومستهدفة ، وليست عارضة ، حيث لا تخضع صورة العربى للمقاييس النقدية المتعارف عليها ، وإنما يتم التركيز على إظهار

الأوزار- والمثالب السلبية للشخصية العربية ، مع الإحجام الكامل عن إظهار الجانب الإيجابي لها ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن معظم وسائل الإعلام الأمريكي والأوربي يمتلكها إما يهود ، أو مسيحيون صهاينة ، يركزون في المقابل على إبراز الجانب الإيجابي للشخصية الإسرائيلية ، بل ويضيفون من لديهم جوانب إيجابية ليست موجودة أساساً فيها ، لأدركنا أن الدعاية الصهيونية هي الكامنة وراء هذا التمييز الذي يستهدف بالأساس استمالة الأمريكيين- والغربيين للتعاطف مع إسرائيل والصهيونية ، في مقابل الاشمئزاز من العرب والمسلمين .

والحقيقة أن الإعلام الصهيوني لم يقدّم بتزييف صورة العربي المسلم من فراغ ، وإنما اعتمد على عدة عوامل أخرى ساعدته في إبراز خطته ووضعها في حيز التنفيذ . ومن أهم هذه العوامل :

١ — الموقف العام في الحضارة الغربية المعاصرة من العرب والمسلمين الذي تراكم لفترة طويلة على مر القرون^(١) ، وهو تراكم سببته المواجهة المستمرة بين العرب والمسلمين وبين أوروبا المسيحية ، وهي مواجهة لم تقتصر على الجانب السياسي والعسكري فقط ، بل امتدت إلى الجوانب الفكرية والثقافية ، رغم أن الغرب كان المستفيد الأول من هذه المواجهة الثقافية . وفي هذا الصدد تقول الكاتبة الألمانية « زنفريد هونكد » في كتابها « الله برىء مما يصنعون : كشف ألف تحامل وتحامل ضد العرب » (منشورات دار نشر هورتزته . ألمانيا ١٩٩١)^(٢) : على الرغم من التوضيحات حول العرب وثقافتهم العالية وتراثهم المتنوع الذي أوصلوه لنا (للغرب) . وعلى الرغم من مدح أخلاقهم الحميدة وفروسياتهم وتسامحهم الذي أظهرته في كتبى ، فإننى متأكدة من وجود تحاملات كثيرة ضد العرب ، لها جذور عميقة لدى الأوروبيين منذ مئات السنين ، بل إن هذه التحاملات تسيطر على العلماء المؤرخين وتنفس السموم في الصحافة والإعلام وتزييف تاريخ وصورة العرب في الكتب المدرسية .

(١) يمكن مراجعة مقال د . محمد الرميحي ، العرب في عيون الغرب . مجلة العربى الكويتية ، العدد ٣٣٣ — أغسطس ١٩٨٦ ص ١٠ .

(٢) نقلاً عن جريدة الأهرام ، عدد ٩ مايو ١٩٩١ .

٢ — جهل الرأي العام الغربى ، خاصة الأمريكى — والشعب الأمريكى من أكثر شعوب العالم جهلاً بغيرهم كما دلت على ذلك الإحصائيات — بتاريخ المنطقة العربية ، حيث تثير كلمة «عربى» فى أذهان الأمريكين صورة شيخ فى الصحراء ، وصورة عن « ألف ليلة وليلة حيث الفرسان المنطلقة بخيولها أو جمالها فى الصحراء » وكما تقول هونكد « مازالت أساطير ألف ليلة وليلة تسود بشكل مقنع أو مكشوف الوعى العام حول العرب والإسلام » . هذا إضافة إلى جهلهم بتاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ، وهو الجهل الذى تشترك فى مسعوليته وسائل الإعلام الغربية ذاتها .

٣ — التعاطف غير المحدود لأغلب الساسة الغربيين والأمريكان مع الحركة الصهيونية وإسرائيل واليهود ، انطلاقاً من اعتبارها الموقع المتقدم المتصادم مع كل ما يمثله العربى والمسلم من تراث كان له أكبر الأثر فيما وصلت إليه الحضارة الغربية ، إضافة إلى تحيز المسيحيين عامة فى الغرب لليهود والثقافة اليهودية ، وهو تميز سببه المباشر ، إشتراك نحو ٩٣٪ منهم فى قراءة كتاب دينى واحد منعت بالمقدس (كتاب التوراة أو العهد القديم) واشتراكهم فى عقيدة واحدة ، وإن كانت خاطئة فى ظاهرها وباطنها ، ألا وهى عقيدة أن دولة إسرائيل الحالية هى تحقيق لنبوءات الكتاب المقدس . فإذا أضفنا أن الإسرائيليين يدعون بأنهم جزء من الولايات المتحدة الأمريكية — الولاية رقم ٥١ — وأنهم والأمريكين قد نشأوا بطريقة متشابهة اعتمدت على طرد السكان الأصليين (الفلسطينيين فى إسرائيل ، والهنود الحمر فى أمريكا) لأدركنا أنهم يقبعون فى خندق واحد ضد العرب المسلمين .

٤ — الضغط الصهيونى على كافة وسائل الإعلام الأمريكية والأوربية ، سواء كان ضغطاً مادياً اقتصادياً أو ضغطاً سياسياً من خلال العلاقات العامة التى تقيمها المنظمات الصهيونية مع وسائل الإعلام أو ضغطاً من خلال كثافة نسبة القراء اليهود الذين يتركزون فى المدن ، خاصة نيويورك .

٥ — العجز الكبير من جانب العرب والمسلمين فى إعطاء صورة إنسانية وحقيقية عن تجاربهم الإجتماعية ومواقفهم السياسية ، وذلك بسبب إفتقارهم

لأى سياسة إعلامية ، أو لأى «لوى» عربى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فعلى عكس الإسرائيليين ، الذين يمتلكون لوى واسع النفوذ (إيباك) فإن العرب لا يدركون دور الصحافة ، وأهمية توفير المعلومات لها ، فالبيروقراطية العربية تقيم العقبات فى سبيل توفير المعلومات للصحفيين مما لا يخدم مصلحة العرب فى نقل وجهة نظرهم ، ويساعد فى شرح المواقف الإسرائيلية .

٦ — الصورة السيئة التى يقدمها العرب عن أنفسهم ، سواء باختطاف الطائرات أو البواخر ، أو القيام بعمليات إرهابية فى دول أوربا بدعوى طرد إسرائيل من فلسطين ، أو بإسراف بعضهم فى تبذير أمواله أثناء سياحتهم بالدول الأوروبية . هذا إضافة إلى ما يشكله العرب والمسلمون المهاجرون إلى أوربا والولايات المتحدة من ضغط إقتصادى حقيقى أو متخيل يودى فى تصور البعض إلى رفع نسبة البطالة لديهم ومشاركتهم لقمتهم .

إن كل هذه العوامل كانت أدوات فى يد الداعية الصهيونى ، وهو يحاول أن يقدم صورة سلبية للإنسان العربى بإبرازه فى مظاهر سلبية شتى بدءاً من الأفلام السينمائية ، ومروراً بالأشرطة المبتوثة فى التلفاز ، وانتهاءً بألعاب الأطفال ، وهى مظاهر تم فيها إضفاء جميع الصور السلبية للشخصية اليهودية ، قبل قرن مضى ، ولكن بتعديل هام : فقد استبدلت نجمة داود بالعباءة العربية الشهيرة ، والقلنسوة اليهودية بالكوفية والعقال . وهكذا فبعد أن تحول العداء للسامية — اليهودية — إلى أسطورة ، نما وترعرع بشكل سريع عداء جديد تم فيه استبدال شعب سام (بائد) بشعب سام (حى) هو العرب .

ونحن لا ندعى ، طبعاً ، أن الشخصية العربية خالية من العيوب ، فكل حركات الإصلاح والثورة الحديثة فى وطننا العربى خاضت وتخوض كل يوم معركة التخلف فى كل صوره .. ولكن الشخصية العربية كأى شخصية إنسانية فيها الظلال والأضواء وفيها السليبات والإيجابيات ، ولكن الإعلام الصهيونى لا يرى فى الشخصية العربية إلا وجهها المظلم ، القبيح ، السلبى .

تلك كانت مقدمة لابد منها للدخول فى معرفة صورة العربى القبيح فى وسائل الإعلام الصهيونية ، ولتحديد :

- ماهى الأنماط السيئة التى تقدمها السينما عن الإنسان العربى ؟
- ماهى الأعمال التلفازية (التليفزيونية) التى يظهر فيها العرب بمظهر سلبى واضح ؟
- كيف تستغل وسائل الإعلام الصحفية الأحداث الجارية فى الإساءة إلى العرب ؟
- ماهى صورة العرب فى الكاريكاتير ؟
- كيف يتم تشويه صورة العربى فى الدراسات العلمية والأدبية ؟
- ماهى صورته فى الروايات والأعمال القصصية الأمريكية ؟
- ماهى صورته فى المسرح ؟
- كيف يتم الإساءة إلى العرب فى ألعاب الشباب ؟
- ماهى الاخطار التى يمكن أن تنشأ عند تحطيم الجانب الإنسانى للشخصية العربية ؟

عن مثل هذه الأسئلة تدور إجابات البحث التالى ..
 وأول ما يعيننا فى البحث عن النمط السبى للعرب ، هو نمطه فى السينما ، وأحد أوجه الأشكال الخطيرة بالنسبة للسينما أن مشاهد الأفلام السينمائية لم تعد كما كان الحال فى الماضى تقتضى التردد على دور السينما ، حين تكون هذه الدور متوفرة ، فيصل تأثيرها محدوداً ، بل أصبحت الأفلام السينمائية تنتشر بصورة غير متخيلة وبأكثر من وسيلة :

- ففى الولايات المتحدة الأمريكية حيث تنتشر دور العرض — التى لها عشاقها — فى مختلف أنحاء الولايات ، وحيث توجد أكبر دار عرض فى مدينة نيويورك (قاعة مدينة الراديو للموسيقا) يصل الفيلم إلى عدة ملايين من المشاهدين داخل الولايات المتحدة ، وينتقل منها للعرض فى أكثر من ١٣٠ دولة يشاهد جمهورها الأفلام التى يصدرها «مصنع الأحلام» فى هوليوود .
- وبالإضافة إلى العرض السينمائى فى دور العرض ، يكون الفيلم المادة الأساسية

في برامج التلفزيون اليومية ، من خلال الشبكات التلفزيونية التجارية ، والتلفزيون الأمريكي العام ، حيث تستخدم هذه الشبكات الأفلام السينمائية لمدة ساعات إرسالها التي تستمر طوال الـ ٢٤ ساعة في اليوم .. وما يحدث داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، يحدث أيضاً داخل تلفزيونات الدولة التي تعتمد على استيراد الأفلام من أمريكا حيث تبث هذه الدول تلك الأفلام في برامج تلفزيوناتها .

— ولا يقتصر الأمر على العرض التلفزيوني من خلال الشبكات التلفزيونية ، بل يتم عرضه من خلال أجهزة الفيديو المملوكة للأشخاص في مختلف دول العالم ، وتلك وسيلة انتشار سينمائية هامة ، بدأت تفرض نفسها بقوة في السنوات الأخيرة ، بعد انتشار أجهزة الفيديو ، وحيازة الطبقات المتوسطة لأجهزتها .

— هذا عدا عرضها أجهزة العرض المرئية المسطحة بالنواصي والمؤسسات الثقافية والاجتماعية المتعددة ، وأجهزة القنوات الداخلية للفنادق التي تبث برامجها داخلياً عبر الأجهزة التلفزيونية المثبتة في غرف النزلاء .

وهكذا فإن الأفلام السينمائية اليوم هي أكثر الوسائل الإعلامية انتشاراً من حيث عدد المشاهدين الذين يمكن لهم أن يشاهدوا عملاً فنياً واحداً على مدار فترة زمنية طويلة في مختلف أنحاء العالم . وهكذا من الممكن أن تنطلي «الخدعة السينمائية» — أو تشاهد ، على الأقل — بما تحويه من أوزار ومثالب وما تحتوى عليه من أوجه التضليل والاستلاب ، على مدار عشرة أعوام على ما يربو على نصف المليار مشاهد ، في مختلف أنحاء العالم ، وتلك هي أحد أهم الأسباب التي تجعل ظاهرة العداء للساميين العرب في السينما الأمريكية ، هي أكثر ظواهر العداء هم انتشاراً . فإذا أضفنا لهذا أن القلم يمكن أن يكون وسيلة إقناع تخاطب العاطفة لا الفكر^(١) ، وأن الذي يتولى الدعاية يذل كل ما في وسعه لتحريك العواطف واستثارتها ، لأدركنا أن الدعاية الصهيونية عن العرب : عدو أمريكا — وعدو النضالية ، واتحاد ، وغير الودود ، والمولع بالحرب

(١) من الجدير بالاهتمام أن السينما لم تبلغ بعد تلك الدرجة السامية من البراءة ، فالأفلام السينمائية لها أيضاً مضمونها السياسي سواء كان بوعى أو بدون وعى .

والقتال ، السادى ، والقدر ، والجبان وما إلى ذلك من نعوت أضفتها الصهيونية — ظلماً وغدراً على الشخصية العربية ، لأدركنا أنها تجدها صدى وآذاناً صاغية .

ومع أن السينما الأمريكية ، ولأسباب سياسية وإنسانية — قد أنعمت على كثير من المجموعات العرقية بالتخفيف من تصويرها على نمط واحد ، فلم تعد الأدوار التى تسند لهذه المجموعات تصويرها بطريقة يتعرف بها المشاهد على جنسيتهم من أشكالها وتصرفاتهم ، فاخترت صورة الوغد الصينى ذى الشوارب المدلاة إلى الذقن ، واليهودى الطماع الشره ، والأسبانى الكسول ، والأسود المراوغ الذى يرقص وهو يمسح الأرض بقدميه ، والإيطالى الذى ينتمى لعصابة إجرامية ، والأيرلندى السكير ، والمواطن الأمريكى الأصل (الهندى الأحمر) الذى يحمل صفات الإنسان المتوحش . واليوم يرى مشاهدو السينما المجموعات العرقية والأقليات فى صور أكثر واقعية ، تتناسب مع الدور الذى يسند إليهم فى الفيلم ، وصورهم صارت أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال ، إلا أن صورة العربى لم تزال قبيحة ، بل أن تقييحها قد زاد — ولأهداف صهيونية — فى ثمانينات هذا القرن عنه فى السبعينات منه !

والغريب ، بل ومن المحزن — كما يقول جيفرى سانت — حقاً إن الأمريكيين أصبحوا الآن ينظرون إلى العرب بنفس الطريقة التى كان ينظر بها العالم الغربى إلى « اليهودى الناث » قبل قرن من الزمان ، لقد أصبح العربى صورة طبق الأصل من ذلك اليهودى .

وتتأرجح صورة العربى فى السينما الصهيونية بين صورة سيئة وأخرى أسوأ ، ففي الأفلام القديمة كان العربى يصور كأنه مخلوق بعيد عن الحضارة ، متشرد ، لا تحكمه الضوابط الأخلاقية وبخاصة فى الاتصالات الجنسية ، وفى الأفلام الحديثة يصور العربى وكأنه مخلوق بعيد عن الحضارة ، إنسان همجى بكل ما فى الكلمة من معنى ، إذ تضافى السينما الصهيونية على الشخصيات العربية صفات الخسة والتفاهة والجبن والبدائية والجهل والنزعة إلى الشر ، والميل المفرط إلى الثراء الفاحش وإلى الفسق وإلى الدعارة . أما الإناث فهن شهوانيات أو هن من الراقصات اللاتى لا عمل لهن إلا هز الوسط ، أو ممن يمتنن الدعارة ، أو

من إرهابيات . أو في أقل القليل محجبات لا يتقن إلا السير خلف أزواجهن كذبول لهم .

ومع أن دراستنا هذه تركز على الأفلام الأمريكية المعادية للسامية العربية ، إلا أننا أوردنا — على سبيل المثال — جانباً من الأفلام الأخرى المعادية للسامية العربية والتي تظهر الجوانب السيئة للشخصية العربية فتضخمها وتضيف عليها من لدنها ما يزيد لها سوءاً على سوء . ومن بين هذه الأفلام فيلمان إسرائيليان ، انتجتهما شركات إنتاج إسرائيلية وضخمت من قيمتهما الأفلام الدعائية الصهيونية ، حتى إن إحداهما — خلف الجدران — حصل في الولايات المتحدة الأمريكية على لقب أحسن فيلم أجنبي لعام ١٩٨٤ ؟!

وفي السينما الأمريكية والصهيونية توجد عدة أفلام تبدو فيها شخصية العربي البدائي والفاحش الثراء الذي يتدخل في أمور لا تعنيه ، لأنها تتعلق بالسياسة الأمريكية ووسائل الإعلام الأمريكية ، وتوافق هذه المشاهد نصوص تمثيلية تتعرض للخلافات والنزاعات القبلية المتفشية بين العرب أنفسهم ، ومن بين هذه الأفلام اخترنا على سبيل المثال لا الحصر : أرض العرب ، جوهرة النيل ، بروتوكول ، الدفاع الأفضل ، بوليرو ، صحارى ، القذيفة (الجزء الثاني) .

وثمة أفلام أخرى تقدم العربي بصورة الإرهابى هي : نحو الليل ، النسر الحديدي ، قوة الدلتا . وقد جرى تأكيد هذه الصورة وترسيخها في فيلمين تليفزيونيين آخرين أخرج عام ١٩٨٥ هما : تحت الحصار ، طيران الرهائن . وكذلك هناك عدة أفلام أخرى تظهر العربي بشكل مريب يعث على السخرية ، مع أن موضوعات قصصها ، لا علاقة لها بالعرب من قريب أو بعيد . ولا بالأرض العربية ، وهذه الأفلام هي :

«يا إلهي، أيها الشيطان» ، نيران سانت إلمو ، مسألة ليست بسيطة ، عودة إلى المستقبل ، تجوال في بيفرلى هيلز ، الحياة والموت في لوس أنجلوس ، سائقى الحاص ، شلوك هولمز الصغير ، أمريكا أمريكا الهداية ، كما تم التأكيد على همجية العرب في عدة أفلام أخرى منها :

شبكة التلفزيون ، الريج والأسد ، الفحل الأسود ، الأحد الأسود ، القط الطائر ، المنطاد ، بينوى بيلت ، مغامرات في مصر ، موعد مع الموت .. كما تتناثر صفات سيئة للعربى في عدة أفلام أخرى منها :

عملية ميونخ ، رول اوفر ، لص بغداد ، موت أميرة ، عروس الصحراء ، ليلة واحدة مسروقة ، الشيخ ابن الشيخ ، العربى ، قبل الشيخ الأخير ، هجوم الصحراء ، الحمر ، المضاربة ، سائقى التاكسى .. إلى آخر هذه القائمة الطويلة التى تعجز دراستنا عن حصرها .

وهناك مجموعة يتم فيها ربط « العربى » بتجارة العيد أو تجارة الرقيق ، متجاهلة أن تجارة الرقيق تمت أول ما تمت على يد المستعمر الأوربى وليست على يد العرب . ومن هذه الأفلام التى تشوه العلاقة التاريخية بين العرب وأفريقيا .

الخرطوم ، غرب زنجبار ، ليزا ، آسانتى ، السفن الطويلة ، وغيرهم . وهناك مجموعة تعتمد إلى تشويه صورة العربى أثناء الحروب الصليبية : ومن هذه المجموعة : ايفانهو ، عبر القرون ، فرانسيس الاسيزى ، فاشيست ومصاص الدماء ، السيد ، وغيرهم .

ومن الأفلام التى تعتمد إلى تشويه الصراع التاريخى بين العرب ودولة إسرائيل العنصرية نذكر :

السفير . وفيلم خلف الجدران .

• ونبدأ الإشارة إلى محتويات هذه الأفلام بالإشارة إلى فيلم « أرض العرب »^(١) الذى يقوم بأدوار الشخصيات العربية فيه ممثلون إسرائيليون أو أمريكيون لا يعرفون عن بلاد العرب شيئاً ، فالنساء دائماً محجبات تغطيهن العباءة السوداء ،

(١) موضوعات الأفلام الواردة هنا مستقاة من مقالات الدكتور جاك شاهين : « العربى كما تراه هوليوود » (مجلة العربى — العدد ٣٥٣ إبريل ١٩٨٨ ص ١٠٤ — ١١٢) « الفيلم الأمريكى واللاهامية الجديدة ضد العرب » (مجلة العربى العدد ٣٥٦ — يوليو ١٩٨٨ — ص ١٠٧ — ١١٣) ود . جاك شاهين هو أستاذ للصحافة بجامعة جنوب إلينوى الأمريكية وله كتابات كثيرة عن طريق تناول العرب وقضاياهم فى أمريكا

والرجال دائماً يرتدون الملابس الرثة ، وهم إما إرهابيون ضراة أو من الحرس الصامتين ، أو هم حكام مستبدون يحكمون قوماً من الأجلاف الذين يعيشون في صحراء ينتشر فيها الرعاة بأغنامهم وخيولهم وجمالهم وفي وسط هذه الصحراء يشاء المخرج أن يقيم قصراً باهظ التكاليف وبالجم الطبعي وشبيهاً بقصور ألف ليلة وليلة .

● وفي فيلم «بروتوكول» (١٩٨٤) يظهر العربي (الفاسد أخلاقياً) بصورة الإنسان الذي لا يبالي بعمل أى شيء في سبيل الحصول على فتاة شقراء تثير غرائزه الجنسية ، فبعد أن تتمكن بطلة الفيلم (جولدى هون) من أحباط مؤامرة لاغتيال أحد الحكام العرب ، يكافئها هذا الحاكم على بطولتها التي أبدتها في إحباط تلك المؤامرة بإرسال رجاله المدججين بالسلاح ، لإحضارها إليه ، حيث تكتشف (جولدى) أن ما عملته لإنقاذ الشيخ ، وما أبدته من حسن نية ستكون مكافأتها عليه أن تصبح إحدى زوجات الشيخ نفسه ، نعم .. (الشيخ الذي لديه من الزوجات ما يفوق عدد كل العرب الذين يظهرون على شاشة الفيلم) ، وعرفت بعد ذلك أنها إذا لم تستسلم لمشيئة الشيخ فإنه لن يسمح لأمریکا ببناء قاعدة عسكرية في تلك الرقعة من الصحراء التي يسيطر عليها . وهكذا نرى الحاكم العربي يحاول التلاعب والتدخل في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل نيل ما يريد ، إنه يريد أن يحول فتاة أمريكية شقراء إلى واحدة من الرقيق . ولا ينقذ جولدى من ووطنتها ويحفظ عليها عفتها وفضيلتها إلا ثورة نشبت بين فئتين من العرب فقتل العرب بعضهم بعضاً وخرجت الفتاة الأمريكية الشقراء سالمة نقية طاهرة .

إن موضوع هذا الفيلم إذاً يقوم على الاحتيال والدجل ، والبطلة الشقراء هذه هي كل العناصر التي استخدمها المخرج لإيراد قصة بناء قاعدة عسكرية على أرض هذا الشيخ العربي ، والنتيجة التي يخرج بها الفيلم هي وصول البطلة جولدى سالمة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ومثلها للتحقيق أمام إحدى لجان الكونجرس الأمريكي حيث يث هذا المشهد على شاشات التلفزيون ، ويسمعها المشاهدون وهي تنصح وتحذر رجال الكونجرس أن يفكروا مرتين قبل دعوة الشخصيات العربية الكبيرة لزيارة البيت الأبيض ، حيث تقول :

«إن أمن وسلامة بلادنا يتعرضان للخطر على يد هؤلاء العرب ، والتعامل معهم أمر في غاية الخطورة» !

• أما فيلم «جوهرة النيل» (١٩٨٥) فيعتمد إلى ترسيخ فكرة وقوف العرب ضد بعضهم البعض ، والخلافات المستشرية بينهم ، حيث تدور قصة الفيلم حول نشوب عصابة مسلحة في «الأرض العربية» وكما هو الحال في فيلم «بروتوكول» ، فالمشاهدون لهذا الفيلم تطالعهم نفس الأماكن تقريباً ونفس الخلفية الصحراوية ، والنساء المحجبات ، والحراس المسلحين بالسيوف الحدياء الذين يرمقون كل إنثى شقراء بنظرات غرامية وشهوانية ، ثم يشاهدون بطل الفيلم ، الحاكم المستبد واسمه «عمر خليفة» ، وهو يحاول أن يغوى كاتبة أمريكية جميلة أسمها جوان وايلدر (تقوم بهذا الدور كاتلين تيرنر) إذ يدعوها لزيارة مملكته على النيل لتدوين نجاحه في توحيد «القبائل التي تعيش على ضفتي النهر» . وما أن تصل (كاتلين) إلى داخل قصر الحاكم الذي يشبه إحدى قلاع الجيوش الأجنبية حتى تكتشف أنها وقعت في نفس الفخ الذي سبق وأن وقعت فيه جولدى هون في فيلم «البروتوكول» وأنها أصبحت أسيرة في قبضة الشيخ عمر الذي كان قد خطف أحد رجال الدين ودخل في صراع ضد مجموعة العرب المؤيدين لرجل الدين ، الأمر الذي دفعه إلى اللجوء إلى حيلة سخيفة ، فيستخدم موسيقى الروك وما تحدثه من أثر في هز الأجسام لإقناع الناس بالتخلي عن رجل الدين الذي ينتهى الفيلم بمشيئه داخل النار وسط أتباعه الذين يشهقون مندهشين .

إن الفيلم يريد أن يظهر العرب كشعب بدائى يؤمن بالخرافات ، كما يريد أن يصورهم بصورة اللصوص المارقين حيث ينتهى الفيلم بعد أن يسمع المشاهدون من يهمس في آذانهم ببعض وصمات العار التي يريد أن يلحقها الفيلم بالعرب : «انظروا إلى هؤلاء الفتیان ، أنهم لصوص ، ولن تسلم أية نعجة من أيديهم عندما يحل الظلام» ، ثم يعود للكلام .. «إذا أعطيت هؤلاء الفتیان خمسة أو ستة دولارات فسوف يسرقون لك ما تريد من أى بيت» ، ويمضى قائلاً : «لماذا تظل هذه المزايل قائمة في العالم الثالث تدب فيها الحياة ؟ .. إن الذى يقف في طريق إزالتها هو ذلك الشيخ العربى (العظيم الشأن) !



Garland Originals from the Alexander Library (GOL)
Alexander Library

لقطات من الأفلام التي تسيء إلى سمعة العرب

• وفي فيلم «بولير» نرى شيئاً بغيضاً آخر ، فهو يقدم لنا العربى على صورة العاشق الشهبوانى العاجز جنسياً ، والفيلم الذى ترجع أحداثه إلى العشرينات يقدم لنا امرأة شابة غنية تقوم بدورها الممثلة بوديريك، تطمع بأن يقوم إنسان مجرب وخبير بالنساء بفض بكارتها ، وبعد أن استعرضت أبطال الأفلام ، قررت أن تغوى أحد الشيوخ الحقيقيين بأن يقوم بهذه المهمة ، على أساس أنه خبير بالنساء .. وتشد «بو» الرحال إلى مراكش ، وتذهب إلى أحد النوادى الليلية ، حيث يقودها أحد القوادين من يدها ماراً بها عبر مجموعة من راقصات هز البطون ثم مجموعة من الجمال (وليتصور القارىء وجود الجمال فى نادى ليلى !!) ثم يلقي بها فى أحضان أحد الشيوخ الذى يتقبل عن طيب خاطر القيام بهذه المهمة ، وتقترب «بوديريك» عليه أن يقوماً بنزهة على ظهور الخيل فى ضوء القمر ، فوق رمال الصحراء . ولكن الشيخ كان عاجزاً عن تلبية رغبتها فهو لا يستطيع حتى إمتطاء صهوة الحصان بسبب التدخين المستمر للنارجيلة ، وتستسلم «بو» للأمر الواقع وتقوم بخلع ملابسها ، وكان هذا كافياً لاستشارته فيقوم الشيخ بدهن جسمها كله بمزيج من الحليب والعسل ، وتستسلم له مغمضة جفניה ومتوقعة لمساته الحانية ولكن الشيخ الذى كان قد غلبه النعاس يفقد قوته ، ولا يعود قادراً على القيام بالمهمة الموعودة ، وتنخرط «بوديريك» فى البكاء ، فأنين اللذة الذى كالت يتوق إلى أن يصدر منها لم يتحقق منه شيء ، ولا تلبث أن تصرخ قائلة : «هؤلاء الشيوخ لماذا يتظاهرون بما ليس فيهم ، ولماذا يكذبون ؟» .

ويمضى الفيلم فى سرد الأحداث حيث يقوم الشيخ بمساعدة أتباعه باختطاف «بو» حيث يصر الشيخ على خطفها من بيت عشيقها الأسبانى مبرراً خطفها — رغم أنها لم تعد عذراء بعد .. بقوله «إننى أخطفك الآن ، كما خطف أبى أمى من قبل» . وهكذا فالعرب على الشاشة الأمريكية يقومون بخطف نساءهم سواء كن راضيات أو كارهات .

• أما فيلم «الدفاع الأفضل» (١٩٨٤) والمبنى على معلومات وردت فى كتاب ألفه (روبرت جروسباك) عام ١٩٧٥ عن تورط الولايات المتحدة فى الحرب

الفيتامية ، وعنوانه : طرق سهلة وصعبة للخروج ، فيعتمد إلى تغيير صلب الموضوع ويعتمد إلى تحويل الأحداث من فيتنام إلى الكويت ، حيث يقوم ضابط في الجيش الأمريكي بتدريب الجنود الكويتيين (الأغبياء والجبناء) ، الذين أسندت أدوارهم إلى ممثلين إسرائيليين — تماماً كما جرى تصوير الفيلم نفسه في إسرائيل ، ويرينا الفيلم كيف يشكو الضابط الأمريكي من كثرة روث الجمال ، ونسمع تبجحاً وكبرياء كذلك الذى نسمعه في فيلم «لورنس العرب» .

ويظهر لنا الفيلم النساء الكويتيات والعراقيات على شكل قطعان من الحرير ، أو هن إرهابيات محجبات يقمن بمهاجمة الدبابات الأمريكية ويظهر لنا الضابط الأمريكي وهو يمارس الجنس معهن ثم يقول ساخراً : أشكركن على حسن هزكن لبطونكن !!! — هكذا يصور الفيلم النساء العربيات .

وتتمضى أحداث الفيلم حيث ترد مجموعة من الإهانات موجهة إلى العرب ، حيث يصف الضابط الأمريكي الأطفال الكويتيين بأنهم حيوانات قارضة — يقوم بعد ذلك بإبادتها — ويصف السيدات بأنهن كلاب صحراوية .

• وفي فيلم «صحارى» (١٩٨٤) حيث أنتج الفيلم وصور في إسرائيل ، نرى العرب في صورة قبائل همجية من البدو الرحل ، يلاحقون إحدى (آلهات الجمال) — الممثلة بروك شيلدز — وبما أنها كانت إحدى المشاركات في سباق السيارات الكبير الذى يجرى في مراكش فنحن نراها دوماً وكأنها تهرب من مطاردة العرب ، عديمى الأخلاق الذين يقتلون بعضهم البعض وكما سبق وشاهدنا العرب في فيلمي «جوهرة النيل» و «بروتوكول» نراهم في هذا الفيلم أيضاً جماعة من الشهبانيين الداعرين الذين يعتدون على النساء الغربيات ، ويسمع المشاهد يصف العرب قائلًا : « هؤلاء الأشرار جاءوا من الصحراء ليشتروا النساء بأموالهم » ، وتقوم جماعة منهم أخيراً باختطاف «بروك شيلدز» ، ويتقدم أحد الشيوخ الشباب مطالباً بها ، كما يقوم عم هذا الشاب بمحاولات عدة لاغتصابها ، وعندما تستصى عليه ، يشتمها قائلًا : « يا كافرة ، إنك شيطانة ذات عيون زرقاء » .

● وفي فيلم «سباق القذيفة — الجزء الثاني» (١٩٨٤) نرى صورة العربى السخيف الذى يتصرف تصرفات منافية للعقل تتكرر لكى تثبت فى أذهان المشاهدين ، إنها نفس صورته فى فيلم «سباق القذيفة — الجزء الأول» (١٩٨١) . ففى الفيلم نرى فى البداية الملك (فلافل) يقوم بتوبيخ ابنه العبد بن فلافل ، ونفهم من سياق الكلام أن الابن قد خسر سباق (القذيفة الأول) ونسمع الأب يصرخ فى وجه ابنه قائلاً : يا بن أبشع زوجانى .. إليك الملايين فاذهب إلى أمريكا ولتفز فى سباق (القذيفة الثانى) .

ونفهم من سياق الفيلم أن العرب لا يملكون أية مهارة فى ميكانيكا السيارات بحيث يستطيعون الفوز فى سباق السيارات ، ولذا فهم يحاولون الحصول على كل شئ بأموالهم ، فهى الشئ الوحيد الذى يمتلكونه بوفرة . وبها يحاولون شراء الفوز فى مسابقات السيارات ، وشراء النساء الغربيات أيضاً . والصورة التى يحاول الفيلم تثبيتها فى الأذهان عن العرب ، هى الصورة الأسطورية عن «الشيخ الغنى» وابنه الأكثر غباء ، حيث يقوم الأخير بشراء شركة اسطوانات بمبلغ ٤٨ مليون دولار لمجرد أن إحدى أغنياتها قد أعجبت به .

ومع أن الفيلم يخلو من النساء العربيات إلا أنه يشوه سمعتهن ، فنحن نسمع ابن الشيخ يقول : «أننى أفضل النساء الشقراوات على النساء ذوات الشوارب» . أما ذوق والده فهو أشد انحطاطاً وأكثر حقارة ، فعندما يقوم سائق ابنه بتقبيل الملك من شفثيه يضحك الملك مسروراً وهو يقول : «ليت أملك تستطيع أن تقبلنى بهذه الحرارة» .

● أما فيلم «النسر الحديدى» (١٩٨٦) وقد جرى تصويره أيضاً فى إسرائيل ، ولقى نجاحاً كبيراً وحقق أرباحاً بلغت (١٢) مليون دولار فى خلال الأسبوعين الأوليين من بدء عرضه . فلا يخلو من العمل على زيادة مشاعر الخوف والكراهية من العرب ولهم . وفى هذا الفيلم يرى المشاهدون طائرتين مقاتلتين تسقطان فوق أرض متنازع عليها على حدود إحدى الدول العربية الوهمية (الكوم) .

ويستغل الدكتاتور العربى هذا الحادث ليحاول إرغام الولايات المتحدة الأمريكية على رفع الحظر التجارى المفروض على بلاده . وتجربى محاكمة الطيار

ويحكم عليه بالإعدام شقاً ، ثم نسمع من يقول لابن الطيار الأسير هامساً . إن بعض البلاد تلعب الكرة بطريقة تختلف عن طريقنا ، ' نسمع عسكرياً أمريكياً متقاعداً (الكولونيل) وهو يقول هامساً : « في هذه اللحظة مازالت الكرة في أيديهم ، وفوزنا — أى الأمريكيين — ليس مضموناً على أولاد الزنى هؤلاء ، فهم يقطنون في بلاد صغيرة كريمة على نفوسنا » . ويمضى الفيلم على هذا النسق من الحديث . وفي كل مرة يرد فيها ذكر العرب ، يوصفون بأبناء الزنى ، ويمضى الكولونيل قائلاً : « إن ما يشعروني بالتقزز والقرف هو تصويري هؤلاء المهووسين (يعني العرب) وهم يتناولون طعامهم مع الرجال الطيبين (يقصد الأسرى الأمريكيين) .

ويرينا الفيلم كيف يصف الكولونيل بلاد العرب بقوله : « ها هو شاطئ بلاد الأعداء » حيث يقوم بدور الوغد في فيلم « النسر الحديدي » القائد العسكري العربي الذي يقع الكولونيل أسيراً في قبضته فيقوم القائد العسكري بتعذيبه على أنغام أغنية تقول كلماتها .. « لن تقع في الأسر بعد الآن » ..

إن فيلم النسر الحديدي يدعم الصورة الذهنية للعربي المتوحش كما تظهرها الأفلام الأمريكية .. العربي الثرى يكرهه الأمريكيون ، ويعمل على ترسيخ جذور الكراهية للعرب التي كانت مقصورة على البعض منهم ، فيعمل على نشرها بين أفراد الشعب الأمريكي كله ، وإلى تعميم هذه الكراهية على كل العرب .

والرسالة التي يريد فيلم « النسر الحديدي » إبلاغها للأمريكيين هي : الأمريكيون قادرون على مهاجمة البلاد العربية ويجب عليهم القيام بهذه المهمة لأن العرب يقتلون الأمريكيين ويرفسونهم بأرجلهم حيثما يجدونهم .

• وفي فيلم « عودة إلى المستقبل » (إنتاج ١٩٨٥) والذي بلغ المجموع الإجمالي لإيراداته (١٩٠ مليون دولار) ونجح باجتذاب ٥٣ مليون مشاهد في عام ١٩٨٥ وحده ، يرينا الفيلم إرهابيين ليبين يقومون بشراء قطع غيار للعبة (الفليبرز) ظانين أنها ستساعدهم في صناعة قنبلة نووية ، وعندما يكتشفان

أنهما وقعا ضحية للغش يقومان بقتل العالم الذى غشهم .. ويظهر الليبين بأنهما دون مستوى البشر ، حيث يقود أحدهما شاحنة مقفلة تستخدم لنقل السلع ، وكأنه حيوان أفلت من قفصه ، ويشترك الاثنان فى الصراخ وإطلاق الأصوات المقززة المزعجة الشبيهة بأصوات الخنازير ! أما لماذا أقحم العرب فى هذا الفيلم ، ولماذا عمد المخرج والمنتج معاً إلى اختيار ليبيين ، فالسبب محاولة ترسيخ الأسطورة القائلة بأن العرب يقومون بطرق غير شرعية بمحاولة الحصول على الأجهزة اللازمة لانتاج القنابل الذرية ، من أمريكا على الأخص . مع أن المعروف للجميع أن البلد الذى يمتلك فعلاً — وأعترف بذلك — الأسلحة الذرية فى الشرق الأوسط هو إسرائيل .

• ويبدأ فيلم الحياة والموت فى لوس أنجلوس (إنتاج ١٩٨٥) بسيارة رئيس الجمهورية اليموزين السوداء ، يحيط بها الحرس وهى فى طريقها إلى فندق لوس أنجلوس . وفى الوقت الذى كان الرئيس ريجان يلقي خطابه يقوم بعض العملاء السريين بمراقبة الفندق ، فيشتبه أحدهم بأن عملاً ما يجرى فوق سطح الفندق ، وعندما يصعد إلى هناك للتأكد يجد أن أحد الحراس قد قتل ، وبعد ذلك يكتشف وجود شاب عربى يحمل حزمة من أصابع الديناميت شدها حول جسده ، ثم نسمع هذا الشاب يصرخ بلهجته العربية التى تتقن هوليوود صناعتها « الموت لإسرائيل وأمريكا ولكل أعداء الإسلام ثم يضيف أننى شهيد ، وسوف ألقى بنفسى عليكم وأفجر جسدى فيكم أنتم وكل أعداء الإسلام » ، ويقوم أحد العملاء السريين بجره بعيداً عن السطح قبل أن ينفجر مباشرة وهو يصرخ « الله أكبر » .

• وفى فيلم « سائقى الخاص » (إنتاج ١٩٨٦) نرى إحدى النساء تعمل سائقة وتقوم بحماية ركاب السيارة التى تقودها من أى أذى يلحق بهم لكنها تسمع لأحد اللصوص بالركوب فى سيارة « يهوزين » التى تقودها ليقوم بخداع شخص عربى والسخرية منه ، ونحن نرى هذا اللص المختال وهو يقوم بتوجيه

الإهانات للشيخ ، وإطلاق التعليقات الساخرة عليه ، مثل : « صاحب الرأس المغطاة بالمنشفة » و « راكب الجمال » و « كوم من الزباله » ، ويختم تعليقاته الساخرة بقوله : « إن الريح الذى تخرجه الجمال من مؤخرتها يجعلنى أفقد السيطرة على أعصابى » . ونرى « السائقة » تسمع تعليقاته الساخرة وتضحك ، فهى تظن أن الشيخ سعيد بهذه التعليقات ، ويتسلى بسماعها . ثم يقوم اللص بسلب محفظة نقود الشيخ وساعته الذهبية ، ولا نرى أى رد فعل من الشيخ غير التحديق فى وجه اللص ، وكأنه لا يفهم شيئاً مما يجرى حوله . وينصرف اللص ومعه حافظة نقود الشيخ المملوءة بأوراق النقود حيث يقوم بإنفاقها على « بنات الهوى » . ونحن نرى زبائن النوادى الليلية وهم يسخرون من محاولة العربى الظهور بمظهر البرود والوقار وتقليد الغربيين . ونرى السائقة تستحسن عمل اللص ومسلكه الغربى ! فالذى يريد أن يقوله القيلم يتلخص فيما يلى : « الشيوخ الصامتون لا يعرفون ما يفعلونه بالنقود ، ولذا فهم يستحقون ما يلاقونه من استخفاف وسلب ونهب .

• أما دور العربى الخبيث فنراه فى فيلم « شارلوك الصغير » (انتاج ١٩٨٥) ويقوم بهذا الدور الدكتور مورياتى ، وهو مؤلد من أب مصرى وأم انجليزية ، ويتزعم مجموعة من المتعصبين الذين يريدون الانتقام للدمار الذى لحق بقرية مصرية ، لذا فهم يقتلون الناس بينادق النفعخ بالفم التى تسبب الإصابة بالهلوسة . ومع أن أفراد هذه المجموعة من أبناء الشوارع الانجليز الفقراء ، إلا أنهم يلبسون الملابس المصرية منذ قيامهم بتعذيب الشابات الانجليزيات وقتلهن داخل أحد الهياكل المصرية القديمة ، وهم يدون للمتفرجين بأنهم من العرب ، كما يرينا هذا الفيلم ولأول مرة فى أفلام « شارلوك » حانة يرجع عهدا إلى القرن التاسع عشر يديرها بعض العرب . وفى هذه الحماره السيئة السمعة نرى امرأة بدينة تؤدى رقصة هز البطن على مرآى من رجال عرب أجلاف مسلحين بالخناجر .

إن العرنى « المولد » الذى نراه فى الفيلم من المؤمنين بالخرافات ، وهو غليظ القلب عديم الرحمة ، ومع أنه أستاذ جامعى إلا أنه بعيد كل البعد عن المجتمع الانجليزى المتحضر . إنه يعيش بعقلية العصور القديمة !

• ويظهر العرب فى فيلم (أمريكا .. أمريكا) بمظهر المجرمين العُتاة ، والإرهابيين القساة حيث يقتلون داخل الكنائس (أقدس الأماكن للمسيحيين) ثم يذهبون لاحتساء الخمر فى الحانات .

أما فيلم « الهدية » وهو من إنتاج « روبرت جولد سميث » فهو يروى قصة عدد من أمراء العرب الذين يصطحبون عشرات من حريمهم المحجبات إلى باريس ، حيث ينطلق الأمراء فى بعثة ملائمتهم لاصطياد العاهرات ومنهم بطلة الفيلم « اليهودية » ، وفى نفس الوقت يغلقون أبواب الجناح الضخم فى الفندق على نساءهم « الحريم » .. ولا يسمحون لهم بالخروج من غرفهن ، وحين يخطئ خادم عجوز فى قرع باب جناح الحريم يغلق الباب ويهجم على العجوز الخادم ويجبره على ارتكاب الفاحشة معهن جميعاً ..

أما كيف تم لهم فتح باب الجناح المغلق ، فليست تلك هى النقطة التى يهتم بها مخرج الفيلم لأن محور اهتمامه منصب على إظهار بعثة العرب لأموالهم التى لا يتعبون فى جمعها ، وعلى الشبق الذى ترتوى إليه « حريم » العرب .

• ويعرض فيلم نحو الليل — إنتاج ١٩٨٥ — مجموعة من قطاع الطرق الإيرانيين ، والمشاهدون لهذا النوع من الناس ينظرون إليهم كعرب ، لأن بشرتهم سمراء وعملهم هو القتل والابتزاز ، وهى الصورة التى غرسها المخرجون فى أذهان الناس للإنسان العرنى . وهم خطرون جداً ومستعدون لارتكاب جرائم القتل ، إذ يرى أحدهم مثلاً يطلق نيران مسدسه على أحد الكلاب المسالة ، ثم على أحد الطيور الجميلة وهو داخل قفصه ! ثم يقومون بإغراق صديق البطلة ، وفى إحدى المرات يتبادلون إطلاق النار مع مجموعة أخرى من العرب أو الإيرانيين ، ويشوهون أجساد بعضهم بعضاً بطلقات

مسدساتهم ، وينتهى الفيلم ولا يبقى منهم إلا واحداً فقد عقله وذاهمته نوبة صياح شديدة دفعته إلى قتل نفسه .
أنها النهاية التي يتوقعها — أو يريد — الصهيونيون للعرب والمسلمين ، أو يحاول الفيلم أن يوحى بها .

● وفي فيلم « يا إلهي ، أيها الشيطان » (إنتاج ١٩٨٤) يرى المشاهدون الشيطان يفخر بأن يأسر عرفات ما هو إلا أحد أتباعه. إن الفيلم هو نموذج واضح للأفلام التي لا علاقة لها بالعرب من قريب أو من بعيد ، ومع ذلك يقحم كاتب السيناريو سطرأً يشتمل على تحقير العرب . وفي فيلم « حريق سانت إلمو » (إنتاج ١٩٨٥) نرى المخرج يركز انتباه المشاهد على مجموعة من خريجي الجامعة ، ففى إحدى الليالي تقوم إحدى الفتيات بالإتصال بصديقها وترجوه أن يسرع لإنقاذها من برائن بعض العرب الذين أحتجزوها في حجرة في أحد الفنادق ، وأرغموها على تعاطي الكوكايين ، إن العرب في هذا الفيلم يقحمون بشكل عرضي في مناظرة ويتم تصويرهم على أنهم من ذوى الميول الجنسية الشاذة ومن يروجون الكوكايين .

● أما فيلم مسألة ليست صغيرة الذى انتج عام ١٩٨٥ فيعمل على تعزيز وتثبيت صورة الشيوخ العرب الذين يقومون بمطاردة الفتيات العذارى فنحن نرى أحد الشيوخ الشباب الذى يريد أن يُعلى من شأن مغنية مغمورة ويرفعها إلى مراتب الشهرة فيقوم بتعليق صورتها وأسمها ورقم هاتفها على ١٧٥ سيارة أجرة ، ماذا كانت النتيجة ؟ أنهالت على المسكينة المكالمات الهاتفية ، وكانت كلها مكالمات قذرة داعرة ، وفي ردها على إحدى هذه المكالمات نسمعها تقول لمحدثها : لا ، أنا لا أتكلم العربية ، كما لا أمارس ذلك العمل أيضاً ثم نسمعها تخبر الشاب الذى يعمل على أشهرها ورفع منزلتها بأن أحد الشيوخ العرب قد عرض عليها أن يلتقط لها صورة معه ومع زوجته الثانية الأخريات ، وتنتهى حديثها بالتعليق الساخر « الحمد لله أنه لم يعرض على أن تشمل الصورة جماله أيضاً » .

• وفي فيلم القوة من انتاج ١٩٨٦ يقوم أحد المشاهير بوسائل الإعلام بوضع الألحان الخاصة التي ترافق الحملات الدعائية السياسية مقابل مبلغ ٢٥ ألف دولار شهرياً . ولما كان العرب يعرفون بأنه لا يتقيد بالقواعد الأخلاقية يحاولون إغراءه بالنقود التي يحصلون عليها من بيع نفطهم لاستغلال قدراته في التأثير على الانتخابات الأمريكية ، ويقومون بمؤازرة أحد ملوك المال في أوهايو ، ومساعدته على الفوز بعضوية الكونغرس الأمريكي ، لا لشيء إلا لأنه يعارض استغلال الطاقة الشمسية للاستعاضة بها عن النفط .

• ويحاول فيلم « الشبكة » والمقصود « شبكة التلفزيون »^(١) تحريض المواطن الأمريكي وتخويف الرأي العام الأمريكي من خطر وهمي ، هو خطر استيلاء العرب بأموال نفطهم على المؤسسات الاقتصادية في السر وفي مقدمتها أجهزة الإعلام . ويذهب الفيلم إلى أن العرب يحاولون الاستيلاء على شبكة تلفزيون أمريكية لمجرد الامتلاك والتخريب ، وتتصاعد عقدة الفيلم حتى يصل إلى النهاية المطلوبة وهي أنه قد تم ترتيب صفقة بيع شبكة التلفزيون إلى العرب : أي التفريط في أعز ما تملك أمريكا ، لتسلم لقمة سائغة إلى الغرباء .

ومع أن شبكات التلفزيون الأمريكية تباع وتعرض لمن يريد وفق القانون الفيدرالي الأمريكي الذي يحظر — فقط — امتلاك شخص واحد لأكثر من شبكة تلفزيون في ولاية واحدة ، إلا أن شراء العرب لشبكة تلفزيون أمريكية معناه نهاية العالم الحر ، والسقوط في أحضان « الفاشية » العربية !

أما فيلم « الريج والأسد » فيقوم على فكرة غريبة ، تعتمد على إختطاف العرب المغاربة لامرأة أمريكية ، ومطالبتهم بفدية لها من الرئيس الأمريكي روزفلت !

(١) مصطفى درويش : الصهيونية في السينما ، مقال بمجلة الهلال القاهرية — عدد إبريل ١٩٨٥ ويشير الكاتب إلى أن مخرج ومؤلف الفيلم من اليهود وإلى أن الفيلم حاز على أربع جوائز أوسكار ! .

• إنه الإرهاب العرني الذي يتردد في عدة أفلام أخرى كـ «الخطأ والصواب»^(١) الذي أنتج عام ١٩٨٢ حيث يحاول ملك عرني شراء قنبلتين نوويتين لإرسالهما إلى رئيس عرني كي يلقي واحدة على إسرائيل والأخرى على نيويورك مالم يقدم الرئيس الأمريكي استقالته ! والفيلم بهذا لا يركز على دفع العرب بالإرهاب ، ولكن بمحاولتهم التدخل في السياسة الأمريكية ممثلة في محركها الأول ، ألا وهو الرئيس الأمريكي .

• ويركز فيلم «الفحل الأسود» لا على الإرهاب العرني فقط ، ولكن على الدونية العربية وانعدام المشاعر الإنسانية لديهم ، حيث يعمل العرب على ظهر سفينة محملة بالخيل ، يسيئون معاملتها - وحين تغرق الباخرة يهاجمون بقية الغارقين لإنقاذ سترات الإنقاذ منهم مهددين إياهم بالمُدى . والمعنى الرمزي لهذا الفيلم أن العرب وأن كانت سفينة العالم تسير بهم الآن وهم في حالة بادية من السوء ، فإنهم سيكونون أول من سيحاول الاستفادة من غرق هذه السفينة ودمار العالم !

• وتكرر صورة الإرهاب العرني في فيلم «الأحد الأسود» حيث تتآمر فيه مجموعة من العرب لقتل المتفرجين في مباراة لكرة القدم الأمريكية لولا تدخل (ضابط إسرائيلي بطل) ! مما يُظهر بوضوح محاولة بث الإعجاب بالشعب اليهودي في مقابل إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب ، أي عرض للنقيضين معاً ، اليهودي الخير ، والعرني الشرير !

• أما فيلم «القط الطائر»^(٢) فهو واحد من أسوأ الأفلام عدائية ضد العرب وتشويهاً لصورتهم ، والفيلم من إنتاج شركة مترو وجولدن ماير الصهيونية الشهيرة ، وهو موجه أساساً للأطفال والناشئة ، بيد أنه بتقنياته وطرافة موضوعه يجعل الكبار قبل الصغار يتسابقون لمشاهدته ، ويتحدث عن قط صغير جميل يأتي من كوكب بعيد ، كل سكانه من القطط ، وهذا القط يملك قوة خارقة في

(١) مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية ، مرجع سابق ص ١١٥ .

(٢) بتصرف عن مقال عبد الرحمن حمادى : «وأفلام الأطفال أيضاً» ، مجلة العرني الكويتية ، العدد ٣٦٤

— مارس ١٩٨٩ ص ١٢٢ — ١٢٣ .

السيطرة على الأشياء ، وذلك بسوار معلق في عنقه ، ويسعى عالم أمريكي للاستفادة من السوار بعد أن يقيم علاقة صداقة مع القط . وهدف العالم الأمريكي أن يحل مشكلة المجاعة في العالم الثالث (لنلاحظ الصورة المشرفة للإنسان الغربى) . بيد أن عصابة خطيرة تظهر فجأة ، وتحاول السيطرة على السوار لتسيطر على العالم ، وهذه العصابة تلبس اللباس العربى التقليدى ، وتسليح بالسيوف المعقوفة ويتخاطب أفرادها بأسماء إسلامية عربية (أحمد — محمد — جعفر) ، لكن لابد (للشعر العربى أن ينهزم) — كما يقول الفيلم — وذلك من خلال تصدى العالم الأمريكى للعصابة العربية المسلحة وتدميرها .

أنه فيلم ما صنع إلا ليشوهوا من خلاله صورة العرب ، وليقنعوا أطفالهم وناشئتهم قبل بالغيم أن الخطر فى العالم مصدره العرب — وعلى الغرب أن يسعى لتدمير هؤلاء العرب قبل أن يدمروا العالم .

• وفى فيلم « المنطاد » (الذى أنتجته أيضاً شركة مترو جولدن ماير) يظهر العربى بصورة أكثر بشاعة من صورة آكلى لحوم البشر المتوحشين ! ويتحدث الفيلم عن رحلة علمية لعلماء أمريكيين فى منطاد ، ومعهم مساعدة شقراء جميلة . وفى رحلتهم يتعرض منطادهم لعطل ، فيقعون فى أسر جماعة من المتوحشين آكلى لحوم البشر فى أفريقيا ! بيد أنهم بعد سلسلة من المغامرات ينجحون فى الهرب بمنطادهم ، وقد همّ الأفارقة بطهيهم وأكل لحومهم .. ثم يصل بهم المنطاد إلى صحراء شاسعة ، ويخلق فوق مدينة إسلامية ترتفع فيها المآذن بكثرة ، وإذ يرى سكانها المنطاد يظنونه شيطاناً سماوياً فيخرون ساجدين برعب ، ويهرع المؤمنون للمآذن يكبرون ويتهلون لله أن يصد عنهم هذا الشيطان .

ويهبط العلماء ليتزودوا بالمؤونة من هذه المدينة العربية التى تسرح فيها الجمال ، ويعيش سكانها وسط القاذورات والبائس ، والذين ما أن يطمئنوا إلى أن هؤلاء الهابطين عليهم بشر مثلهم حتى يقودوهم إلى أميرهم فى قصرة الكبير .

الأمير المسلم هذا محاط بالحريم ورجال الدين الإسلامى ، يقرأ القرآن ويرتكب الفواحش — هكذا يقول الفيلم ! — وما أن تقع عينا على المساعدة

الشهداء حتى يسيل لعابه على لحيته ويقرر اغتصابها وضمها إلى حريمه . ثم تدور مغامرات يجابه فيها الأمريكيون سكان المدينة المسلمة الذين كلما شعروا بالهزيمة سجدوا مبتلين إلى الله أن ينصرهم — وفي النهاية ينجح العلماء في إنقاذ مساعدتهم الشهداء (بالطيران بها) وقد أوشك الأمير المسلم أن يفترسها . ومع أن الفيلم لا ينتهي بتدمير المدينة العربية المسلمة ، بل يتركها ، إلا أن وراء هذا مغزى هام بالنسبة للمشاهد الغربي ، ألا وهو أن المسلمين والعرب خطر قائم ومستمر لم يتم تدميره بعد . ويجب أن تتكاتف الجهود لصدده وإنهائه والقضاء على آكل اللحوم النسائية ، أولئك الشبقون العرب .

• إن الشبق والسادية العربية هما محور فيلم « بينوى ييلت » « أى البيض الفلبيني »^(١) الذى أنتجته الفلبين ، وهى إحدى الدول الآسيوية التى تعمل أبناؤها وبناتها خدماً لدى العرب ، خادمة بذلك المخططات الصهيونية الداعية لتشويه صورة العرب والمسلمين . ويبدأ المشهد الذى يثير دائماً رواد السينما من الجنس الآخر — فينطلق فى صياح وهياج — بمجموعة من نساء الليل يتنافسن على الزبائن . ويُطيب قزم مكرّ خاطر إحدى النساء الغاضبات ، لأن زبونها ضاع منها بقوله : « لا عليك ، سأحضر لك زبونا عربياً » . وتزعج الفتاة لمنظر العربى الكريه عندما تراه — فتجفل كظبية يكاد يفترسها ذئب ، أو تلتف حولها كوبرا لتخنقها ، فتلجأ للحيلة والمكر والخداع وتحاول أن توهمه أنها ولد ، (مدللة على ذلك بصدرها غير الناهد) فيهجم عليها قائلاً : الآن أريدك أكثر !!..

وليس بعد هذا التشويه واتهام العرب جميعاً بالشدوذ تشويه . ثم تظهر سادية العربى ، (وقد ألبسوا أحد ممثليهم الملابس العربية ، إمعاناً فى الزرابة والتشويه والنكاية) فيحاول ضربها بالسوط ويضربها فعلاً ، إلى أن تنجح فى اختطاف السوط ، منه ، وتضربه به على مؤخرته ، وهنا تصل المأساة إلى ذروتها ، إذ تتضح أيضاً « ماسوشيته » فينام لها فى الفراش وهى تضربه على مؤخرته وهو يقول لها : أضربنى أكثر !

(١) بتصرف عن مقال محمد حسنين : صورة العربى فى السينما غير العربية . المرجع السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ وقد أشرنا إلى هذا الفيلم رغم أنه غير أمريكى إلى أى حد وصلت أطراف الأخطبوط الصهيونى .

إن الهمجية العربية هي أهم معالم فيلم « مغامرات في مصر » للثنائي بد سبنسر وترانس هيل ، حيث مغامراتهما الشيقة هذه المرة تدور على أرض مصر ، وتبدأ بهبوطهما في مطار القاهرة الدولي بكل حادثته ، وحضارته ، وسعته ، ثم ينتقلان لمدينة القاهرة التي هي عبارة عن خيم وإبل تسير في شوارع صحراوية وإناس بعباءاتهم العربية التقليدية يحاربون بالسيوف المعقوفة ويمتطون الإبل ، ويهربون عند سماعهم أصوات الطلقات النارية من مسدسى سبنسر وهيل !

• وتظهر هذه الهمجية أيضاً في فيلم « موعد مع الموت » حيث يصور الفيلم مجد الإمبراطورية البريطانية الغابر عندما كانت بريطانيا تحتل بعض الأقطار العربية وتهب خيراتها وثرواتها وتستنزف أدمغتها المفكرة . في هذا الفيلم يظهر العرب بدائيين ، متوحشين ، حاقدين ، مكرين خبثاء ، كارهين مكروهين ، سلاحهم الخناجر يغمدونها في أجساد ضحاياهم من البريطانيات البريئات الفاتنات والأوروبيات المتحضرات ، وفي أحد المشاهد يجتمع نحو عشرين رجلاً — يحمل كل واحد منهم خنجره — ويحيطون بإحدى البريطانيات الشابات إحاطة السوار بالمعصم ، وهنا يصل المنقذ في صورة الجيش البريطاني ، فترتد الخناجر إلى أعمادها ، وهكذا تنهزم الخناجر أمام البنادق ، والعرب أمام البريطانيين والأوروبيين ، والجلافة والبداءة والجهل أمام الحضارة والتقدم والعلم .

إن ما يحمله الفيلم من إساءة إلى العرب كبير ، فهم رمز التخلف والحققد والشبق والثورة التي تضيع هباء على الداعرات الساقطات ، وهو يحمل تشويهاً متعمداً للتاريخ العربي ، ذلك التشويه الذي يشوب معظم الأفلام التاريخية التي يكون العرب طرفاً فيها بدءاً من العلاقة التاريخية بين العرب والأفريقيين ووصولاً إلى الصراع العربي الصليبي والعربي الإسرائيلي .

لقد سبق لنا أن شرحنا الفارق بين الدعاية الصهيونية والدعاية اليهودية والدعاية الإسرائيلية ، بيد أننا نعيد التأكيد هنا على ما تحويه كلمة الصهيونية ، فالصهيونية لا تعني الإسرائيليين تحديداً ، ولا اليهود فقط ، ولكنها تشمل الإسرائيليين واليهود والمسيحيين أيضاً ، ولما كان المسيحيون طوائف عدة أهمها الكاثوليكية

والبروتستانتية ، فإن التركيز على صهيونية البروتستانت أمر لا مناص منه ، ففي الوقت الذي لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل حركة الإصلاح الديني التي قام بها «مارتن لوتر» أدنى مكان لاحتال العودة اليهودية إلى فلسطين لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية ، أتاح الإصلاح الديني البروتستانتى الفرصة للنهضة اليهودية ، وأعاد اكتشاف العهد القديم ليعود له اعتباره بعد أن كان مهملاً من قبل الحركة الكاثوليكية ، مما عزز النزعة اليهودية ودعم وجهة نظرها في الأوساط المسيحية الجديدة ، فأصبحت بذلك فلسطين أرضاً يهودية في الفكر المسيحى في أوروبا البروتستانتية ، كما حظيت النبوءات التوراتية عن مستقبل «إسرائيل» بأهمية كبرى وغدا كثير من الفرق البروتستانتية مقتنعاً بأن تحقيق «النبوءات» ليشمل اليهود المعاصرين بشكل أو بآخر ، فإذا أضفنا إلى ذلك : الاضطهاد الشديد الذى تعرضت له البروتستانتية على يد الكنيسة الكاثوليكية لاكتشفنا أن الدوافع بين اليهود والبروتستانت أصبحت تكاد تكون واحدة .

ولم يكن غريباً أمام هذه الدوافع — التى تنسحب عليها لفظة الصهيونية — أن نجد السينائيين البروتستانت من أمثال «سيسل دى ميل» ، «انجمار برجمان» ، «دورمان جوويسون» وغيرهم يقصدون الموضوعات الدينية والتاريخية المعاصرة بالمفهوم المناصر لليهود .. ولو استعرضنا على سبيل المثال^(١) الأبعاد المختلفة للأفلام الدينية والتاريخية التى أخرجها «سيسل دى ميل» مثل :

«الوصايا العشر» (١٩٢٣) ، «ملك الملوك» (١٩٣٧) ، «علامة الصليب» (١٩٣٢) ، «كليوباترا» (١٩٣٤) ، «الصليبيون» (١٩٣٥) ، «شمشون ودليلة» (١٩٤٩) ، «الوصايا العشر» (١٩٥٦) ... فسنتكشف أنه كان في كل هذه الأفلام يتخذ من عنصر مناصرة اليهود بُعداً مشتركاً لا يحيد أو يتراجع عنه ، وفي نفس الوقت كان يلتقط الأحداث الدينية والتاريخية التى تتيح له المزج بين الدين والجنس لأسباب تجارية بحتة !!

(١) أحمد رأفت بهجت : السينما العالمية والتاريخ العربى ، الحروب بين العرب والفرنجية . مقال بمجلة «الكويت» (العدد ٥٨) يونيو ١٩٨٧ ص ١٠٤ .

إن سيسيل دى ميل واحد من أهم الصهيونيين غير اليهوديين ، أو الصهيونيين «الأميين» أنه صهيونى من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، لذا فإن أفلامه التى صورت الشخصيات العربية الإسلامية سواء من خلال أحداث معاصرة أو تاريخية مثل : «العرب» (١٩١٥) ، «الاسيز» (١٩١٨) و «الصليبيون» (١٩٣٥) ، وكانت تحمل الرؤية العنصرية التى تبناها البروتستانت تجاه العرب .. وهى عنصرية تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الصهيونية غير اليهودية هى أشد فاعلية وخطراً من الصهيونية اليهودية نفسها .

فعندما تتعرض السينما العالمية للحقائق التاريخية ، تتجاهل تلك الحقائق وتعمد ترديد الدعاوى الكاذبة التى تحاول العزف على نغمة ظالمة ، فتصور العلاقة التاريخية بين الشخصية العربية والأفريقية على أساس أن الأفريقيين كانوا دائماً ضحايااً للتجار العرب ، فى حين أن الرجل الأبيض كان منقذهم الوحيد من مخالب هؤلاء التجار (١) ونسى صنّاع السينما العالمية أو تناسوا لدوافع صهيونية بحجة أن الأوربيين هم الذين قاموا بكل أنواع الاستغلال فى أفريقيا ، بما فى ذلك تجارة الرقيق ، بداية من القرن السادس عشر ، وأنهم كانوا يقومون بهذا الاستغلال ، فى وقت كانت فيه الحضارة العربية تشع بنورها على كل ميادين الفكر والعلوم فى أوروبا !

لقد عاجلت السينما الغربية هذا الموضوع (١) بصورة متحيزة وظالمة ، أريد من خلالها إظهار العرب وكأنهم العنصر الرئيسى وراء تجارة الرقيق فى أفريقيا .. وتتردد هذه الفكرة فى كل الأفلام التى ظهرت عن الثورة المهدية بما فى ذلك الأفلام التى صورت هروب الإنجليز من السودان بعد مقتل الجنرال «جوردون» فى الخرطوم . وليس إعجاب الإنجليز بشخصية «جوردون» مقصوداً على كونه نموذجاً للبطل الاستعماري ، بل أيضاً لأنه قاوم الرق العربى . وفى فيلم «الخرطوم» (١٩٦٢) نجد «جوردون» لا ينجح فى الوصول إلى المقر السرى

(١) انظر مقال أحمد رأفت بهجت : «صورة ظالمة للعرب فى أفلامهم : موقف السينما العالمية من الشخصية العربية والأفريقية» مقال بمجلة الدوحة القطرية ، عدد إبريل ١٩٨٥ ص ١٤٨ — ١٥٣ ولاحظ أن الأستاذ أحمد رأفت بهجت واحد من أفضل المهتمين بدراسة الصورة الظالمة للشخصية العربية فى السينما الصهيونية .

للمهدى إلا بمساعدة صديقه خليل (جون سيكا) العملاق الزنحى الذى ساعده جوردون فى التخلص من الرق وأكسبه بعض الأفكار والتعاليم . ونشر هذه الأفكار يجعلنا نتساءل : هل الإنجليز الذين تاجروا فى الرق منذ القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين ، بل وفى النصف الثانى من القرن العشرين كانوا غير هذا البطل الاستعمارى ، وهل فقدت إنجلترا القادة بحيث لم تستطع خلق جوردون آخر للتخلص من الرق الأوروبي البشع فى أفريقيا ؟

• وفى فيلم « غرب زنجبار » (١٩٥٤) الذى كتبه وأخرجه « هارى وات » وكان بطله الانجليزى « أنطونى ستيل » فى حالة بحث متواصل فى سبيل مقاومة تجارة الرقيق فى شرق أفريقيا التى كانت تقوم به — كما أدعى الفيلم — العناصر العربية فى « زنجبار » المركز الرئيسى لهذه التجارة منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ومرة أخرى نجد هذه الشخصية تخالف تماماً فى تفكيرها ونزعتها ما نراه فى الواقع التاريخى ، حيث كان الانجليز الذين ينتمى إليهم بطل الفيلم يمارسون هذه التجارة فى غرب أفريقيا بشكل لم يشهد له العالم مثيلاً .. ولا يسعنا إلا الاستشهاد بالباحث الانجليزى « بازل دافيد سون » حينما يكتب عن تجارة الرقيق التى قام بها الأوروبيون فيقول :

« اتخذت تجارة الرقيق معنى خطيراً حين شرعت السفن الأوروبية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل وتدمى الحياة فى القارة ، لقد أصبحت النخاسة على يد الأوروبيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود الذى اجتاحت أوروبا » .

ولقد كان هنالك دائماً فى كل الأفلام المناهضة للشخصية العربية شخصية يحرص عليها السينمائيون الغربيون حرصاً واضحاً ، وكانت هذه الشخصية هى شخصية العربى « تاجر العبيد » .. إن سلوك هذه الشخصية وتصرفاتها كلها أمور تجسدها لنا الأفلام « الصهيونية » وتوضح معالمها بشكل ظهر من خلال ممثلين لهم قدرتهم على تجسيد الشخصيات الكاريكاتورية . ومن هؤلاء الانجليزى « هارى اندروز » فى فيلم « ليزا » (١٩٦١) ، أن الألمانى « بيتر لورى » فى فيلم « ٥ أسابيع فى بالون » (١٩٦٢) أو الممثل الروسى الأصل « بيتر اوستينوف » الذى

لعب شخصية تاجر العبيد سليمان في فيلم « آسانتى » (١٩٧٩) للمخرج « ريتشارد فليشر » .

• كان « هارى اندروز » في فيلم « ليذا » هو تاجر العبيد أيوب الذى يعمل مع نازى سابق فى تجارة الرقيق ، وكانت شخصية بيتر لورى تحمل فى جوهرها طابع السخرية من تاجر العبيد من خلال أحداث ذات طابع خيالى كوميدى اعتمدت على رواية لجول فيرن .. تدور أحداثها عام ١٩٦٢ حول عالم أوروبى يهبط بواسطة بالون فى وسط أفريقيا . وظهر « لورى » فى شخصية تاجر العبيد الذى تمتلئ جعبته بالحيلى والألاعيب ، إنه الشرير الذى يضطر الإنسان إلى انتظار شروعه وحيله فى كل لحظة .. وتظهر شخصيته فى سياق الجو الخيالى الذى قدمه « فيرن » فى روايته مما قلل من تأثيرها على المتفرج العالمى ، بعكس ما حدث مع شخصية « سليمان » التى قام بها « اوستينوف » فى « آسانتى » وحاولت تشويه صورة العرب وتدعى أنهم أصابوا الأفارقة السود بأشد الأضرار التى تفوق ما قدموه لهم من مساعدات !!

والواضح أن هدف هذا الفيلم هو أن يفقد المتفرج حياده بمجرد أن يشاهد شخصية سليمان « الصهيونى النية » الذى يحاول تشويه صورة العرب أمام العالم والدول الأفريقية ، فلقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ١٩٧٨ فى كينيا ثم استكمل فى إسرائيل ، وكان المشرف على التصوير من الجانب الإسرائيلى « رينجل » وتم تصوير الفيلم ما بين إيلات ، حيفا ، القدس ، والفيلم لا يكتفى باختلاق الأحداث ، ولكنه يجعل العرب فى مواجهة مع هيئة الأمم المتحدة نفسها التى يمثلها فى المناطق الأفريقية دافيد وزوجته السوداء من أجل إنقاذ الأفريقى الأسود من الأمراض والأوبئة ، فى الوقت الذى يتسبب العرب فى كل المآسى التى تصيب الأفريقى !

• وفى فيلم « السفن الطويلة » (١٩٦٤) الذى لعب فيه الممثل الزنجى الشهير « سيدنى بواتييه » دور قائد مغربى أسود ، وأخرجه جاك كارديف عن رواية كتبها « فرانسيس بينجستون » وعن سيناريو لبريكل ماثير ويغفرلى كروس ، نجد الجرعة الإعلامية ضد العرب تحتل مساحة أكبر مما هو فى أفلام أخرى كثيرة مناهضة

للعرب تم إنتاجها في نفس الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧ مثل أفلام « أرايسك » ، « ظل العملاق » ، « مود يستى بليز » ، « أجازة في الحريم » و « حفلة تنكرية » وغيرها من الأفلام التي كانت تتطلب جهداً مضنياً من التلقيق والخيال حتى تعطى أكبر جرعة إعلامية ضد العرب .

كانت قصة فيلم « السفن الطويلة » بسيطة التركيب ، سلسلة البناء عمادها الأحداث التي تجرى حول البحر ، وبخاصة المناطق التي تغلقت فيها. سفن قبائل الفايكنج بحثاً عن الغنائم ، وهؤلاء الفايكنج رغم قوتهم يخضعون غالباً لروح شريرة مستبدة أو لحظ متقلب غادر .. يتعرضون للأسر أو للخطف أو يعانون من أنواء البحر وتحطيم السفن وغرقها .. يكبلون بالأغلال ويزج بهم في السجون من غير ذنب اقترفوه ، أو يباعون في أسواق العبيد . وهكذا يبرون بلحظات مثيرة ويتعرضون لأحداث جسيمة يصورها الفيلم تصويراً دقيقاً لطبيع قصته بطابع درامى عنيف ويخلق من خلاله وجهة نظر البطل المغربي الأسود الذي يصبح بالنسبة لهؤلاء الفايكنج هو الروح الشريرة التي تذلم . ولكن عندما يقاومونها يبتسم الحظ لهم ، ويستردون قوتهم ، ويستردون الأمل في الحياة والنجاة .. ثم ينتهى الفيلم باستردادهم الكنز الذهبى وقتل العربى الأسود « المانسو » .

كانت الشخصيات في « السفن الطويلة » على نمط واحد لأنها كانت من لسج خيال كاتب مغرض لا من واقع الحياة .. كان يستمدهم من أفكاره حول الفايكنج المقاتل الشجاع ، والعربى القاسى القلب ، ولذا نرى هذه الشخصيات كأشباح خافتة تقوم بأدوار بعينها.

إن الفيلم يحاول من خلال مشاهد التعذيب التي يتعرض لها كل من « رولف » و « جيردا » أن يبرز قدرة الاثنين على الاحتمال ويعتبرها محكاً لبطولتهما ومقياساً لنجاحهما . لا يخافان أى تهديد ، ويتحملان أى تعذيب أو أهانة ، ويصبران على أى مكروه .. وعندما يقتاد رجال « المانسو » رولف إلى آلة التعذيب الجهنمية التي اخترعها « المانسو » بنفسه لتشطر الجسد البشرى الى نصفين طوليين ، يفضل رولف الموت على أرشاد العربى إلى مكان الكنز ، حتى يفاجأ وهو على وشك الموت بشقيقه « أورم » و « سيفن » وقد حررتهما

« أمينة » زوجة « ألمانسو » ليخبرا زوجها بمكان الكنز ليحرر رولف من أسرهِ .
ولقد كان فيلم السفن الطويلة الذى أنتج عام ١٩٦٣ تعبيراً أيضاً عن موقف متصل اتخذه « كارديف » تجاه الانسان العربى ، سواء عندما كان مصوراً أو عندما تحول إلى الإخراج : فمنذ بداية عمله كمدير تصوير سينمائى ، وقبل أن يتحول إلى الإخراج، وهو يسبح فى اتجاه التيارات السينائية المضادة للعرب ، وكانت أفلامه التى شارك فى تصويرها أو إخراجها مثل :

« الريشات الأربع » (١٩٣٩) ، « أسطورة المفقود » (١٩٥٧)
« السفن الطويلة » (١٩٦٤) « موت على النيل » (١٩٧٨) ، كلها تؤكد موقفه المناهض للإنسان العربى والأفريقى الذى حاولوا تشويهه بكل الوسائل فى أفلامهم .

وكما سبق أن قلنا يقتصر تشويه السينما الصهيونية للعلاقة التاريخية بين الشخصيتين العربية والأفريقية ، إذ تعدى ذلك التشويه حدود العلاقة تلك ليشمل كل العلاقات التاريخية التى يكون العرب طرفاً فيها . فقد تنبّه القوى اليهودية فى السينما الأمريكية والأوروبية ، منذ نشأة السينما إلى ضرورة تشويه التاريخ الإنسانى فى كل فتراته للحصول على أفكار تساند وتدعم قضايها الدينية والسياسية ، ولقد كان موقف السينائيين اليهود من أمثال « مايكل كورتيز » ، « باندرواس بيرمان » ، « ريتشارد ثورب » ، « أنتونى مان » ، « هنرى بلانك » و« ديفيد بتلر » ينسجم مع الموقف اليهودى « عموماً خطة « الحروب الصليبية » التى كان العرب طرفاً فيها .^(١)

ومع أن اليهود لم يكونوا طرفاً فى الحروب أساسياً — كما يقول الدكتور قاسم عبده قاسم فى بحثه : « رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية » — فى هذه المواجهة العسكرية الحضارية الطويلة .. ومن هنا فإنه لا يمكن القول بأن لهم إنجازاً إلى جانب أحد الطرفين المتصارعين .. بيد أن الموقف اليهودى من الحروب الصليبية

(١) انظر أيضاً مقال أحمد رأفت بهجت : « الحروب بين العرب والفرنجة » مقال بمجلة الكويت العدد ٥٨ — يونيو ١٩٨٧ ص ١٠٠ — ١٠٥ .

يخدم الأهداف الصهيونية الأساسية في عدة جوانب أولها محاولة تصوير الاضطهادات التي أوقعها الصليبيون باليهود في أوروبا على أنها حلقة ضمن سلسلة الظاهرة التي أطلق عليها اسم « معاداة السامية » وثانيها إظهار الشخصية العربية في رؤية سلبية تظهرها بالضعف والخسة والضعف في تعاملاتها الخلقية أثناء الحروب الصليبية مع محاولة سرقة التاريخ العربي في فلسطين واختلاق دور تاريخي لليهود في التصدي للعدوان الصليبي ، وثالثها تجسيد مشكلات الكيان الصهيوني التي أدت إلى فشله ككيان دخيل في فلسطين ودراسة إمكانيات النجاح للكيان الصهيوني المشابهة .

● ويمثل فيلم « ايفانهو » (١٩١٣) المأخوذ عن رواية لسير « والتر سكوت » بداية الأعمال التي استغلتها الصهيونية في تجسيد شخصية اليهودي الطيب في صراعه ضد الاضطهاد الصليبي ، أما فيلم « عبر القرون » (١٩١٤) ففيه تقدم شركة سيليج بوليسكوب رؤية للشخصية العربية تبدو ضعيفة وخسيسة في تعاملاتها الخلقية أثناء الحروب الصليبية . أما فيلم « فرانسيس الأسيزي » (١٩٦٠) فيمثل واحداً من أشهر الأفلام التي تدور حول الحروب الصليبية وتجنح إلى تصوير المسلمين كغزاة محتلين لأورشليم . وقد قام بإخراج هذا الفيلم أحد أعمدة السينما الأمريكية « مايكل كورتيز » صاحب أكثر من مائة فيلم كان أغلبها يدور حول موضوعات يهودية أو مساندة للقضايا اليهودية .

وما حدث مع موضوعات الحروب الصليبية تكرر عندما عالج اليهود في أفلامهم موضوعات استعادة بلاد الأندلس وجنوب إيطاليا من الحكم العربي ، حيث تم التركيز على الأهداف الصهيونية التي تهدف إلى تقديم الأكاذيب المناهضة للتاريخ العربي والإسلامي وإظهار العرب بمظهر الغزاة القساة للأراضي والكنائس المسيحية ، مع تجاهل تام للدور العربي في ازدهار الثقافة والعلوم في الأندلس ، وفي مناصرة اليهود ضد الاضطهاد الديني لهم في أوروبا .

ورغم أن السينما الأسبانية والإيطالية أخذت على عاتقها موضوعات استعادة بلاد الأندلس وجنوب إيطاليا في عشرات الأفلام المناهضة للشخصية العربية مثل :

« ماشيست ضد الشيخ » (١٩٦١) إخراج « دومينكو بوليبلا » ، « ماشيست ضد مصاصي الدماء » إخراج « جياكومو جيتلومو » (مع ملاحظة أن مصاصو الدماء في هذا الفيلم هم السلاطين والقواد العرب) ، « من أجل الحب ، من أجل السحر » (١٩٦٦) إخراج دوسيوتيسارى .. فإن اليهود ركزوا اهتمامهم على تقديم أهم فيلم عن دور مقاومة الأسبان. للعرب في فيلم « السيد ELCID ، وهو انتاج أمريكي تم تصويره في إيطاليا وأسبانيا تحت إشراف المنتج اليهودي صموئيل برونستون ، وسيناريو اليهودي فيليب يوروان وفردريك فرانك .. وإخراج اليهودي انتوني مان .. أما بطولته فأُسندت إلى الممثل الأمريكي « شارلتون هوستون » في دور الفارس الأسباني رود ريجو المشهور بالسيد ، والممثلة الإيطالية صوفيا لورين في دور الأميرة الأسبانية شيمين ، والممثل الإنجليزي هربرت لوم في دور القائد المراكشي « بن يوسف » وفرانك تريدج في دور الحاكم العربي « القادر » .. والسيد أو الفارس رود ريجو شخصية أسبانية تاريخية حقيقية من القرن العاشر .. وهو مغامر شرس لا يتخلق بأخلاق الفروسية التي أضفتها عليه الأساطير ، والتي أظهرته كنبيل قوى جاد الطباع ، حساس معتر بشرفه ، وهي نفس الصفات التي قدمها السينائي اليهودي حين أظهره بطلاً يفكر في السلام من جهة ، ويكتسب شهرته من قسوته وشراسته في محاربة العرب الذين ظهروا في الفيلم دسائسين مخادعين ، كما هي العادة في كافة الأفلام الصهيونية الهادفة إلى دمع العرب بكل رذيلة .

أما إذا رغبتنا في إلقاء نظرة على الأكاذيب والترهات التي تحاول الصهيونية ترويجها عن الصراع التاريخي بين العرب وإسرائيل ، فلنا في فيلم « السفير » (١٩٨٤) خير مثال عن الأخطبوط الإسرائيلي والصهيوني الذي يحاول أن يلتهم كل محاسن العرب ليبقى أمام العالم صورة بشعة عن إرهابيين عتاة يرفضون السلام مع دولة إسرائيل (المحبة للسلام !) .

قام بانتاج فيلم « السفير »^(١) شركة « كانون » الإسرائيلية فأننتجه وأخرجه

(١) عن فيلم السفير وشركة كانون الإسرائيلية ، انظر مقال الأستاذ رؤوف توفيق : « الأخطبوط الإسرائيلي يكشف عن وجهه في السينما » — مجلة الدوحة القطرية عدد سبتمبر ١٩٨٤ ص ١٣٢ — ١٣٨ .

الإسرائيلي « مناخم جولان » وإن كان ذلك يتم انطلاقاً من الولايات المتحدة الأمريكية وذلك للتغطية والتمويه على الجنسية الأصلية للشركة المنتجة التي تحاول « جر رجل » المتفرج الأمريكي بإنتاج تجارى مضمون يشمل أفلاماً للتسلية والضحك ، وأفلام الجنس والعري ، وأفلام الإثارة والرعب ، وأفلام غنائية موسيقية وإن كان هذا لا يخلو من تسريب متعمد لأفكارهم الصهيونية ووجهة نظرهم فى القضايا العالمية وبالذات قضية وجود إسرائيل ، وحق إسرائيل ، وأمن إسرائيل ، وما إلى ذلك من أهداف إسرائيلية بحتة .

ويتعرض فيلم « السفير » لمسألة السلام بين إسرائيل وفلسطين ، أو بمعنى أدق التعايش السلمى وتبادل الحوار بين الإسرائيليين والفلسطينيين داعماً وجهة النظر الإسرائيلية فى محوها فكرة الأرض الفلسطينية ، وتأكيداً على قدرة جهازها الأخبارى (الموساد) وإظهارها لتأييد جميع أفراد الشباب الإسرائيلى لفكرة الحوار مع الفلسطينيين من أجل السلام ، ودعمها للفكرة الصهيونية التى تتردد عبر كافة الأعمال الصهيونية فى وسائل الأعمال الغربية : .الفلسطينى ارهاى من الدرجة الأولى .

وبكل بجاحة يشطب الفيلم على قضية الشعب الفلسطينى ، لتحول إلى أن كل طرف « زعلان » من الآخر ولا بد أن هناك من يهيم الأمر ليجمع الطرفين معاً ، ويفك هذا « الخضم » ويفتح الأفواه لأن تتكلم وتتجاوز وتتصالح . وبالطبع فإن من يهيم الأمر هو أمريكا بهذا المنطق يبدأ الفيلم فترى السفير الأمريكى فى إسرائيل (يلعب الدور روبرت ميتشوم) يقود سيارة جيب مفتوحة يعبر بها طريقاً صحراوياً متعرجاً ، ويجلس بجواره صديقه الأمريكى ، رئيس جهاز الأمن فى السفارة (يلعب الدور : روك هدسون) وتسير السيارة حتى تصل إلى بقعة بجوار بعض الأبنية المهدمة فى الصحراء (لاحظ ترديد نغمة الأرض الصحراوية) لقد جاء السفير الأمريكى للقاء مجموعة من الشباب تطلق على نفسها الفلسطينيين ، إنه يريد الاتفاق مع مثل الشباب الفلسطينى على لقاء مع الشباب الإسرائيلى « ليتحاوروا » .. و« ليعشوا فى سلام » ! .. إن السفير فى مهمة غير رسمية ، وهو غير مكلف بذلك من حكومته ، ولكن دافعه إلى ذلك شخصى بحت ، أنه البطل الذى يريد أن ينقذ مستقبل الشرق الأوسط !

وسط الصحراء المكشوفة يمتد اللقاء بين السفير يشرح فكرته للفلسطينيين المدججين بالسلاح .. وبينما هم يتكلمون تنقض عليهم طائرة عسكرية فتحصدهم الفلسطينيون في مذبحة بشعة لا ينجو منها سوى السفير الأمريكي الذي تحاصره سيارات الجيش الإسرائيلي وتقتاده إلى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلي الذي يهاجم بدوره فكرة السفير فيخرج السفير من هذا اللقاء مهزوماً ولكنه غير محبط ، فهو قد إزداد تصميماً على فكرته ، وفي خط موازٍ تكشف أحداث الفيلم عن علاقة عاطفية تربط بين زوجة السفير وتاجر فلسطيني له دكان كبير في سوق القدس يبيع التخف والحلى الشرقية .. وتشاء الظروف أن تصاب زوجة السفير في انفجار قبله بجوار دكان عشيقها الفلسطيني في نفس ليلة ذهاب زوجها للبحث عنها بالقدس ليلتقى هناك بمفاجئة كبيرة ، ففي وسط أنقاض الانفجار في السوق ، كانت هناك سينا خالية تماماً من المتفرجين ، ولكن الأبواب مفتوحة والشاشة تعرض فيلماً .. وينوقف السفير مذهولاً أمام الفيلم .. إن الفيلم يصور زوجته عارية على فراش التاجر الفلسطيني .. والفيلم يسجل تفاصيل العلاقة . ويجرى السفير إلى غرفة ماكينة العرض السينمائي :.. فلا يجد أحداً .. لقد اختفى الجميع .

وفي محاولة السفير البحث عن مصور الفيلم ونسخته الأصلية يكتشف عن طريق وزير الدفاع الإسرائيلي بأن المخابرات الإسرائيلية هي التي دبرت كل ما حدث لدواعي الأمن ! .. وفي ندوة مع الشباب الإسرائيلي يحاول السفير إقناع الشباب الإسرائيلي بفكرته حول الحوار بين أهل السلام ، ويقتنع بعض الطلبة بفكرته بينما يترصده أحد الشباب الإسرائيلي بينديته التلصصية محاولاً اغتياله .. وتنطلق الرصاصة لتخطئه ، ولتزيده إصراراً على مواصلة مهمته .

ويذهب السفير إلى التاجر الفلسطيني ليطلب منه تدير اللقاء بين الشباب الفلسطيني والشباب الإسرائيلي فيحدث تقريباً نفس نوع الاحتجاجات بين الشباب الفلسطيني .. المهم .. يحدث اللقاء : يجتمع الشباب الإسرائيلي بقيادة السفير الأمريكي ، حوالى مائتي شاب وفتاة يقدمهم الفيلم في صورة من التفتح والحيوية والإقبال على الحياة .. يجلسون ، ينتظرون بالساعات ولا يأتي الشباب الفلسطيني . ويدعون في التملل والرغبة في الانصراف ، ولكن السفير يطلب منهم

المزيد من الصبر !! ويحل الظلام... ويضئ كل منهم شمعة ! ويهتفون : السلام السلام .. ثم يصل الفريق الفلسطيني ويجلسون أمام الفريق الإسرائيلي ، وما أن يبدأ الحوار .. حتى يزحف من وراء الظلام مجموعات من الفلسطينيين يسكون بالمدافع الرشاشة يصوبونها ناحية الشباب الإسرائيلي ليحصدوهم في مذبحه بالغة البشاعة .

ويتعمد الخرج أن يصور الضحايا الإسرائيليين وهم يسكون الشموع ويتساقطون قتلى وأيديهم في أيدي بعض .. وتستعرض الكاميرا في تمهل شديد ، الوجوه الشابة التي كانت تتغنى منذ لحظات بالسلام .. وهي الآن تنفجر بالدماء والجروح ، ويعلو الأنين والبكاء ، وينقض السفير ضرباً على أحد الفلسطينيين حتى بعد أن يلفظ أنفاسه .. ثم تأتي الطائرات العسكرية الإسرائيلية لتحاصر المكان وتطلق نيرانها على الفلسطينيين ، ومن كل جانب ظهرت المدرعات الإسرائيلية تشارك في إطلاق النيران بكل أنواع الأسلحة المستخدمة في الحروب ، ويقف السفير الأمريكي يطل على المشهد أمامه وقد تحول المكان إلى مقبرة جماعية ، وهو يردد « ربما الجيل القادم يحقق الحوار والسلام » ويعود السفير الأمريكي إلى بيته مهموماً حزيناً ولكنه يفيق على صوت مظاهرة في الطريق تقترب من بيته .. يطل من النافذة ليجد جموعاً من الشباب الإسرائيلي تحمل الشموع وتهتف : السلام السلام . ويتسم السفير الأمريكي وينتهي الفيلم !

والرسالة التي يريد أن يقوها فيلم السفير — الذي أفردنا له مساحة كبيرة نظراً لحبكتها التي تمر منها الدعاية الصهيونية بسلسلة منقطعة النظير — هي أن السلام عند الإسرائيليين مقبول ومطلوب . ولكنه عند الفلسطينيين مسألة مستحيلة ، ذلك لأن الفلسطينيين تعود على القتل والإرهاب وسفك الدماء لأنه همجي بلا حضارة . إن الفلسطينيين مثلهم مثل كل العرب : إرهابيون عتاة .

أما فيلم « خلف الجدران » فهو واحد من الأفلام التي لا تتميز بالقسوة على الشخصية العربية العامة ، ولكن على القيادات العربية . والفيلم حاز على لقب أحسن فيلم أجنبي لعام ١٩٨٤ ، وهو من إنتاج إسرائيلي وقام بتوزيعه في الولايات المتحدة شركة وارنر ، وهو يريد أن يوضح أنه بإمكان العرب واليهود أن يعيشوا

معاً إذا تركتهم أنظمة الحكم في بلادهم وشأنهم ، وفي المشهد الأخير نرى العربى الأسير (عصام) وقد عرض عليه أن يسمح له بالذهاب للعيش مع زوجته وابنته إذا أنهى حالة الإضراب عن الطعام فى السجن ، ويشجعه رفاقه الإسرائيليون على قبول العرض ومغادرة المكان ، لكن العربى يفضل البقاء فى السجن على التخلّى عن قرار اتخذه السجناء العرب بالإجماع .

إن إدانة الشخصية العربية فى هذا الفيلم لا تتم بالصورة القاسية التى اعتادت هوليوود أن تقدمها فى الأفلام السابق عرضها ، لكنها تتم بهدوء وحذر شديد ، ومع هذا يظهر منها أن العربى إنسان عنيد لا تعنيه المصالح بقدر ما تهمة الصورة التى يريدّها رؤساؤه العرب الذين فيهم كل الأوزار السابق الحديث عنها .

وإذا انتقلنا من الحديث عن الأنماط السيئة للشخصية العربية بالسينما الأمريكية ، إلى الحديث عن تلك الأنماط ، وأنماط أخرى غيرها لهذه الشخصية بالتلفزيون الأمريكى ، فإن أول ما نشير اليه هو أن تقديم الشخصية العربية فى التلفزيون الأمريكى على هذه النمطية المغلوطة يفصح عن نزعة لا أخلاقية لا إنسانية ، تحركها دعاية صهيونية حاكمة وهى دعاية يراد بها تحطيم الجانب الحقيقى للشخصية العربية فى الوجدان الأمريكى العام ، لأن المشاهد الأمريكى العادى — مثله فى ذلك مثل كل مشاهد عادى فى كل أنحاء العالم يستقبل البرامج التلفزيونية المستوردة من أمريكا — لا يقوى على التمييز بين الصورة التلفزيونية والصورة الواقعية ، وحول خطورة البرامج التلفزيونية العادية يقول البروفسور « أريك بارنو » إن ما اصطلاح على تسميته بالبرامج الترفيهية التى يفترض أن تكون للتسلية والراحة النفسية ، والتى يفترض أيضاً أن تزودنا بخبرة حيادية سلبية هي فى حقيقة الأمر خبرة معقدة جداً ، فنحن نستوعب ما يقال مع إغفال تام لإحساسنا التحليلى النقدى .. إذن فالتلفزيون هو أداة سياسية قبل أن يكون أداة ترفيهية أو وسيلة للمتعة والتسلية .

إن السياسة فى التلفزيون لا تعنى مجموعة الخطب أو التصاريح ولكنها تعنى الأعمال الدرامية ، فالدراما التلفزيونية هي نوع من الدعاية لأمر ما ، وهى بعد ذلك نوع من السياسة . وكما يقول الدكتور « جورج جيربز » عميد كلية وسائل

الاتصال في جامعة بنسلفانيا : « إن التلفزيون ، يقوم حالياً — أكثر من أى مؤسسة ثقافية أخرى — بتشكيل المعايير والقيم والسلوكية الأمريكية ، وكلما زادت مشاهدتنا للتلفزيون زادت معتقداتنا السائدة بما يقوله التلفزيون عن هذا العالم الخارجى ، على الرغم من أن معظم ما يعرض هو محض افتراء ، أو تضليل إعلامى دعائى » .

وتكمن خطورة التلفزيون كجهاز دعائى ، أن التلفزيون يدخل مباشرة إلى كل بيت في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا ومعظم البيوت المتوسطة المستوى في دول العالم الثالث .. والاحصاءات التى نشرت عام ١٩٨١ أشارت إلى أنه يوجد في أمريكا وحدها ٤٣ مليون بيت يمتلك أجهزة تلفزيونية ، وهكذا فإن أى برنامج تلفزيونى ناجح في أمريكا يشاهده في أثناء العرض الأول أكثر من ٤٠ مليون مشاهد ، ومع إمكانية تكرار العرض قد يرتفع الرقم إلى ١٥٠ مليون مشاهد فإذا ما تم توزيع هذا البرنامج للعرض الخارجى بمختلف دول العالم ، ارتفع عدد المشاهدين لما يربو عن ٤٠٠ مليون مشاهد .. ومعنى هذا أن المشهد الذى تشكله التلفزة ويدخل كضيف لكل بيت يساعد على تعميم الخطأ أو التزوير على ملايين الناس في آن واحد وبنمو ملح اذا ما أعيد عرض هذا البرنامج ، كما هو الحال مع بعض الاعلانات التجارية التى تبثها في أمريكا نحو ٣٥٠ مليون محطة تجارية تعتمد على نظرية العرض والطلب والربح .

ومن بين تلك الإعلانات التجارية^(١) التى تعتمد الدعاية الصهيونية لاستغلالها استغلالاً بشعاً في الإساءة إلى العرب ، حيث تتفنن وكالات الإعلام التجارية الصهيونية في إظهار العرب بصورة الأبله أو الهمجي والغارق في شهواته ، إعلاناً تجارياً عن أحد أنواع الصابون ، ويبدأ الاعلان بصوت المذيع يؤكد أن صابون « كذا » ينظف أى شيء حتى العرب !!

ثم يظهر على شاشة التلفزيون شخص يرتدى الزى العربى المميز ، والأوساخ والقاذورات تملأ وجهه وملابسه ، ثم تتقدم منه فتاة تكاد تكون شبه عارية ،

(١) نقلا عن كتاب : « النفوذ اليهودى في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية » ، مرجع سابق ص ٦٣ .

لتدفع به في بانيو ملء بالماء ، وتبدأ في تدليك بصابون كذا تم تخرجه من البانيو ،
لتقول بخبث يهودى واضح :

« عفواً سيداتى سادتى ، نحن نتحدى أى صابون آخر أن ينظف هذا العربى
أكثر مما نظفه صابون « كذا » ، لقد بذلنا كل ما فى وسعنا لنجعل صابوننا أقوى
فاعلية .

وفى هذه اللحظات يدخل شاب بيده ورقة تفتحها الفتاة وتقرأها بحماس :
« سيداتى سادتى ، جاءنا الآن من مختبرات « كذا » أن صابون « كذا » فى
قمة الفاعلية ، وأن العيب فى عدم نظافة العربى ، ليس بسبب قلة فاعلية
« صابون « كذا » ولكن لأن العربى لا يمكن أن يصبح نظيفاً أبداً .. وبهذا
ينتهى الاعلان الوقح الخبيث .

وفى إعلان تليفزيونى آخر لترويج سائل خاص تقذفه النساء فى وجه من
يريد التحرش بهن فيفقد وعيه .. كان الفيلم الدعائى يصور فتاة تسير باطمئنان ،
ثم يفاجئها رجل يرتدى الزى العربى المميز ويهجم عليها ويبيده خنجر يريد
اغتصابها ، فتقذف الفتاة السائل فى وجهه فيفقد العربى وعيه ، وتبصق الفتاة عليه
ثم تمضى فى حال سبيلها .

ومثلما تتركز خطورة هذه النوعية من الإعلانات التجارية فى تكرارها الأمر
الذى يساعد على رسوخها فى فكر ووجدان المشاهد ، فإن ثمة نوعاً آخر من
الأعمال الفنية يتعرض لنفس التكرار ، ألا وهو الأعمال الغنائية التى يعرضها
التليفزيون من حين إلى آخر ، وخطورة الأغنية بصفة عامة — والأغنية هى
مرآة الشعوب الحقيقية — إنها لحظة قصيرة فى حياة المستمع إليها تصل إليه
ببساطة وسهولة فيرددها ويحفظ كلماتها بكل ما فيها من إيجازات تساعد الانغماس
الموسيقية المصاحبة لها على تأكيدها ، فإذا أضفنا إلى هذا أن الأغنية تنتقل الى
المستمع ، ليس فقط من خلال التليفزيون ، ولكن من خلال الإذاعة ومن خلال
أجهزة التسجيل المنتشرة لدى كافة الفئات العمرية خاصة الشباب منها(*) ،
لادررنا أن واحدة من أهم الطرق التى تلجأ إليها الصهيونية معتمدة فى الإساءة

(*) هذا عدا انتشارها على اسطوانات أجهزة البيك أب والاسطوانات التى تعمل بالليزر .

إلى العربى من خلال طريقتين ، الأولى الأفلام الدعائية المصاحبة للأغنية حيث يتم تصوير العربى فى صورة الشيطان أو الشخص القبيح البشع ، والثانية من خلال الكلمات التى قامت عليها الأغنية ، والطريقة الثانية أشد خطورة من الأولى .

ومن بين الأغنيات التى نختارها كمثال على المجموعة الثانية، أغنية « مثلما يمشى المصريون » **Walk Like Egyptian** لفريق الـ **Bangles** الأمريكى ، وهى أغنية تفيض فى سباب وإهانة المصريين بذكر سيئات مصر وتقديم الجانب الأسود فيها دون التعرض للجانب الأبيض الأمر الذى تجرأ من حيز النقد إلى حيز التهجم والتجريح ، وكلمات الأغنية تقول^(١) :

« هناك على ضفاف النيل يعيش المصريون أنهم يسقطون كقطع الشطرنج عندما يمشون بسرعة

باعة الآثار كالتماسيح يريدون الحصول على نقودك بأى طريقة .

أنهم يقلدون الأجانب ويمضغون السجائر

ويغنون أو إيه ... أو إيه

إذا دخلت باراً، فما أسرع ما يحاول الجرسونات استغلالك أيضاً ..

يفرغون كأسك لملأوه لك بالمزيد والمزيد

الأطفال يتخبطون فى الأسواق والتلاميذ يسرون وهم يتوعون بحقائقهم الثقيلة .

والكل يغنى أو إيه .. أو إيه

الناس فى الشوارع يتعثرون فى الحفر والنقر فيسيرون منحنيين للأمام ..

رجال الشرطة يرقصون ويغنون فى محلات الحلوى : أو إيه .. أو إيه » .

ومع أن الأغنية تعرض لبعض « الحقائق » المعروفة فى الشارع المصرى ،

كالخفر والمطبات فى الشوارع واستغلال السياح ، وتقليد الغرب بكل ما فيه من

مساوىء ومن « مؤذات » وهو تقليد لا طائل من ورائه ، والزحام الشديد فى

كل مكان ، والحقائب الثقيلة على ظهور التلاميذ ، والشرطة التى لا تهتم إلا بما

تخصصت فيه ، فلا يتحرك رجل المرور لإلقاء القبض على لص لأنه « غير مخصص »

إلا أن هذا هو الجانب السئ فى مصر ، فماذا عن الجانب الجيد ؟ .. بالطبع لسنا

فى معرض إظهار الجوانب المشرفة فى حياة المصريين ، لأننا لن نحصيها .. ولكن

(١) قام بنشر ترجمة كلمات الأغنية فى بريد الأهرام عدد ١١ مارس ١٩٨٧ ، المواطن معتز محمود مجدى .

اهتمامنا منصب على إظهار أن هذه الأغنية في حد ذاتها واجدة من أسوأ الدعايات الصهيونية ضد مصر والعرب لما كان لها من سرعة على الانتشار ولما للأغنية بصفة عامة من قدرة على اختراق الحاجز العقلي الذي يمنع دخول الأكاذيب .

وبما أننا بصدد الحديث عن المواد الدعائية التي يتكرر عرضها بالتلفزيون^(١) وتسعى إساءة بالغة إلى العرب فإن الوقت قد حان للإشارة إلى برامج الأطفال الكرتونية التي يهتم كل الصغار في أمريكا بمتابعتها بصفة خاصة وغيرها من البرامج بصفة عامة ، حيث دلت الإحصائيات على أن الشبان الصغار في أمريكا يقضون ١/٤ أوقاتهم أمام جهاز التلفزيون وعند تخرج الشباب الأمريكي من المرحلة الثانوية يكون قد أمضى أمام التلفزيون من عمره ضعف ما أمضاه في فصول الدراسة (١١ ألف ساعة في حجرات الدراسة مقابل ٢٢ ألف ساعة أمام التلفزيون) وتتمثل خطورة تشويه صورة الانسان العربى أمام الأطفال في أن الطفل يستوعب كثيراً من هذه المفاهيم المغلوطة ، ثم تنتقل معه انطباعاته الطفولية التي اكتسبها من خلال وسائل الإعلام ، خاصة التلفزيون ، إلى مرحلة الشباب ، ثم إلى مرحلة النضج والرشد ، ونتيجة لهذه التعبئة الإعلامية المستمرة كشفت إحدى الاستفتاءات مدى الجهل والافتراء المغروس في أعماق الشبيبة الأمريكية ، حيث جاءت تعريفاتهم للعرب أنهم شعب همجي وحشى مولع بالحرب والقتال ، واسع الثراء ، مستعبد للنساء .

إن الطفل الأمريكى يرى — منذ نعومة أظافره — على كراهية العرب أو على الأقل احتقارهم ، فمن خلال برامج الأطفال الكرتونية المتنوعة في التلفزيون يشاهد الطفل أبطاله المحبوبين وهم ينتصرون على هؤلاء العرب الأشرار وينقذون العالم من مكائدهم وشروورهم ؛ فهذا ، « وودى بيكر » يحشر جنياً عربياً داخل قمقمه ، و « بوباي » يستعرض عضلاته المعهودة في تأديب شيخ عربى يرتدى لباس الذئب . وهذا « الرجل المطاطى » يقذف بيضة فاسدة في وجه أحد السلاطين

(١) عن صورة العربى في التلفزيون الأمريكى تم الاستعانة بمقاتلى د . جاك شاهين : (العرب في التلفزيون الأمريكى ، مقال بمجلة « الجليل » — عدد يناير ١٩٨٥ ص ٢٦ — ٣٣) و (الشخصية العربية في التلفزيون الأمريكى ، مقال بمجلة العرب الكويتية — العدد ٣٤٠ مارس ١٩٨٧ — ص ١٨ — ٢٢) .

العرب ، وهذا « بوركى بيج » يلقي بأحد العرب فى برمىل الشراب وهذان « لافيرن » و« شيرلى » يحبطان محاولة أحد الشيوخ العرب لغزو أمريكا وتدمير العالم . وهذان « لوريل » و« وهاردى » ينقذان بطلة المسلسل من جناح الحرىم المحجوزة فيه .. بينما يحجز المصريين « مورك » و« موندى » فى إحدى حجرات الأفاعى داخل الأهرامات . وعندما يحاول ساحر عربى تحويل « سكوى دو » إلى قرد ينقلب سحره عليه فيتحول العربى نفسه إلى قرد .

ولعلنا نلاحظ أن جميع هذه المسلسلات الكرتونية — المعدة أصلاً للأطفال — لا تخلو من تقديم هذه الشخصية العربية بشكل استفزازى ساخر ، وكأن البلاهة والحماقة والخبث صفات عربية أصيلة .

إن بذور هذه الكراهية والاحتقار التى تحرض الدوائر الإعلامية الغربية لدوافع صهيونية بحتة على بثها لدى الأطفال تنمو مع الطفل الأمريكى وتنقل معه الى مرحلة الشباب ليلافى هذا الأمريكى فى برامج الجديدة — من مسلسلات إجتماعية وبوليسية وكوميديية — ما كان يشاهد وهو صغير عن تلك الشخصية العجيبة :

فهذا هو « ستيف أوستن » يجبر بالتهديد على تسليم بعض القنابل النووية إلى أحد الدبلوماسيين العرب الذى يحاول فى مؤامرة سياسية خلع ابن عمه عن العرش، لكن مستر « أوستن » استطاع فى اللحظة الأخيرة إنقاذ البشرية من برائن هذا العربى الخطر .

— وفى إحدى عروض المصارعة نفاجاً بأسماء عربية يطلقها هؤلاء المصارعون على أنفسهم مثل (أكبر) و(الشيخ الحديدى) الذى يبدأ — حالة صعوده إلى الحلقة — بالصراخ والهتاف لروسيا وشم أمريكا ثم ينهى تصريحه السياسى بالبصاق على الأرض ، وعلى الجماهير أيضاً ، ومصارع آخر يبدأ العرض بالتهام دجاجة حية أمام الجمهور . أنها صور مؤذية حقاً لخلق الانطباع لدى الجمهور بأن من يمارس هذا العمل الهجىمى هم العرب فقط ، ثم يأتى صوت المعلق من بعيد قائلاً إن هؤلاء يمارسون المصارعة حباً فى القسوة والتعذيب .

— فى مسلسل « فيغاس » رأى المشاهدون شيخاً عربياً شريعاً يملك منزلاً

يقوم على حراسته عدد من الحرس الفاسدين الذين تساوا جهلاً وقبحاً وسمعوا توفى كورتيس (أحد الزبائن) المداومين في فيغاس يهدد بمحاربة الشيخ ، ويقول لصديقه : « إن الحرب الأخيرة دامت سبعة أيام ، لكن هذه الحرب لن تدوم غير ساعات قليلة » إنها التهيئة التي يتغيا الإعلام الصهيوني للحرب ضد العرب . وفي حلقة أخرى من المسلسل يصور العربى بأنه وحش جنسى مولع بشقراوات أمريكا .

— إن الصراع بين الشيوخ هو الموضوع الرئيسى فى مسلسل « من المجرم ؟ » حول ارتفاع سعر النفط ، وهو يعرض مجموعة من العرب العاملين فى التآمر وعدداً من قُساء القلوب العاملين فى ميدان تطوير النفط . أما الشخصية الصالحة فهى ضابط الشرطة الملازم هورتيز الذى يتأثر بالقوى المسيطرة .. وإذا ما سحب الخصى « عبدالله » سيفه قال له هورتيز : « قل له أن يضع هذا العود جانباً ، نحن هنا فى « بيفرلى هيلز » لا فى الصحراء » . ثم إن المسلسل لا ينسى أن يبالغ بالثروة والشهوات الجنسية العربية ، فنجد أن الشيخ كليم يشتري خمس طائرات ، أربع منها لزوجاته والرابعة ، والخامسة لشقيقه الذى يسقط الشيخ صريعاً على يديه بعد ذلك .

— وفى إحدى حلقات « ملفات روكفورد » يبرز المسلسل أسرة عربية متحجرة القلب ، عديمة الرحمة والشفقة . وحين يعلم « روكفورد » بوجود علاقة عاطفية بين صديقه « سيسن » وفتاة عربية متزوجة يحذره قائلاً بأنه لا يريد رؤيته معلقاً رأساً على عقب ، (والعرب يتسلون بنكش أسنانه) ، وحين يكتشف الأب العربى هذه العلاقة يعقد مجلس العائلة محاكمة صورية عاجلة ويحكم بالموت على هذه الفتاة العربية ، ويشاهد أحد أفراد الأسرة ونسخة من القرآن الكريم أمامه وهو يصرخ قائلاً : يجب أن يكون التنفيذ فى بلادنا وليس هنا ، وتدفع الفتاة قهراً إلى طائرهم الخاصة ، لكن « روكفورد » .. وبجيلة ما يدبر إجراء تفجير متعمد تستطيع الفتاة على أثره الهروب مع « روكفورد » ويموت عند ذلك الأب بنوبة قلبية . ولا عزاء له من المشاهدين .

— وفى مسلسل « الفتيات الأمريكيات » نجد مجموعة من كبار أصحاب الأعمال

الدوليين الأثرياء يشترون الصبايا في مزاد علني لنقلهن إلى بلاد أخرى لا يعلمها غير الله ، وليس بين هؤلاء الأثرياء العاملين في هذا الميدان غير ثرى واحد فقط تظهر هويته بوضوح وهو عربى على نفس طراز العربى الذى ظهر في مسلسل «فيجاس» حيث كان يغوى الفتيات الأمريكيات ثم يخدّرن ليم تسفيرهن إلى الجزيرة العربية !

— وتتكرر هذه القصة المزعومة في مسلسل آخر ، حيث يتصدى «فاكلاود» لمجموعة من المهووسين العرب الذين يختطفون إحدى ملكات الجمال ، في أثناء احتفالات المسابقة . لكن «فاكلاود» يحررها ومن معها من جناح الحريم التابع لذلك العربى البدين الذى يفضلهن شقراوات صغيرات . وتتكرر نفس الفكرة في إحدى حلقات «المرأة الشرطية» حيث يتم خطف الحسانات الصغيرات للاحتفاظ بهن جوارى أسيرات في أجنحة الحريم ، وإذا لم تدعن الفتاة لسيدتها العربى حدث لها أحد أمرين : الموت قتلاً ، أو أن توصم بالعار مدى الحياة بوسمها بالحديد الحمى .

إن مثل هذه المسلسلات تهدف إلى ترسيخ خرافة العربى «تاجر الرقيق» وإلى تأكيد أن جميع النساء العربيات متخلفات ، يعيشن في أجنحة الحريم ويرتدين الحجاب ويرجمن بالحجارة لأتفه الأسباب .

— وفي إحدى حلقات «تشيس» نشاهد سائقاً عربياً أرعن يحاول رشوة الضابط الذى حرر له مخالفة مرورية ، وحين يرفض الضابط بإصرار نرى الشاب العربى يعلق مستغرباً «إن ذلك شئ عادى في بلادى» . ثم لا ننسى كيف أن «بونش» استطاع تأديب هذا الفتى وأعطاه درساً في آداب المرور ، واحترام القوانين ، وبأن الصداقة شئ لا يشتري بالمال .

— وفي مسلسل «مساء في بيزنطة» ، نجد العرب إرهابيين قساة ، ورغم أن القصة الأصلية التى أخذ منها المسلسل — للكاتب أروين شو — لا تأتى تماماً على ذكر العرب ، إلا أن المسلسل المأخوذ عنها يعتمد في بنيته الدرامية على مجموعة إرهابية باسم (PLF) ولما كانت هذه المجموعة من العرب فإن من الواضح أن الغاية من التسمية هى الإشارة إلى الجمع بين منظمة التحرير الفلسطينية (PLO) وجبهة

التحرير الشعبية (PFLP) . وفيما نجد أن قصة «ايروين شو» تتناول الحب ، نجد النص المتلفز يتمحور حول نص عنوانه «نهاية العالم» إن أغنياء العرب وزعيم الـ (PLF) يعملون لشراء النص . هنا نجد ثلاثة أشخاص على سيماهم ملاح الخنازير يمثلون ثلاثة شيوخ ، بحيث يصح القول بأن الصورة العربية لم يصبح لها مثل إن كانت أسوأ من ذلك .

يعرض العرب شراء النص من المؤلف (الذى يمثل جلين فورد) بما يزيد عن ثمانية ملايين دولار عن الثمن المطلوب. ، يتردد «جلين فورد» ثم يقترح الشيخ الأول «كأل» إدخال تعديل على نهاية النص فيقول لجلين فورد ليكن الحافز الذى يسبب المحرقة النهائية غامضاً مبهماً ، ليكن المثير أحد أبرز خزانات البارود الكبرى الموجودة في عالم اليوم ، أى الصراع العربى الإسرائيلى» ، عند ذاك يثور جلين فورد ويقول : «هل تعنى بذلك أن الإسرائيليين هم الذين يسببون نهاية العالم ١٩» لينفى بذلك مثل هذه التهمة عن إسرائيل . واعتقاداً منه بأن العرب أشرار غلاظ القلوب يراقبون الأفلام ويحذفون منها ما يريدون ، يذهب غلين فورد وهو يقول «أريد أن أستششق الهواء» !

وفي وقت لاحق يعود وكيله ويخنه على بيع النص للعرب ، لكنه يرفض قائلاً : «إن الشيء الوحيد الذى يرضيهم هو السيطرة الكاملة على الصورة» غير أن الوكيل يرد عليه «لا تقلق لذلك ، ما هم سوى شيوخ من أغنياء النفط ولذلك يريدون أن يلعبوا مع نجمة سينائية ، إننى أعرف محامياً فى «كان يضع اتفاقية تكون صغيرة الحرف حتى أن تجار الجمال هؤلاء لن يستطيعوا أن يقرعوها» .

ثم ينتهى مسلسل «مساء فى بيزنطة» بأن تقوم المجموعة الإرهابية (PLF) بقتل عشرات الأبرياء فى دار للسينا فى «كان» ، كذلك يجرى على أيدي رجالها نفس عدد من الطائرات المتوجهة إلى أمريكا ، إن هذه المجموعة مصممة على قتل المزيد من الأمريكيين ، كما أنها تنهيا لالقاء قنابل ذرية على «لوس انجيلوس» و «نيويورك» و «واشنطن العاصمة» ، لكن جلين فورد يتمكن ، لحسن الحظ ، أن يوقفها فى الوقت المناسب .

إن «مساء فى بيزنطة» واحد من أكثر المسلسلات التى تصور العرب

كمبتزين وإرهابيين وشيوخ أغناهم النفط ، كما أنهم أحد الأطراف التي ستسبب في نهاية العالم !

— إن موضوع المحرقة الذرية هذا في حرب العرب على أمريكا والعالم ، يظهر في مسلسلات أخرى أيضاً ، فالعرب يهددون بإبادة ٢٠٠,٠٠٠ أمريكي في إحدى حلقات مسلسل «الرجل ذو الستة ملايين دولار» كما أن دبلوماسياً عربياً يعرض العالم للدمار بتحطيم كمبيوتر واق من الذرة في إحدى حلقات مسلسل «المرأة الخارقة» .

— وفي المسلسلات الكوميدية المثيرة يكون العرب عادة موضوع السخرية والهمز واللمز ، فالسخرية من كل شيء عربى حملها بوضوح مسلسل هزلى شعبى عنوانه «يوم واحد دفعة واحدة» حيث لم يسبق أن شاهد أحد مثل هذه السخرية الفريدة في أى مسلسل آخر غير هذا المسلسل الذى يحتج فيه مجموعة من الشباب الأمريكيين على وصول عربى إلى المطار .. إن المنتج لهذا المسلسل واحد من أكثر المسؤولين عن إهانة العرب في مسلسل عنوانه «كل شيء يلعب» وقد عرض فيه امرأة عربية شريرة هى أكثر النساء قبحاً ومجوناً وتهريجاً . كما أنه المنتج لمسلسل آخر صور فيه العرب يعملون بالتعاون مع المافيا من مكتب في سيارة ، كما أنتج بالإضافة إلى ذلك مسلسل «مستر دوغان» الذى رفضت محطة (سى . بى . اس) أن تبثه .

— ومن المسلسلات التى يبدو فيها الإنسان العربى غريب الأطوار مسلسل «الفريق الأول» ، ومسلسل «داينستى» و «مات هوستون» و «السيارة العجيبة» وهناك مسلسلات أخرى ظهر فيها حوار عدائى ضد العرب ، أعنفها مسلسل «القرصان» ومسلسل «توافه» و «إليس» ، «كن أيقاً» و «طرزان» حيث كان العرب في حلقاته يقتلون النساء الملونات والرجال الملونين ، ويبيعون صغار الملونين رقيقاً ، ومسلسل «ملائكة تشارلى» الذى تظهر إحدى النجوم في المسلسل تقوم برفض هز البطن تقليداً لنساء عربيات .

إن النماذج التليفزيونية كثيرة ، ويصعب على أى دارس لها أن يحصرها ، ولكن ملاك القول أن التليفزيون الأمريكى ممثلاً في عدة شبكات تليفزيونية رئيسية

تهتم بإنتاج الأعمال الدرامية وتمتنع عن تقديم الصورة الإيجابية للعرب ، وتعتمد بدلاً من ذلك ، إلى ترسيخ الأسطورة القائلة بأن لا وجود لعرب مبدعين أو إنسانيين ، وإلى استمرار مثل هذه الأكذوبة .

إن مثل هذه الأكذوبة تعزف على منمناتها وسائل إعلامية صهيونية أخرى ، فإذا تركنا السينما والتلفزيون وانتقلنا إلى الصحافة ، لوجدنا أن أغلب الصحف المملوكة لليهود — وهى كثيرة — وكبرى — وممتشرة فى كافة أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، تشن هجوماً علنياً ضد العرب ، لكن أكثر الهجومات حدة ما حدث من صحيفة الصن Sun اللندنية اليومية واسعة الانتشار فى شهر مايو ١٩٨٦ حيث نشرت « كاريكاتورا » يصور مجموعة من الخنازير وهى تتظاهر بغضب أمام مطابع واينغ (التي تصدر عنها الصحيفة اللندنية) بينما يقول الشرطى الذى يحرس البناية : « المشكلة هى أن الخنازير تحتج على تسميتها عرباً !! »

وقبل فترة من صدور « الصن » وبها هذا الكاريكاتور المهين للعرب — أيها إهانة — كانت قد صدرت وهى تحمل عنواناً رئيسياً فى صفحتها الأولى يقول :

« خنزير عربى يتسلل عائداً إلى بريطانيا ، اركلوه إلى الخارج » والمقصود مواطن لیبى عاد إلى بريطانياً اتهمته الصحيفة بالانتماء إلى مجموعة الليبيين الذين رحلتهم السلطات البريطانية من أراضيها أثر حادث مصرع الشرطة البريطانية إيفون فليتشر أمام السفارة الليبية فى ابريل ١٩٨٤ .

وحتى حينما استاء أحد المواطنين البريطانيين من هذا العنوان « العنصرى » الذى يشتم العرب دونما تمييز وقدم شكوى إلى مجلس الصحافة البريطانى الذى يشرف على التزام الصحف بالقواعد والأخلاق المهنية — أصدر المجلس — بعد بحث وتداول فى موضوع الشكوى — حكمة بأن عنوان « الصن » لم يكن عنصرياً !! وقد جاء فى تبرير هذا القرار العنصرى : « صحيح أن العنوان كان مسيئاً ومُهيناً ، وذلك ما قصد به فعلاً ، وصحيح أن الصحيفة اتخذت فى هذا العنوان موقفاً بعيداً عن الموضوعية المطلوبة فى كتابة العناوين ، « إلا أن عبارة « خنزير عربى » مع أنها

شديدة ، ليست عنصرية في اعتبار المجلس وبالتالي لن يصدر حكم زجر بحق الصحيفة»^(١) .

وهكذا فإن مجلس الصحافة البريطانية مع اعترافه بالإساءة والإهانة المقصودة للعرب ، إلا أنه يرى أن هذا لا يحتوى على أى عنصرية لان إهانة العرب أمر عادى . وهو ما حدا بالصحيفة بعد هذه — التبرئة — إلى العودة إلى نشر هذا الكاريكاتور عن «الخنازير التى ترفض أن تكون عرباً» !

لقد أصبحت الإهانات الموجهة إلى العرب والتى تدمغهم بأحط وأقذر الأوصاف أمراً عادياً لا يستحق حتى توجيه الأجر إلى أى صحيفة ، فصورة العربى فى الصحافة الصهيونية صورة مشوهة عن إرهابيين يظهرون فى صورة :

« رجل يعتمر فى الكوفية والعقال ..

يضع على عينيه نظارتين سوداوين ..

يحمل فى يده خنجرأ مماعاً ..

يكشر عن أسنانه استعداداً لالتهام أيأ كان » .

وعن أثرياء مبذرين لا يبحثون إلا عن النساء وعن شراء الولايات المتحدة الأمريكية ! إن فكرة شراء الولايات المتحدة كثيراً ما تعتمد الصحافة الغربية إلى تأكيدها لإثارة حفيظة المواطن الأمريكى الذى سيشعر وكأن بلاده تتعرض للاحتلال التدريجى من العرب ، ومع أن غالبية المستثمرين بالولايات المتحدة والذين يهتمون بشراء العقارات هم هولانديون وبريطانيون وكنديون وألمان ، أما العرب فدورهم فى هذا الإطار صغير جداً ويكاد يكون لا أثر له ، إلا أن التركيز على العربى بالذات فيه توجيه مقصود لإظهاره بمظهر «الغنى» الذى شاءت إرادة الأقدار أن تهبط عليه ثروته البترول من السماء ، وذلك بأن تفجرت فى أراضيهِ ينابيع البترول فسال الذهب أنهاراً من تحت يديه ، فأخذ يبدده كما تشاء له أهواؤه وشهواته وغرائزه الفجة ، بل وكما يشاء له طمعه ورغبته فى الاستيلاء على ما لدى من هم أفضل منه من ناحية التقدم التكنولوجى والعلم الحديث . ومن هذا

(١) فارس المنصوري : « عنصرية جديدة ، تحليل فى الدوافع والأهداف » مقالة بمجلة العربى الكويتية العدد

المنطلق ، راحت وسائل الإعلام الغربية تركز على شهوة العربى فى شراء القصور والعمارات والمؤسسات ، بل صورته بأنه يحاول شراء « واشنطن » نفسها ، وفى هذا الصدد نشرت مجلة « مشتري البيوت » الأمريكية التى تصدر فى واشنطن إعلاناً بعددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/٢/٩ ، ورافق هذا الإعلان بصورة عن « العربى البشع » ، والإعلان يقول : « هل واشنطن للبيع ؟ أسألوا أوليفر كاون ، فهو يعرف » .

وأوليفر كاون هذا ، هو وكيل لمكتب بيع عقارات مشهور فى واشنطن اسمه « ميريل لينج ريباليتى » والإعلان يتضمن دعاية لكفاءة الشركة وقدرتها والتى لم تجد — لتعلن عن ذلك — خيراً من صورة العربى الملتحى والذى تبدو عليه معالم الغراء والدهاء ، وزجاج نظارته يعكس صورة الدولارات التى لا يرى إلا بها ومن خلالها^(١) .



صورة اعلان نشرته مجلة مشتري البيوت الامريكية لتحاول أن تقنع الرأى العام الأمريكى بأن العربى (لاحظ علامة الدولار على النظارة) سيشتري أمريكا .

ولا تتوقف « بشاعة العربى » على رؤيته إلى الدنيا من خلال « أموال البترول » ولكن تركز الدعاية الصهيونية على خرافة المستغل لأسعار البترول والمتحكم فى أسعار البنزين داخل الولايات المتحدة وهى الخرافة التى تربطها الصحافة الصهيونية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التى يعانى منها رجل الشارع

(١) من مقال « امتداد النفوذ اللوى الصهيونى : حملة تشجيع كاريكاتورية ضد العرب » — مجلة التضامن العدد ١٠٦ بتاريخ ١٩٨٥/٤/٢٠ ، مصطفى الدباغ : الحرب النفسية الإسرائيلية — مرجع سابق ص ١١٠ .

ولا تتوقف « بشاعة العرب » على رؤيته إلى الدنيا من خلال « أموال البترول » ، ولكن تركز الدعاية الصهيونية على خرافة « المستغل لأسعار البترول » والمتحكم في أسعار البنزين داخل الولايات المتحدة « وهي الخرافة التي تربطها الصحافة الصهيونية بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها رجل الشارع في الولايات المتحدة (كالبطالة وارتفاع الأسعار والتضخم) بحيث يتم تحميل العرب المسؤولية عن تلك المشكلات ، حتى أنك لو سألت رجل الشارع الأمريكي عن سبب مشكلة ارتفاع أسعار الوقود في وطنه لوجدت الإجابة وبسرعة : إن العرب مسئولون عن ذلك الارتفاع في الأسعار .

وهكذا تعتمد الصحافة الصهيونية إلى عرض صورة أو صور مجموعة من وزراء النفط العرب في أحد اجتماعات الأوبك جنباً إلى جنب مع أخبار زيادة أسعار الوقود داخل الدول الغربية ، وليس المقصود من هذه الدعاية إظهار العداء لدول الأوبك ، بل العداء للعرب ، بدليل تعتمد عرض صور وزراء البترول العرب فقط دون أى وزراء آخرين من وزراء الأوبك . وتجدر الإشارة إلى أن منظمة الأوبك وهي المتحكمة في أسعار البترول على المستوى العالمي ليست مسئولة فعلاً عن ارتفاع أسعار الوقود في الدول الغربية ، بدليل أن الأسعار التي يدفعها المستهلك الأمريكي أو الأوربي لشراء وقوده لم تنخفض انخفاضاً حقيقياً حتى بعد انخفاض أسعار البترول العالمية إلى ما يقارب النصف ، فالذى يسرق دولارات المستهلك الغربى هي الشركات البترولية الكبرى المسئولة عن استيراد البترول من دول الأوبك وبيعه بعد ذلك في السوق الداخلية لبلادها وليس دول الأوبك .

وثمة أوتار أخرى كثيرة تلعب عليها الصحافة المؤيدة لإسرائيل في الغرب ، منها على سبيل المثال إظهار غدر العرب بالترويج للقصص الرمزية التي نختار منها هذه القصة الرمزية التي نشرتها صحيفة الصنداي تايمز في أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ ، ومفاد القصة أن عقرباً أرادت عبور أحد الأنهار فطلبت إلى ضفدع على ضفة النهر أن تحملها إلى الضفة الأخرى ، غير أن العقرب عندما رأت تردد الضفدع أكدت لها بأنها لن تستجيب لإغراء اللسع لأن ذلك لا بد وأن يؤدي

إلى هلاكهما معاً ، وهكذا امتطت العقرب ظهر الضفدع التى أخذت تسبح بها إلى الضفة الأخرى من النهر ، ولكن ما أن اقتربت الضفدع من الضفة حتى شعرت بلسعة العقرب ، وسرعان ما بدأت الضفدع والعقرب يشعلان بالغرق ، فشرعت الضفدع بالنقيق وهى تتسأل : « لماذا فعلت ذلك ؟ لماذا ؟! » أجابت العقرب وهى تصيى والصيى هو صوت العقرب : « لماذا تعجبين يا صديقتى ؟ أليس كلانا عرباً ؟! »

إن القصة الرمزية تشير إلى بشاعة الغدر العربى الذى لا يقدر — حتى للأصدقاء لا مصلحتهم فقط ، ولا مصلحة الطرفين معاً — ولكن يأبى إلا أن يدمر الأصدقاء مع الذات أيضاً انطلاقاً من دونه شوقيه لم تعرف لها الأجناس البشرية مثيلاً !

على أن استغلال الأحداث الجارية هى أكبر وأهم الوسائل والأساليب التى تعتمد عليها الصحافة الغربية لإظهار « الإرهاب العربى » . وتكمن خطورة هذه الوسيلة فى أنها أكثر شبيهاً « بالنهر الجارى » إذ تندفق أخبار كثيرة يمكن من خلالها إدانة العرب بالإرهاب بصورة ثابتة . قد يكون الحادث عارضاً أو عادياً ، لكن التضخيم الإعلامى ، والتركيز الإعلامى يخلق منه خنجراً يوجه إلى صورة العربى التى تترسخ يوماً بعد يوم لتصبح حجر أساس فى تعامل الإنسان الغربى مع العالم العربى .

ولا تعنى كلمة الأحداث الجارية ، الأحداث التى تقع داخل الوطن العربى ، وإنما الأحداث التى تقع فى أى مكان من العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد حدث عندما تم عرض المسلسل التليفزيونى الأمريكى المعنون « الجذور » **The Roots** لمؤلفه « إيكس هيل » وكان ذلك عام ١٩٧٨ الذى يسرد حياة الأمريكان السود ، أن بادر اللوى الصهيونى بالإيعاز إلى عناصره باستغلال هذا المسلسل بطريقة « ضد العرب » ، وفى اليوم التالى ظهرت جريدة **The Manchester Union leader** فى مقالة بعنوان بارز : « العرب مستمرون على تجارة العبيد كنتيجة لزيادة عائدات النفط » وكتب هذا المقال رى ساول ، وقد حقق هذا العنوان وبالتالى المقالة بشكل عام شيئين أساسيين : أولهما إقران

العرب بالتخلف والهمجية وممارسة العبودية والتسلط ضد مواطنهم مع التأكيد على ما سبق وأن اتهمت به السينما الصهيونية للعرب من أنهم تجار الرقيق ، وثانيهما : تذكير المستهلك المواطن في أمريكا في أن السبب في ارتفاع أسعار وقود سيارته هم هؤلاء «العرب تجار العبيد» ، ومالكي النفط !! وقد كان لاستغلال حدث عرض مسلسل الجذور ، مردودات إعلامية كبيرة وخاصة أن الرأي العام الأمريكي كان مهياً للدخول في مناقشة موضوع «العبيد والعبودية» من خلال عرض هذا المسلسل في عموم الولايات الأمريكية .

ومن بين الأحداث الجارية التي تستغل كل عام داخل الولايات المتحدة الأمريكية حدث «عيد رأس السنة الميلادية حيث يتم عرض برنامج «الولد الطبال الصغير» The Little Drummer Boy ، حيث يُقتل الشاب اليهودي بواسطة عربى ، وذلك لإظهار اليهود بأنهم ضحايا أبرياء للهمجية العربية والقتلة العرب . ومع أن كل دول العالم تشهد جرائم القتل بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي وقع بها أكثر من ٢٣ ألف جريمة في سنة واحدة هي سنة ١٩٩٠* ، الأمر الذى يجعل من أمريكا - أمة من القتل - إلا أن جريمة القتل تلك - التي ترد في سياق البرنامج - تستمر في استدرار العطف عاماً بعد عام !

ولا يتوقف استغلال الأحداث الجارية على مجرد عرضها ، ولكن «التعريض» بها هو أهم الصفات التي تحتاج المعالجة الصحفية للأبناء الواردة من الوطن العربى أو التي تهتم بأخباره ، ويتم التعريض بالأخبار بعدة طرق نذكر منها : التلاعب الذكى والخفى في استخدام المفردات اللغوية ، فعلى سبيل المثال^(١) لا الحصر عندما حضر السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إجتماع الأمم المتحدة المشهور في عام ١٩٧٤ ، ظهرت في اليوم الثانى عناوين مختلفة تنصدر الصفحات الأمامية للجرائد اليومية ، وكان أشهرها تأثيراً وأذكاها تكتيكاً صحيفة «دالاس» في ولاية تكساس ، التي خرجت بعنوان قصير - يحمل روح

(*) الأهرام عدد ١٩٩١/٣/٢٣ وذلك بمعدل جريمة كل ٢٢ دقيقة !

(١) د . جابر عودة العبيدى: العرب في وسائل الإعلام الأمريكية ، مقال بمجلة آفاق عربية العراقية ، العدد ٧ السنة ٩ - مارس ١٩٨٤ . ص ٩٧ .

الدرس والعداء — ولكن بشكل خفى وغير مباشر — عندما وضعت في المقدمة الـ **Headling** (١) جملة « ومنظمة التحرير الفلسطينية دعيت لقصف المناقشات PLO invited to Raid Debates وما لبثت وسائل الإعلام المرئية والسمعية أن قامت في التركيز على محتوى هذه الجملة ، متهمين زعيم منظمة التحرير الفلسطينية في كونه شخصاً (مخرباً) و (دموياً) وقد حضر إلى نيويورك لتخريب الأمم المتحدة وقلب جلساتها النظامية إلى فوضى واضطراب !

وثمة طريقة أخرى « للتعريض » بالأخبار الواردة عن العرب ، ويتم في هذه الطريقة « قولبة » المصطلحات والأسماء والمفاهيم الواردة بالخبر حتى لا تعكس حقيقة الصراع العربى — الإسرائيلى ، وذلك بتشويه هذه المفاهيم بحيث لاتضيف إلى المعلوم الذى يمتلكه الرأى العام إلا ضبابية واختلاط الزيف بالحقيقة ، ويشيع استخدام هذه المصطلحات المقلوبة ، بين القراء — والمشاهدين — فى أمريكا نتيجة لاستعمالها يومياً من قبل القنوات الإعلامية ، وفيما يلي بعض تلك النماذج :

— حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ يطلقون عليها (حرب الأيام الستة) ، لتذكير المواطن الأمريكى بالانتصار الجبار الذى حققته إسرائيل الصغيرة على جيوش الدول العربية فى مدى زمنى قياسى (ستة أيام) .

— حرب أكتوبر ١٩٧٣ يطلقون عليها (حرب يوم خابور) وذلك للتغطية على الانتصار العربى الواضح للجيش الإسرائيلى ولتبرير هذا الانتصار بأنه تم فى يوم كانت كل إسرائيل فى حالة استرخاء نتيجة الاحتفال بيوم « خابور » أى « الغفران » .

— الأراضى العربية المحتلة يسمونها (الأراضى المأسورة) وذلك للتخفيف من فكرة الاحتلال الإسرائيلى لهذه الأراضى العربية .

— الخليج العربى يسمونه بـ « الخليج الفارسى » وذلك لإعلاء شأن إيران فى مقابل الخط من شأن الدول العربية المطلة على نفس الخليج .

(١) غالباً ما يوصف العرب فى هذه المقدمة (العنوان الرئيسى) بالإرهابيين .

— الأقطار العربية يسمونها الأمم العربية وذلك لدحض فكرة القومية العربية التي تجمع الاقطار العربية جميعاً في أمة واحدة ذات تاريخ ولغة وروابط ثقافية واحدة وتخضع لمصير مشترك .

— الفدائي العربي الفلسطيني يسمونه (المخرب الفلسطيني) وذلك للتغطية على نضاله المشروع من أجل استرداد أرضه ووطنه السليب .

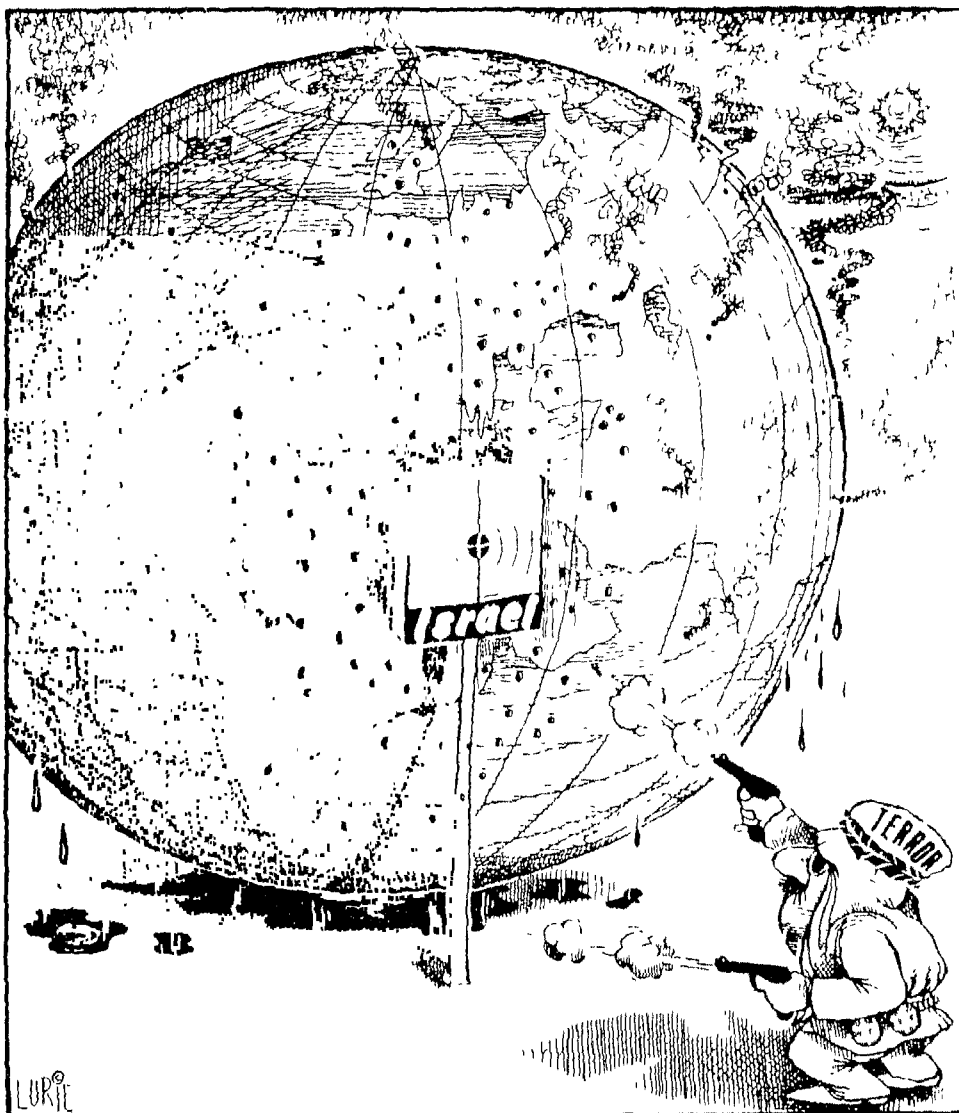
وتترافق هذه التعمية الإخبارية مع نوع آخر من التعمية ينتشر في المقابلات الصحفية ، والتليفزيونية أيضاً ، إذ يعطى وقت أطول — أو مساحة أكبر — إلى الممثل الصهيوني أو من يتحدث مع الكيان الصهيوني لشرح فيها فكرته ويدعم حجته المساندة لوجهة النظر الإسرائيلية ، وعلى العكس تماماً ما يحدث مع العربي ، وهذه السلوكية تمارس يومياً وبخاصة وأن المركز الإعلامي الفلسطيني يحاول أن يستغل كل الفرص للظهور والتحدث عبر القنوات الإعلامية الأمريكية إلا أن الفشل يكون حليفه دائماً ، أضف إلى ذلك ، أن المذيع الذي يجري مقابلة العربي — إلا ما ندر — عادة يكون من الصحفيين والتليفزيونيين غير المعروفين ، بينما نلاحظ إعلاميين معروفين مثل « والتر كرونكايت » أو « دان راذر » أو « برابرا والتر » أو « بير سيلنجر » أو « بيل سيمونز » يقوم بإجراء التحقيقات التليفزيونية والمقابلات الصحفية مع الشخصيات اليهودية والصهيونية .

وهكذا نجد أن الصحافة الأمريكية تعتمد في تغطيتها للمواضيع والأخبار التي تخص العرب إلى الخط من قدر العرب في وقت لا تعتمد نفس التكتيك حينما تتعامل مع الجانب الصهيوني فيكون من نتيجة ذلك أن سيل الأحداث الجارية يتم مزجه بسيل آخر من الزيف عند العرب الذين يوضعون دائماً خلف مدفع الإرهاب لإبراز أنهم هم الإرهابيون الذين يهددون بإرهابهم لا إسرائيل فقط ، ولا أمريكا معها . ولكن المعسكر الغربي بأكمله ، وحيث يقف العرب على نفس الجانب الذي كان يقف فيه السوفيت « الأشرار » قبل الإنهاء الرسمي للحرب الباردة بين المعسكرين الشرق والغرب ، أما من هو في مواجهة مدفع الإرهاب ، فهو دائماً وأبداً الاسرائيلي « الغلبان » و « المغلوب على أمره » ! وليس مهماً أن كان

العربى على حق والإسرائيلى على باطل ، فازدواجية العدالة الأمريكية أمر واقع ، وقد حدث سنة ١٩٨٥ أن قام بعض الفلسطينيين باختطاف السفينة (اكيلي لورا) فاهتزت مشاعر الصحافة الغربية وأشارت بحدة إلى الإرهاب العربى ، فلما اختطفت الولايات المتحدة خلال نفس الفترة الطائرة المصرية المتجهة إلى تونس فى قرصنة جوية لم يستبق لها مثيل إلا من جانب إسرائيل ، فإن الصحافة الغربية استدارت ١٨٠ درجة لتشيد بهذه القرصنة الجوية وترى فيها نوعاً من البطولة وراحت تشيد بقرار اختطاف الطائرة الحكيم^(١) والصادر عن قيادة ذكية ومخابرات أذكى استطاعت تحديد الطائرة المصرية من بين عشرات الطائرات التى تمر بالممر الجوى فوق البحر الأبيض المتوسط ، مع أن القضية لا تحتاج مثل هذا الذكاء البلى يشاد به ، إذ أجبرت الولايات المتحدة دولة تونس على عدم استقبال الطائرة المصرية ، الأمر الذى اضطر الطائرة المصرية إلى الاستدارة للعودة ، وهكذا تم تحديد موقع الطائرة المصرية بعد متابعة رادارية مألوفة فى مثل هذه الحالات ، أنها الطائرة التى استدارت تحديداً من بين عشرات الطائرات التى تسير فى طريقها الاعتيادى .

وتتضح خطورة وسيلة استغلال الأحداث الجارية حين تعتمد الصحافة الصهيونية إلى استغلال بعض التهديدات العربية والوعيد العلنى — الأجوف — بتدمير إسرائيل ومن عليها ، حيث تزايد وتهول وتضخم من التصريح العربى وتعود لتعزف على نغمة «إسرائيل» الجزيرة الصغيرة المحاطة ببحيرة من العرب الذين يحاولون ابتلاعها ورميها فى البحر ، ومع هذا العزف تنهر دموع التماسيح الصحفية لتستدر العطف على الشعب اليهودى الذى عانى من اضطهاد النازى فى

(١) تجدر الإشارة إلى الناطق باسم البيت الأبيض «لارى سبيكس» قد أحال المراسلين الصحفيين الذين أرادوا الاستفسار منه عن خطف أمريكا للطائرة المصرية إلى قراءة عناوين الصحف الأمريكية مثل «النيويورك بوست» حيث صدرت الصحيفة أثر الحادث بالعنوان التالى : «شكراً لله فقد كسبنا [والمقصود الأمريكيين أو نحن اليهود] جولة» بينما كان عنوان «نيوز داى» : «إخطفهم .. وكان عنوان صحيفة ثالثة : أنها الإرهابيون ، باستطاعتكم الحرب ، ولكن ليس باستطاعتكم النجاة .. إلى آخر مثل هذه العناوين التى تمجد العمل البطولى الأمريكى . والغريب أنه لم يبق من خطف السفينة الإيطالية سوى صورة اليهودى المعجوز المقعد تطلق فى رأسه رصاصة فيلقى قتيلاً ويقذف فى البحر لتأكله الأسماك ، وهى الصورة التى حفلت بها سائر صحف الغرب ، بينما ضاعت صورة الاختطاف والقرصنة الجوية لدولة مقابل قرصنة أفراد



كاريكاتير عن الأثار السيئة للإرهاب العربى على العالم يتعرض له العالم كله ، والهدف
اسرائيل !!

الماضى — وهى أكذوبة سبق لنا وأن فندناها — ويعانى اليوم من الاضطهاد العربى ، حيث يريد « الغول » العربى أن يتلع « الحمامة » الإسرائيلية الوديدة ! العربى « البشع » يريد أن يدمر الإسرائيلى « المتمددين » ، وكلما زاد معدل انهماك دموع الأقلام الصحفية الغربية ، زاد انهماك المساعدات على الدولة الإسرائيلية التى تحاول الصحافة الغربية تجميل صورة أبنائها وجعلها أكثر اتساقاً وتناسقاً . أما المساعدات فهى كثيرة ، مالية ، عسكرية ، سياسية ، ومعنوية .

وقد حدث أثناء أزمة الخليج أن استغلت الصحافة الغربية تصريحات حقاء للرئيس الأحق « صدام حسين » هدد فيها بإبادة نصف إسرائيل ، فراحت تتسابق فى التضخيم من قدرات العراق النووية ، وبشاعة الأسلحة الكيميائية التى يمتلكها العراقيون .

والدارس لنبض الإعلام الصهيونى قبل نشوب القتال الفعلى لمعارك حرب الخليج ، يجد أن الصحافة الغربية قد ضخمت عن عمد من قدر القوات المسلحة العراقية ووضعتها فى ترتيب رابع قوة مسلحة على مستوى العالم ، وذلك لإيجاد مبرر لضرب هذه القوات والنزول بها من مرتبتها الرابعة إلى مرتبة دنيا لا تهدد الأمن العالمى .. كما أنها ضخمت من حجم التيار الأمريكى المناهض لمشاركة الولايات المتحدة الامريكية فى مستنقع الخليج وذلك بهدف إعطاء الرئيس العراقى — الأحق^(١) — طعماً يدفعه إلى التحدى فى تحدى الولايات المتحدة اعتماداً على عدم قدرتها على الدخول فى نزاع مسلح ضد « صدام » .

هذا جانب .. من جانب آخر فقد راحت الصحافة الغربية خاصة الألمانية منها فى الهجوم العنيف على شخص صدام حسين وأمثاله من العرب ، وتشبهه بالدكتاتور النازى أودلف هتلر ، وراحت تلك الصحافة تعقد المقارنات غير العادية بين الشخصين هتلر وصدام حسين ، وكلاهما أصبح لعدة أسابيع ينشر جنباً إلى جنب فى إطار واحد ، وذلك قبل أن تنشر مجلة ديرشبيجل الألمانية صورة لصدام حسين وهو يمسح رعوس الأطفال وهى صورة أكدت المجلة أنها تنطبق

(١) تعرض صدام لحملة تضخيم غربية تناولت شخصه ونفخت فيه : أقوى رجل فى العالم . صاحب رابع جيش .. الرجل القادر على سحق جيوش كل دول الحلفاء الذين يفصلهم عن الكويت حائط رملى أقوى من « ماجينو » .. و .. ولأن صدام حسين أحق ، فقد بلغ الطعم ورفض الاستجابة لنداءات السلام .

أما أثناء معارك حرب الخليج فقد وقف الإعلام الصهيوني والغربي بقوة إلى جانب دولة إسرائيل ، وذلك باستغلال العدوان العراقي على إسرائيل ، بهدف أنها تضحي بعدم الرد على الصواريخ العراقية حتى لا تضر بالتحالف الغربي والعالمي ضد العراق ، وأوضح الإعلام الصهيوني أن إسرائيل تضبط نفسها قهراً وغضباً ، وأنها - لو ترك الأمر لها ، أو الود ودها أن ترد ، ولكنها تضحي - وتلك أسطورة من أكبر أساطير حرب الخليج - من أجل الرغبة الأمريكية وعشان خاطر عيون أمريكا .. وقد كان من نتيجة ترويج الإعلام الأمريكي والصهيوني لهذه الأسطورة أن كسبت إسرائيل عطفاً كبيراً وتعاطفاً عظيماً من الرأي العام العالمي وخففت من صورتها كدولة عدوانية أمامه .

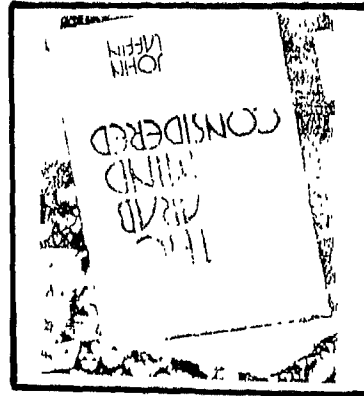
أما بعد الحرب فقد ركزت الصحافة الغربية والصهيونية على الإساءة إلى العقلية العربية مرددة الادعاء الإسرائيلي بأن العقلية العربية تساوّم في السياسة كما يفعل العربي في البيع والشراء ، وبأنهم لا يأتون إلا بالضغط ، «اضغطوا عليهم يتراجعون» ! .. ولكن الخطأ في هذه المقولة أنها أخذت من حالة شخص واحد - صدام حسين الذي كان يساوّم للحصول على المزايا قبل أن يستسلم - وطبقها على المجموع - أي أنها عممت السيئة وخصصت الحسنة وتلك قاعدة جد خاطئة .



العرب كما تراهم أمريكا

وإذا تركنا الكلمة المرئية والمسموعة والمقروءة بالصحف الإخبارية وانتقلنا إلى الكلمة المقروءة في غيرها فإننا نفاجاً بسيل كبير من الزيف عبر الدراسات والمجلات والرسوم الكاريكاتورية والكتب المدرسية ، حيث تشكل جميعاً ، وكلاً على حدة ، صورة للعربي العابس ، القدر ، الخطر ، المعقوف الأنف ، الإرهابي ، الجبان ، البدوي المتخلف ، الهمجي الدون ، وما إلى ذلك من ألفاظ

كانت تنسحب قبل أقل من قرن على اليهودى ، فإذا باليهودى الصهيونى ، ومن ورائه المسيحى الصهيونى ، يقلب هذه الصفات ويلقى بها على الشخصية العربية ! ليذمها ذمّاً كان المسيحيون من قبل يذمون به اليهود الذين حل عليهم اليوم الرضا المسيحانى فبدأ يث الإعجاب بالشعب اليهودى ! ويذم فى الإنسان العربى تخصيصاً والشعوب العربية تعميماً .



غلاف الكتاب الذى يسيء إلى العرب



صور كاريكاتورية تسيء إلى الشخصية العربية لأهداف صهيونية

ولعل أسوأ أنواع الذم ذلك الذى يتظاهر بالمدح ، وأشد ضروب الكراهية هو ذلك الذى يتخفى وراء قناع من الحب ، وأقوى أسلحة القتل هو ذلك الذى يدعى أنه يتسلح بسلاح العلم المجرد ! ونقصد بذلك الدراسات العلمية التى تنتشر فى الغرب وتحاول أن تعكس للقارئ الغربى صورة الشخصية العربية من منظور تدعى أنه مجرد من كل هوى بينا هو فى الواقع يهدف إلى محو جميع الصفات الجيدة من ذهن المواطن الغربى ليبقى فقط على كل رذيلة ونقص يُلصقه بالعرب .

ومن بين هذه الدراسات والكتب التى تسير وراء منطق الذم المغلف بالمدح والكراهية المختفية وراء الحب ، والدسيسة المقنعة بالعلم ، كتاب عنوانه «العقل العربى تحت الفحص»^(١) وعنوانه الفرعى الذى ينبغى أن ننتبه إليه جيداً فهو «الحاجة إلى الفهم» وهذا العنوان الفرعى يعنى أن الكتاب أساساً موجه لقراء من غير العرب ، ويهدف إلى مساعدة هؤلاء القراء على فهم العقل العربى على نحو أفضل ، لكن القراءة الفعلية للكتاب تبين لنا أن المؤلف «جون لافين» كان يرسم خطة متعمدة لها هدف عكسى تماماً ، وأنه لم يترك فرصة للتشويه والتضليل واستغلها إلى أقصى حد^(٢) .

فى أول الأمر يبدو كل شئ طبيعياً ، فالمؤلف الذى يدعو إلى فهم صحيح للعرب يتخذ فى أول فصول كتابه موقف التعاطف معهم ، ومظهر هذا التعاطف فصل كامل يصف فيه بإسهاب تسامح الحكم العربى فى أسبانيا ، والأثر الثقافى والاجتماعى والاقتصادى الهائل الذى تركه العرب فى أوروبا من خلال اتصالات حدثت فى جهات متعددة أهمها شبه الجزيرة الأيبيرية ، ويشير إلى ذلك الإنجاز الهائل الذى حققه العرب لأول مرة فى التاريخ ، وهو توحيد أقاليم تمتد من حدود الصين شرقاً حتى فرنسا غرباً ، وتكوين مجتمع واحد من ثقافات كانت من قبل متصارعة ، هى ثقافات البحر المتوسط والشرقين الأدنى والأوسط . على أن هذه

(1) John laffin: The Arab mind considered. A Need for understanding. Taphing Publishing company. New York, 1975.

(٢) انظر مقال : محاولة لفهم العقل العربى ، بقلم الدكتور فؤاد زكريا ، المنشور ضمن كتابه : «خطاب إلى العقل العربى» . منشورات كتاب العربى — العدد ١٧ — أكتوبر ١٩٨٧ ص ١١٢ — ١٢٣ .

البداية التي تبدو متعاطفة ، سرعان ما تنقلب إلى أحكام متسرعة شديدة القسوة على العقل العربى ، والثقافة العربية وكل ما ينتمى إلى حاضره العرب بأية صلة ، وأغلب الظن أن هذا التعاطف الأول كان يهدف إلى تغطية الحملة الشعواء التي أعقبته ، بحيث يكتسب الكتاب ، فى نظر القارئ الذى يفتقر إلى الوعي الكافى ، مظهر الموضوعية . وتصبح الأحكام القاسية التى ستظهر فيما بعد أكثر قابلية للتصديق ، أى أن المدح هاهنا يهدف فى النهاية إلى زيادة فعالية الذم ، وأن هذا العسل الذى بدأ به الكتاب يخفى خلفه السم .

أما مصدر هذا السم ، باعتراف الكاتب نفسه ، والذى يقول عنه ناشرو الكتاب بأنه « اكتسب شهرة لدى كلا الجانبين (العربى والإسرائيلى) بأنه كاتب موضوعى » — فهم العلماء الإسرائيليون المتخصصون فى الشؤون العربية فى جامعات القدس وحيفا وتل أبيب ، حيث يصفهم بأنهم : « أحسن من يعرف العرب ، وأفضل من يعتمد عليهم فى ميدان المصادر الأكاديمية » !!

وأول صفة يحرص المؤلف على أن يلصقها بالعرب هى صفة العنف . وهو يحاول منذ البداية أن يثبت وجود جذور تاريخية قديمة لهذه الصفة ، فيخصص لطائفة الحشاشين الذين كانوا يستخدمون القتل وسيلة للضغط السياسى حيزاً كبيراً من تلك الصفحات القليلة التى عرض فيها موجزاً سريعاً لتاريخ العرب ، وهو حيز لا يتناسب على الإطلاق مع الوضع الهامشى لتاريخ الطائفة فى إطار التاريخ العربى . ولكن الهدف من هذا الاهتمام الزائد واضح كل الوضوح ، وهو إيجاد رابطة بينهم وبين الفلسطينيين المعاصرين الذين لا يكف طوال كتابه عن تسميتهم بالإرهابيين حتى يقتنع قراؤه بأن العنف والقسوة طبع أصيل ، قديم العهد ، فى الشخصية العربية .

وهكذا يتحدث المؤلف عن العنف كما لو كان صلاة أو عبادة عند العرب ، ويقدم أوصافاً مسهبة لما يسميه بالفظائع التى ارتكبتها العرب مع الجنود الفرنسيين الذين وقعوا أسرى فى أيديهم فى شمال إفريقيا ، متناسياً بذلك بديهيات أولية يعرفها رجل الشارع العادى ، فالعالم كله يعرف أن الاستعمار الفرنسى فى شمال أفريقيا قد ارتكب ، طوال أكثر من ربع قرن ، من الفظائع ما لا تقاس إلى جانبه أية أعمال عنف يقوم بها المحاربون !!

على أن المؤلف لا ينجح على الإطلاق في إخفاء هدفه الحقيقي من إصااق تهمة العنف بالعرب بل أنه يصرح بهذا دون مواربة حين يعقد مقارنات مضللة بين العرب والإسرائيليين في هذا الميدان ، فهو يخصص فصلاً كاملاً للحديث عن موقف العرب من إسرائيل ، مؤكداً أن الهدف الحقيقي للعرب هو « تصفية » إسرائيل وإبادة مستعينة في ذلك بأقوال تنتمي كلها إلى الفترة السابقة لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ومتجاهلاً التحول الجذري الذي حدث في موقف دول عربية كثيرة بعد هذه الحرب .

ومع أن المؤلف قد أشار في فصل سابق إلى ولع العرب بالبلاغة والألفاظ الرنانة والمبالغة الكلامية والكفاح بالخطب بدلاً من الجيوش ، إلا أنه رفض أن ينظر إلى بعض تصريحات القادة العرب — اتساقاً مع رأيه السابق — على أساس أنها من قبيل المبالغة اللفظية أو على أنها تصريحات ذات أهداف وقتية سياسية غالبيتها للاستهلاك المحلى .

ويتصف العرب في رأى « جون لافين » — مجموعة من الصفات السلبية التى يقوم بعرضها دون أية محاولة لتقديم دليل حقيقى على وجودها ، فالعرب كذابون بطبيعتهم ، إلا أن العربى — كما يحاول أن يقول المؤلف متفهماً لهذه الصفة المزدولة ومفسرها لها — « لا يعنى ما يقول إلا فى اللحظة التى يقول فيها . فهو ليس كذاباً بذافع الشر ، وليس فى العادة كذاباً متعمداً ، وإنما هو كذاب بطبعه » ! ثم يفلسف فكرته فيقول : « بالنسبة إلى العربى يمكن أن تكون هناك أكثر من حقيقة واحدة عن الشئ الواحد ، تبعاً لنوع اللغة المستخدمة » !

أما نظرة العرب إلى النساء فيلخصها المؤلف بقوله : « إن العربى خطر على النساء المتمتعات إلى جنسيات أخرى . فكثير من الفتيات الغربيات اللاتي يعملن فى شركات كبرى لها فروع فى البلاد العربية ، قد تعرضن لاعتداءات همجية واغتصبين . ومن المستحيل على المرأة أن تسير ليلاً فى طريق عام دون أن تتعرض لخطر داهم ، بل أن قيادتها لسيارتها وحدها فيه صعوبة لا يستهان بها » !

ويقول المؤلف بأن العرب يتسمون بإحساس كاذب بالوقار . يحول بينهم وبين الاستمتاع بالحياة « إن الإحساس الحاد بالوقار يمنع العرب من إظهار أى نوع

من الطيش» ولذا فإن الضحك نادر . كما أن العربي إنسان حزين» .

وآخر هذه النماذج التي يحكم بها المؤلف على العرب تأكيده بأن العربي يفتقد إلى الشخصية الفردية نتيجة لاعتماده على أسرته ونظراً لأنه لم يستقل عنها بعد ، فإنه لا يعتمد على نفسه ولا يستطيع حل مشكلاته الخاصة . كما أنه لا يستطيع أن يفكر بنفسه أو يستخدم قدرته على التصرف المستقل ، فاستقلال الذهن ليست لذة عنده تمثل قيمة خاصة .

وهكذا يعتبر كتاب «العقل العربي تحت الفحص» نموذجاً لكتب أخرى كثيرة لكتاب غربيين يزعمون الموضوعية رغم تعمدهم تقديم مغالطات تتم عن افتقار شديد إلى هذه الموضوعية ، وليست مجموعة الأحكام التي عددناها في هذا الكتاب إلا نموذجاً لثمة لا يمكن وصفه بأنه نادر بين هؤلاء الكتاب . فالكتاب حين يصف العربي بالكذب ينسى أن مجموعة أحاديث السياسيين في بلاده ، وعود المرشحين في انتخابات أعرق البلاد «الديمقراطية» تشكل نموذجاً للكذب ينذر أن نجد له نظيراً . وحين يتحدث عن خطورة العربي على النساء الأجنيات ، يغفل الحقائق التي يعرفها الجميع عن المجتمعات الغربية والأمريكية بوجه خاص . حيث تحولت البيوت في المدن الكبرى إلى قلاع محصنة وحيث تقوم المخاطر الجسيمة حول كل من يجازف بالسير في الشوارع بعد الغروب سواء أكان رجلاً أم امرأة ، وينسى أن الأجنيات هن أول من يعترفن بأن الإحساس بالأمان يزيد في المجتمعات العربية عنه في المجتمعات الغربية بكثير^(١) . وحين يتحدث عن حزن العربي ينسى أن المرح الشرق صفة مشهورة وإن علو الصوت في الضحك الصادر عن القلب من الصفات التي تميز الإنسان العربي بوضوح وحين يأبى على العربي أن تكون له شخصية فردية معللاً ذلك بأن اندماجه في الأسرة يقضى على استقلاله ينسى أن الاستقلال المبكر عن الأسرة قد خلق للإنسان الغربي مشكلات نفسية واجتماعية هائلة يشكو منها كل باحث في نفس هذه البلاد . وأن التماسك والتكافل العائلي في المجتمع العربي من أبرز السمات التي يتحسر عليها زوار هذه المجتمعات من الأجانب . ولكن ماذا نقول في الرغبة في الإساءة إلى العرب ١٩

(١) تشير آخر الإحصاءات عن وقوع ١٠٠ ألف حادث اغتصاب داخل الولايات المتحدة خلال عام ١٩٩٠ بمعدل ١٢ حادثة اغتصاب كل ساعة : (الأهرام عدد ١٩٩١/٣/٢٣) .

إن معزوفة «الإهانة» التي تعزفها الأوتار الصهيونية ضد الإنسان العربي لم تتوقف لدى كل ما مضى من إهانات سينائية وتليفزيونية وكاريكاتورية وصحفية ، بل تعدت ذلك إلى قواميس اللغة حيث نجد أن تعريف العربى فى «موسوعة مريام وبستر» هو :

«متشرد ، ابن شارع ، منحرف ، فارغ ، زبالة ، وأزعر»^(١) فهكذا ، بكل سيطرة يتحول العربى بكل تاريخه وإسهاماته فى الحضارة الإنسانية وبكل الظلم الذى يخيق به فى هذه الموسوعة إلى مجرد إنسان قبيح جداً جداً .

والواقع أن الأمر لا يقتصر على موسوعة مريام وبستر ، إذ يتلاحظ لنا فى دائرة المعارف البريطانية تشويها للتاريخ العربى ، متمثلاً فى سيرة رسول الإسلام محمد (ﷺ) إذ تقول وتردد عنه الأخطاء التالية :

— أن محمد (ﷺ) مارس تعدد الزوجات لأنه كان يريد مولوداً ذكراً .

— أن المسلمين يعبدون محمداً (ﷺ) .

— أن محمداً (ﷺ) أراد أن يكون أعظم الأنبياء .

فإذا كان هذا هو حال الموسوعات ودوائر المعارف العالمية ، والكتابات العلمية الموسومة «بالموضوعية» فهل نتوقع أن تكون صفحة المجال الأدبى الروائى بيضاء ناصعة وخالية من أى إهانة للعربى ؟ . عن الإجابة يقول جانيس ج . تيرى^(٢) : إن مؤيدى إسرائيل أدركوا مدى تأثير الرواية الجماهيرية كوسيلة لدعم التعاطف مع إسرائيل مثلما فعل ليون يوريس فى رواية «الخروج» التى تصور الكفاح فى سبيل تأسيس دولة إسرائيل وهذا مثال صارخ على قدرة الرواية على التأثير . فقد كان للصيغة الدرامية قوة الواقع فى التأثير على الرأى العام .

وفى المقابل فإن تصوير العرب والمسلمين ووصفهم بالتخلف والجشع

(١) مجلة كل العرب ، العدد ١٥١ بتاريخ ١٧/٧/١٩٨٥ ، الحرب النفسية الإسرائيلية ص ١١٨ .
(٢) نقلاً عن كتاب «الرؤية المشققة split vision شقوق فى صورة العرب عند الأمريكين» للأستاذ آدموند غريب . مجلة العربى الكويتية العدد ٣٠٤ — مارس ١٩٨٤ ص ١٣٤ — ١٧٥ .

والشهوانية والشر وانعدام الإنسانية إنما يجعل منهم كبش فداء مريح في الرواية المعاصرة التي تتناول موضوعات مستقاة من الشرق الأوسط .

Aquiculture n'syn **HYDROPONICS**, **nutriculture** **aquiver** adj. **syn** **TREMULOUS**, **aquake**, **quaking**, **quivering**, **shaking**, **shaky**, **shivering**, **trembling**, **tremorous**, **tremulant**

arab n syn **VAGABOND**, **clochard**, **drifter**, **floater**, **hobo** **roadster**, **street arab**, **tramp**, **vag**, **vagrant** //2 syn **PEDDLER**, // **duffer**, **hawker**, **higgler**, **huckster**, **monger**, **mongerer**, **outcrier**, **packman**, **vendor**

arable adj suitable for tilling and for growing crops — used their arable and intensively

sycultivable, **cultivable**, **tillable**

rel **fat**, **fertile**, **fruitful**, **productive**

corbarren, **sterile**, **unfertile**, **unfruitful** **unproductive** **abitter** n syn **JUDGE** 1, **arbitrator**, **referee**, **umpire** **remoderatoi** **arbitrary** adj characterized by or given to willful and often unwise or irrational choices and demands - a ncoud fitfut **arbitrarvnature**

تعريف موسوعة ميريام ويستر العالمية للعربى : متشرد ، فارغ ، منحرف ، أزعز ، زبالة .

ورواية سول بيلو «إلى القدس» مثال واضح على ذلك فهي رواية تفترض تفوق الثقافة الأوروبية والإسرائيلية على الثقافة العربية ، وترفض فكرة أن إسرائيل دولة عنصرية استعمارية توسعية ، ولا تلتفت إلى التجانس الدينى فى المنطقة ، والتسامح التاريخى الإسلامى ، بل تقلل من شأن الإسلام ، كما توجه اللوم للعرب وحلفائهم السوفييت بسبب تصعيد العنف فى المنطقة ، هذا دون أى تشكك فى صحة الصورة النمطية التى ترسم فى الأذهان عن العرب الأشرار ، مما يدل على سلبية الموقف الغربى من العالم العربى .

إن مثل هذه الروايات الصادرة عن دور نشر صهيونية يمتلكها يهود ، ومنها دار نشر «راندوم هاوس» و «سيمون آند شوستر» و «بانتوم كامبانى» التى أصدرت كتاب «يوميات حول العالم» — وهو كتاب تُخصّص فصل كامل منه لتوجيه الإهانات إلى العربى — أو الصادرة عن دور نشر أخرى لا يمتلكها يهود ، وإن كانت ، لاهداف صهيونية أأمية، قد ركزت إصداراتها على توجيه الإهانات إلى العرب ، هذه الروايات تنقسم إلى ثلاثة أنواع : قصص المغامرات ، وروايات الجاسوسية ، والروايات التى تدور حول النفط العربى .

. في روايات المغامرات تتم المواجهة عادة بين قوى الشر وقوى الخير ، وهكذا تصور رواية اندرو شوجار : « الفدائيون الإسرائيليون » انتصار البطل على عقبات هائلة ، وتظهر الإسرائيليون على أنهم شجعان نبلاء والعرب جناء همجيون ، وكذلك تعرض « الدورية الاردنية » التي كتبها « ايكال ليف » العرب بوصفهم قوى خارجية أجنبية تميل للعدوان في حين يميل الإسرائيليون إلى حب السلام ، وإلى هذه النوعية تنتمي روايتا الوحي السام والأحد الأسود .

* أما روايات الجاسوسية فإنها تتناول الصراع في الشرق الأوسط على خلفية دولية وتصور العرب أشراً والإسرائيليين أبرياء ، وهذا هو الخط الذي نلمسه في رواية باري شيف « الهدف الفاتيكاني » و « الجهاد » لايبر هاري ، و « خطة الموساد » للينارد هاريس ، و « خمسين » لمناحم بريجاني و « صلاح الدين » لاندرو أزموند ، و « الفقهاء » لايلى لاندو وآموس اريكا . وليس من الغريب أن يبدو العرب والروس في مثل هذه الروايات أشراً والإسرائيليون متفوقين .

أما النوع الثالث ، ومن أمثلته « حافة الهاوية » لبنيامين وهربت ستاين ، و « الدببة الفضية » و « البليون دولار » لبول أردمان ، فهو يتناول الاستثمارات المالية الدولية ، ومقاطعة إسرائيل ، وزيادة النفط وما يصاحبها من تضخم ، والهدف الأساسي من هذا كله إحداث تأثير بأن العالم الإسلامي إنما يشن حرباً اقتصادية شاملة ضد الغرب المسيحي ، وإلى هذه المجموعة أيضاً تنتمي قصة « Momo » .

غير أن لدينا رواية واحدة تحتوى على النوعيات الثلاث السابق الحديث عنها ، وهي واحدة من أخطر القصص الصهيونية التي حيكت بحيث تبدو فيها الشخصية العربية في أسوأ صورها ، بل هي أسوأ من السوء نفسه ! والرواية عنوانها « الحاج » ، للكاتب الصهيوني الأمريكي « ليون يوريس » . ومن غلافها تحمل هذه الرواية اتهاماً بالإرهاب والغدر ، لذا يحل محل حرف « ل » في كلمة الحاج The Haj صورة خنجر عربي ، كرمز للغدر والخنجر التي تنغرس في الظهور في عتمة الليل (انظر صورة غلاف الرواية المنشور ضمن صفحات هذا الكتاب)^(١) .

(١) نقلاً عن مقال مازن البندك : الحاج إبراهيم ، هجمة جديدة على الشخصية العربية — مجلة الجليل ، العدد

١٢ الجمعة ٥ — ديسمبر ١٩٨٤ ص ١٨ — ٣١ .

ورواية الحاج رواية طويلة (٥٦٦ صفحة) ولا تزيد قيمتها الفنية على كتب «الألغاز» التي يقرأها الأحداث ، بل إن بعض هذه الألغاز أكثر متعة وأكمل للقواعد الفنية . فهي رواية مسطحة تفتعل الإثارة افتعلاً ومضجرة في أكثر فصولها ، ولكن لأنها من أولها إلى آخرها ذم وتشهير بالعرب والفلسطينيين فإن وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية روجت لها أعظم ترويح حتى أنها أصبحت من الكتب الأكثر توزيعاً في عام ١٩٨٤



الروائي الصهيوني الأول — الحائز على جائزة نوبل ليون يوريس وغلاف رواية « الحاج » التي يسئ فيها إلى العرب إيما إساءة (لاحظ حرف الـ هـ في اسم الرواية)

والرواية خطيرة في مراميها السياسية ، حيث توجه أسوأ كلماتها وأسوأ تلميحاتها للأردن والسعودية وتورد سمومها دون أى داع فنى ولكن لمجرد الشتيمة والتشهير ! وتحاول الرواية أن تؤكد أن العرب لا يملكون أى عزيمة للقتال وأن الدول العربية هى المسئولة عن إخراج الفلسطينيين من ديارهم ، وأن الحل هو التسليم بمطالب إسرائيل على طول الخط .

وبالنظر لأنه ليس بالامكان تلخيص هذه الرواية المتشعبة ، فإننا نركز فقط على المظهر السيئ للشخصية العربية داخل الرواية ، فالرواية تظهر العربى باعتباره متآمراً ، زائف الشجاعة ، كسولاً ، شكاكاً ، قذراً ، كذاباً ، حقوداً حيث تركز شخصيته على الانتقام والموت والجنون والخناجر التى تنفوس فى الظهور وحيث الغدر مصداقاً لما يدعيه المؤلف من أنه مثل عربى : إذا كان لك

مائة صديق تخل عن تسعة وتسعين وشك في الأخير ! في حين يصور الكاتب المقاومة الفلسطينية باعتبارها عصابات غوغائية وإرهابية غادرة . أما الإسلام فهو عالم غامض مخيف يدعو إلى الاتكالية والحمول .

والشخصيات العربية التي يعرضها المؤلف هي شخصيات مريضة ، متخلفة ، متناقضة ، مصابة بنوع من اللاعقلانية والشذوذ ، متعصبة ، حاقدة ! .. والشخصيات السوية الوحيدة في الرواية والتي عاملها بنوع من العطف هما شخصية الدكتور مرحل ، الجاسوس لإسرائيل ، وإسماعيل ابن المختار (العمدة) الذي يحلم أن يصبح جاسوساً .

ويعتقد «البندك» أن الرواية كتبت بطريقة خاصة في أجهزة المخابرات والحرب النفسية المعادية للعرب ، فقد بسطت أمام يوريس مختلف التصورات المعادية للشخصية العربية ، في أسوأ ملامحها وعناصرها ، ثم تصرف يوريس بهذه الأنماط المعروضة عليه واصطنع منها روايته .

و «يوريس» صهيوني حتى النخاع ، ففي روايته الأخرى المعنونة الخروج (اكسودس) يبدو العربي متوحشاً ومتحدراً من جنس بربرى متدن (هابط) قياساً إلى الجنس اليهودي الراق ! ويعقد المؤلف في «الخروج» المقارنة بين عقلية «هذا العربي» وعقلية اليهودي الغربية المتطورة ، حيث يحاول المؤلف أن يعمق الفرق بين العقليتين ومن ثم الحضارتين (لاحظ أنه لا توجد حضارة يهودية ولا جنس يهودي) والديانتين مما يجعل التعايش معهما مستحيلاً بل وممهداً بذلك لأعمال الوحشية والقتل الجماعي والإبادة التي تمارس ضد العرب لأنها تشبه عملية إبادة الهنود الحمر أو الوطنيين الاستراليين ، أو جواميس أمريكا الشمالية (البافلو) ! فالعرب في طرح «يوريس» وأمثاله ليسوا أفضل من ذلك كله بكثير .

ويعيننا الآن أن نلقى نظرة سريعة على مضمون بعض روايات أمثال

«يوريس» : —

ونبدأ بكتاب (أو رواية حيث يحتوى الكتاب على عدة مغامرات وروايات) «يوميات حول العالم» ..

وقد كتب كتاب «يوميات حول العالم» مضيفتان جويتان هما «ترودى باكر» ، «راشيل جونز» وموضوعه العام مغامرات هاتين المضيفتين فى أكثر من خمس عشرة مدينة ، وبلداً حول العالم ، وهى مغامرات ما كان لنا أن نهتم بما هو موجه فيها ضد العرب لولا أنها تعدت فى توزيع الكتاب الذى يحتوىها ثلاثة ملايين نسخة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وحدها . وقد تناولت المغامرات مدن عدة ، لندن ، برلين ، مونت كارلو ، كوبنهاجن ، موسكو .. فى إطار جميل مسل ، ومقبول الأمر الذى يدفع القارئ إلى التهامه دون أن يفطن لما قصد فى أحد فصوله من توجيه الإهانات إلى العرب .

إن أحد فصول الكتاب عنوانه «أنا لا يهمنى ماذا تقول الأغنية ، اخرجى من خيمتى»^(١) ، بعدها يبدأ الكتاب فى سرد مغامرة يفترض أن إحدى المضيفات الجويات الأمريكيات قامت بها فى مكان ما من العالم العربى يقع فى الصحراء ما بين سوريا والمملكة العربية السعودية ، وأبطالها الرئيسيون أربعة . زعيم قبيلة عربى ، وابنه ، ثم المضيضة الجوية الأمريكية ، وطيار بريطانى اسمه «سترنلج» . وكما تناولت الأفلام الغربية كثيراً من المغامرات المزعومة للرجل الأبيض فى أدغال أفريقيا ، فإن هذا الفصل يقدم لنا مغامرة الطيار البريطانى ومضيفته الأمريكية فى الصحراء العربية ، أننا أمام عرب همجيين وبربريين ومتوحشين من ناحية ، فى صراع ضد مغامرين غربيين متحضرين وشجعان وطرزانات من ناحية أخرى . نحن أمام فتاة جميلة وعذراء ، شاء لها سوء الحظ أن تقع ضحية اختطاف قامت به قبيلة عربية ، حيث لم يعد مفر أن يقوم رجل أبيض قادم من الغرب بإنقاذ هذه الفتاة المسكينة من برائن هؤلاء المتوحشين الذين يقودهم زعيم قبيلة لا يهتم بشيء إلا اقتناء الحريم ليرقصن له ويهززن بطونهن بينا هو فى واقع الأمر عاجز جنسياً ! ثم إنه من الجهل بحيث لا يعرف ما هى الطائرة وينظر لها على أنها طائر كبير ، ومن الجبن بحيث استطاع رجل واحد قادم من الغرب المتحضر ، أن يهزم قبيلة كاملة من العرب المتخلفين !

(١) قام الأستاذ محمود عوض بترجمة هذا الفصل المضاد للعرب فى كتابه «يوميات حول العالم» ضمن فصول كتابه : الحرب الرابعة «سرى جلدأ» مرجع سابق ، ص ٢٢٧ — ٢٦٠ .

ومع أن القصة بها الكثير من الفبركة ، بدليل أن زعيم القبيلة الذى بدأ فى أول الفصل أميا لا يعرف حتى معنى كلمة اختطاف ! نراه فجأة يتحدث الانجليزية إلى المضيف الأمريكية مكرراً لها بشكل متعمد «أنه لشيء مكتوب» إيحاء بأنه مكتوب فى القرآن طبعاً ! وبدليل أن الأسماء التى ترد لأفراد القبيلة كلها ليست عربية ، ويكفى أن نقرأ أسماء مثل «ابن فاستوش» ، «ياشيد» ، «شالوم» هل حدث مطلقاً أن سمي عربى مسلم ابنه باسم «شالوم» !! رغم هذه الفبركة فالقارئ الأمريكى لن يتوقف عند هذه الفبركة وسيقرأ الكتاب على أن هذه واقعة محددة بأكثر مما هى صورة كاريكاتورية . إن القارئ الأمريكى بمعلوماته السطحية تماماً عن العالم العربى ، وباهتماماته الخفيفة فى القراءة وبولعه الشديد بقصص المغامرات والبطولة الفردية ، ستجوز عليه هذه الأكاذيب وهذه الافتراءات عن العرب المتوحشين ، القساة ، الهمج إلى آخر ما فى قاموس الدعاية الصهيونية ضد كل ما هو عربى .

وبعد رواية «يوميات حول العالم» تأتى رواية توماس هاريس الصادرة عام ١٩٧٥ «الأحد الأسود»^(١) لتصف العرب بأنهم متعصبون دينياً ومجانين ، يستغلون التهديدات للوصول إلى أهدافهم التافهة ، وأنهم لا يحترمون الثقافة والحضارة حيث تتحدث الرواية عن مجموعة من الفلسطينيين الذين أرادوا الانتقام من أمريكا لمساعدتها لإسرائيل ، فتعمد إلى محاولة نسف نيويورك ، وسلاحهم فى ذلك عبارة عن طيار بحرى أمريكى أسر فى حرب فيتنام ، وكان هو أيضاً يريد الانتقام لأنه عانى من المعاملة غير العادلة من حكومته ويحمل مشاعر الانتقام نفسها . وتزخر الرواية بأبشع الصفات التى تلتصق بالعرب كالعنف والخيانة .

إن نفس هذه الصفات السيئة تتكرر فى رواية «الوحى السام» لبيتر ديكنسون ، فبرز العربى وتظهره فى صورة الإنسان المتوحش الذى لا يعرف عاطفة الأبوة أو الأخوة .

أما رواية E. Ajor الصادرة عام ١٩٧٨ والمعنونة Momo والذى سيعرف

(١) الحرب النفسية الإسرائيلية ، مرجع سابق ص ١١٣ .

القارئ أنه — أى العنوان — اختصار ودلالة على اسم الرسول الكريم محمد (ﷺ) فتدور أحداثها حول امرأة يهودية تشرف على حضانة للأطفال غير الشرعيين ، من بينهم الطفل العربى محمد حيث ينشأ ويكبر ويعشق هذه المرأة التى احتضنته ، ثم نكتشف من خلال مجرى الأحداث أن والد محمد هو أمير نفط عربى يأق ليبحث عن عشيقته القديمة ، وهى اليهودية حاضنة محمد ، فيتعرف على الوقائع الأخيرة بعد أن يرى ابنه ليختفى إلى الأبد حتى دون أن يدفع فاتورة حساب المطعم !! وجلى عن البيان التشويه المتعمد والبشع للمسلم والعربى على حد سواء ، كما تظهر الروابط والإشارات على نحو سافر مفضوح .

وإذا انتقلنا من الأدب إلى المسرح حيث تسيطر الصهيونية على عدد كبير من المسارح فى إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . فمن المسرحيات التى تفوح منها رائحة الخبث الصهيونى فى مسرحية «القشعريرة» — التى بدى بتقديمها فى عام ١٩٨١ فوق خشبة أشهر مسارح «الوست إند» — شارع المسارح الشهير فى لندن .

وتدور أحداث المسرحية حول تاجر عربى ثرى اسمه فى المسرحية «محمد العربى» يذر أمواله الطائلة فى شراء أفخر الخمور ، وأعلى الهدايا لفتاة إنجليزية بغية التمتع بجسدها وإشباع شهواته الحيوانية ، إلى أن أنفق كل ماله دون أن يظفر من الإنجليزية اللعوب بشيء ، ثم لا يلبث أن يجد نفسه على قارعة الطريق ولم يعد فى جيبه فلس واحد .

إن إطلاق اسم «محمد» هنا — كما هو الحال فى Momo على بطل المسرحية ليس مجرد إطلاق اسم فقط ، بل قد اختير هذا الاسم بحث شديد فى محاولة للتعرض لنبي الاسلام (ﷺ) كما أن إطلاق اسم «العربى» كاسم لعائلته يقصد منه أيضاً التعريض بالعرب الجاهلين والمبذرين .. وهما صفتان من مجموع صفات أخرى تحويها المسرحية ضد العرب وتسمهم بالقبح^(١) .

(١) النفوذ اليهودى فى الأجهزة الإعلامية .. مرجع سابق ص ٥٨ . وغنى عن البيان أن الكتب المدرسية الغربية تحوى على كثير من المغالطات والتهجم على الإسلام والمسلمين وبالتالى العرب .

ومما سبق يتضح لنا أن الصهيونية العالمية . لم تترك وسيلة دعائية إلا واستخدمتها في تثبيت صورة العري القبيح . استغلت الإذاعة والسينما والتلفزيون والمسرح والصحف والكتب لنشويه صورة الإنسان العري ، بيد أنها لم تكتف بذلك ، فبحثت في جعبتها عن وسائل جديدة تتيح لها قدرة أكثر على صقل أسطورة العري القبيح ، فكان أن ابتكرت ألعاباً لتسلية ومتعة الصغار والكبار من جهة ، ودعم فكرة العري القبيح من جهة أخرى ، واحدة من أكثر الألعاب خدمة للأهداف الصهيونية لعبة منزلية ظهرت مؤخراً واكتسحت العالم ، وأضحت اللعبة المنزلية الأولى ، إذ درت على أصحابها — الماكركين — مئات الملايين من الدولارات ، وفاقَت مبيعاتها الألعاب المنزلية الأخرى مجتمعة ، وبينها ألعاب ذات تاريخ طويل وشعبية واسعة في الغرب ، مثل سكرابل ، ومونوبولي الخ ..

وتقوم «انشغالات تافهة»^(١) وهذا هو اسم اللعبة على مبدأ بسيط هو : المعلومات العامة ، فاللاعب الذي يمكن أن يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين يلعب على خانات ملونة عديدة وعليه تحريك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد في النرد ، وكلما تحط مركبته على خانة يسحب غريمه بطاقة تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الإجابة على سؤال وارد في البطاقة ، علماً بأن الجواب الصحيح مطبوع عليها إلى جانب السؤال ، وتحتوى البطاقات على ستة آلاف سؤال متتقة من الجغرافيا والتاريخ والسياسة والعلوم والرياضة والفنون والطبيعة وعالم التسلية . وقد أطلق واضعو اللعبة الأمريكيان على لعبتهم اسماً يوحى بأنها في عداد الهوايات أو الانشغالات التافهة القليلة الأهمية والجدية ، وذلك لتطمين الجمهور وإفهامه أن الأسئلة ليست من الوزن الثقيل ، وإنما هي خفيفة ومسلية ، ومثالية تمضية أوقات الفراغ مع الأصدقاء .

بيد أن العري الذي يطلع على الأسئلة في النسخة الإنجليزية الأصلية (وهي التي ترجمت عنها النسخ الأخرى) سيجد أن عدداً لا يستهان به من هذه الأسئلة يتوخى ترويح أفكار مسبقة ذات طابع تلقيني بحث ، خاصة فيما يتعلق

(١) انظر مقال فارس المصوري : «عصرية جديدة ، تحليل في الدوافع والأهداف» مرشح سبق ذكره .

بالأسئلة المتصلة بإسرائيل وبالعرب ، فبالنسبة لاسرائيل نعر على الأسئلة التالية :

- ما هي عاصمة إسرائيل ؟ الجواب : القدس .
- ولا يذكر واضعو اللعبة أن الدولتين الوحيدتين اللتين اعترفتا بالقدس عاصمة شرعية لاسرائيل هما كوستاريكا وليبيريا ، وأنهما فعلتا ذلك تحت وطأة الضغط الأمريكي الشديد .
- من هو أول رئيس وزراء اسرائيلي ؟ فى أى البلاد يقع ميناء حيفا ؟ كم عدد الأشرطة فى علم إسرائيل ؟
- كم عدد الرهائن الذين قتلوا فى غارة عنتيبي ؟ كم عدد الكوماندوز الإسرائيليين الذين قتلوا فى غارة عنتيبي ؟
- أين اختطف الكوماندوز الإسرائيليين ادولف انجلمان ؟ على أى عين كان موسى دايان يضع عصابته ؟
- كم عدد الرياضيين الذين قتلوا أثناء دورة الألعاب الأولمبية فى ميونيخ ؟
- أى رئيس وزراء إسرائيل قضى سنتين فى معسكر اعتقال روسي ؟ الجواب : مناحيم بييجين .
- ؟ .. ! الخ .
- وفى مقابل هذه الأسئلة الموجهة التى تدور حول جغرافية إسرائيل وتتناول زعماء إسرائيل وبطولات إسرائيل نجد حفنة من الأسئلة تتعلق بالعرب :
- بأى يد لا يأكل البدوى الذى يقطن الصحراء ؟
- كم عدد الأنهار الموجودة فى العربية السعودية ؟ الجواب : لا توجد أنهار .
- ما هي الدولة العربية الوحيدة التى بلا صحراء ؟ الجواب : لبنان .
- أى دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج العربى ، الجواب : الكويت .

نرى في هذه الأسئلة عزفاً واضحاً على الفكرة العنصرية القديمة التي تؤكد على صحراوية الوطن العربي وبداوة الفرد العربي ، واستكمالاً لهذه الصورة السلبية التي ترسمها الأسئلة للشخصية العربية ، نجد أسئلة أخرى تضيف تشويهاً للنضال الفلسطيني وإلى هذه الملاحم الكثيرة للعرب :

— من هو الشخص الوحيد الذى ألقى كلمة فى منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟

وطبعا الجواب معروف سلفاً ، فالشخص المقصود هو « ذلك الارهابى السيئ الصيت » ياسر عرفات الذى يوضع « كإرهابى » فى مقابل « المناضل » فى سبيل الحرية والديمقراطية الذى سجنه الروس فى معسكرات الاعتقال القاسية : ميناجيم بيجن !

ومن بين ستة آلاف سؤال تتناول شتى المواضيع فى التاريخ والجغرافيا والفنون والسياسة والعلوم والرياضة والطبيعة ، الأسئلة التى ذكرناها هى الوحيدة المتعلقة بالعرب والمسلمين . وليس من باب الصدفة طبعاً أن يفوز « ليون أوريس » مؤلف روايتي « الحاج » و « الخروج » اللتين أدانتا العرب بأبشع الصفات — كما سبق وأن بينا — بحصة الأسد بين أسئلة « انشغالات تافهة » فإنه الكاتب الوحيد الذى يتناوله أكثر من سؤال واحد ، وهو شرف لم ينله أدباء من وزن تولستوى وجوته وهوميروس وسرفانتيس ، رغم ما يشهه الإجماع على ضحالة موهبته الأدبية . وطبعاً أهم سؤال يدور حول كتب أوريس :

— أية رواية من روايات ليون يوريس تتناول مولد إسرائيل ؟

لاشك أن خطورة « انشغالات تافهة » تكمن فى أنها تعمل فى الاتجاه المعادى المدرس والذى يرمى إلى النيل من سمعة العرب والمسلمين على صعيد العالم ، حيث صدرت هذه اللعبة فى نسخ فرنسية وأسبانية وألمانية وإيطالية وبرتغالية ويابانية وهندية إلى جانب النسخة الإنجليزية الأصلية . وفى كل نسخة من هذه النسخ التى تباع بالملايين تتكرر الصورة المعيبة للشخصية العربية ، صورة الشخصية « صحراوية التى تحيا وسط أجواء الإرهاب والاعتقال والتخلف الحضارى ،

ولاشك أن جيلاً كاملاً سينشأ في العالم بشقيه الغربى والشرقى وهو على إيمان تام بأن القدس هى العاصمة التاريخية الشرعية المعترف بها دولياً لدولة إسرائيل الديمقراطية المحبة للسلام !!

على أن الأمر لا يتوقف عند حد خطورة الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ، ولكنه يتعداها لما هو أدهى وأكثر خطورة من ذلك ، فاستمرار بث الصور السينائية والتليفزيونية المضادة للعرب يحمل في طياته خطر تحطيم الجانب الحقيقى للشخصية العربية في الوجدان الغربى بصفة عامة والأمريكى بصفة خاصة ، وكما قلنا فإن المشاهد الغربى أو الأمريكى العادى لا يقوى على التمييز بين الصورة التليفزيونية أو السينائية ، والصورة الواقعية ، ومرد ذلك إلى أن التليفزيون — وكما يقول « جورج جيريز » عميد كلية وسائل الاتصال في جامعة بنسلفانيا — يقوم الآن ، أكثر من أى مؤسسة ثقافية أخرى ، بتشكيل المعايير والقيم السلوكية الأمريكية ، وكلما زادت مشاهدتنا للتليفزيون زادت معتقداتنا السائدة بما يقوله التليفزيون عن هذا العالم الخارجى على الرغم من أن معظم ما يعرض هو محض افتراء أو تضليل إعلامى دعائى وما يقال عن التليفزيون ، يقال ، بكثير من التحفظ ، على السينما التى تؤثر مع التليفزيون والصحافة في شخصية العربى لتحيلها إلى « مارد مخيف » ترتد عن تأييد وجهة نظره جميع القوى السياسية العليا وممثليها السياسيين الذين لن يحملوا أية مشاعر إيجابية نحو العرب اعتماداً على الانطباعات التى تركتها وسائل الإعلام الصهيونية في القاعدة الجماهيرية والتى تعبر عنها — بالتالى عملياً — المواقف العدائية المضادة للعرب داخل الكونجرس الأمريكى والتى تصل إلى قمته حين يكون الأمر متعلقاً بصفقة سلاح مبرمة مع إحدى الدول العربية ، وتنحدر إلى أقلها حين يكون الأمر متعلقاً بمؤتمر صحفى يُزعم أى عضو بالكونجرس عقده ، اذ لا يتم ، عن عمد ، دعوة أى صحفى « عربى — أمريكى » أو أمريكى ذا أصول عربية ، لحضور مثل هذا المؤتمر ، وبالتالي حجب جانب كبير من المعلومات الصحفية — الغير قابلة للنشر ، وفقاً لرغبة المتحدث — عن الإعلام العربى الذى يبقى تابعاً لما تلوّكه الاقلام الصحفية الغربية .

إن الأخطار التي يمكن أن تنشأ عن تحطيم الجانب الحقيقي بأسطورة فكرة « العربي البشع » لا تتوقف عند هذا الحد ، حد الارتداد عن تأييد وجهة النظر العربية ، ولكن تمتد لتصل إلى فقد التعاطف مع هذا البشع ، الأمر الذي يمهّد لتقبل توجيه الضربات الانتقامية ضده ، وهي ضربات مباحة يراد منها — انطلاقاً مما تركته وسائل الإعلام « الأمريكية — الصهيونية » في وجدان المواطن الغربي — دهس هذه « العقارب » المدعوة عرباً ، أو كبح جماح هذه « الخنازير » المسماة عرباً ، أو سلسلة وتقييد حركة هذا « الغول » الملقب بالعربي ، وطبعي أن تكون دولة إسرائيل هي الخولة بتأديب هذا « المارد » وردعه وإيقافه عند حده ، ونفهم عند هذا الحد أن « فقدان التعاطف » تحول إلى « كراهية » !

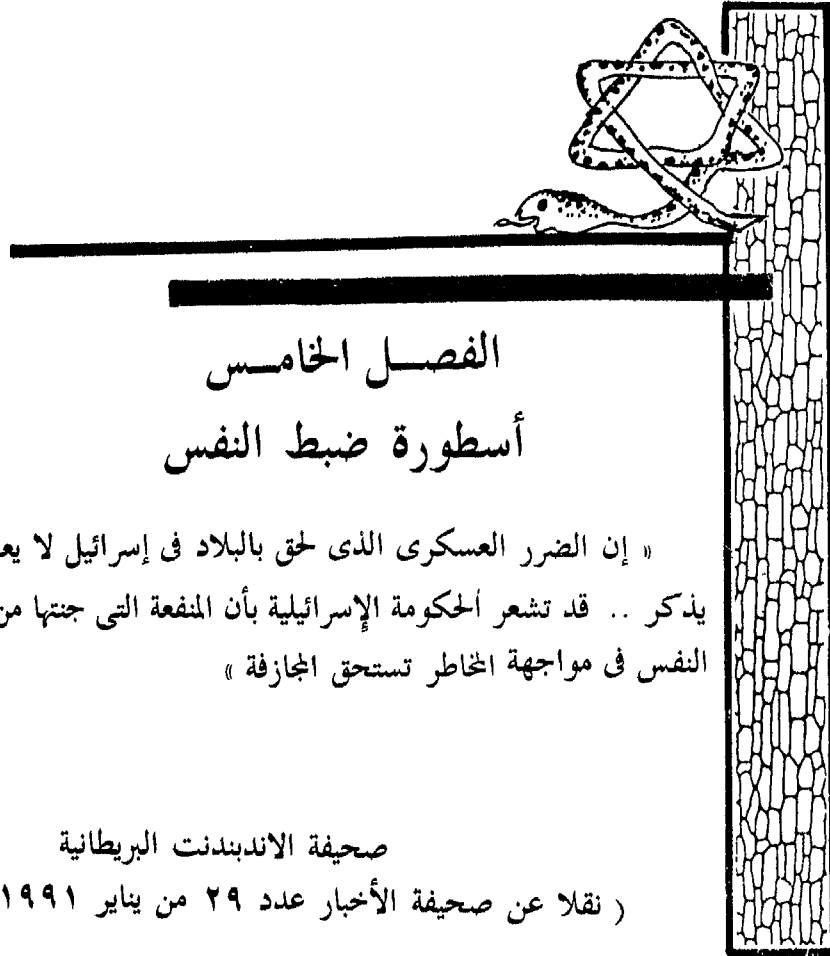
وهكذا فإن المواطن الغربي أو الأمريكي الذي شاهد مادة دعائية مضادة للعرب على شاشة السينما ، أو التلفزيون ، أو استمع إلى إحدى المواد الإذاعية المضادة للعرب ، أو قرأ مقالاً عن هؤلاء العرب الهمج : عندما يتصفح جريدته في اليوم التالي ، ويقرأ خبراً عن قيام إسرائيل بغارة ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين بجنوب لبنان ، أو أماكن تجمعهم بالأرض المحتلة — وتسمى في أمريكا بالأرض المأسورة — أو ضد هذه الدولة العربية أو تلك ، فإنه سيكون ممهداً مقدماً لتقبل هذا الخبر في إطار فهمه السابق لصورة العرب في الشرق الأوسط : همجيون ، بربريون ، متأخرون ، يستحقون التأديب بين وقت وآخر ، وهذا هو ما سعت الدعاية الصهيونية إلى تأكيده وتثبيته حين اخترعت إسطورة « العربي القبيح » !



● أسطورة ضبط النفس

- صواريخ صدام حسين استهدفت جر رجل إسرائيل إلى الحرب .
- إسرائيل اعتمدت مخططاً ذكياً يتخطى ردود الأفعال السريعة والعشوائية .
- * في حرب الخليج استغلت إسرائيل الرغبة الأمريكية والغربية في إبعادها عن الحرب .
- لم تكن إسرائيل تستطيع الرد على العراق ولكن ادعت أنها استجابت للغرب .
- * المنشار اليهودى يعرف من أين تؤكل الكتف الغربية والأمريكية .
- مكاسب إسرائيل السياسية والمادية والعسكرية والمعنوية من إدعائها ضبط النفس .
- * دول أوروبا تتسابق فى منح إسرائيل معونات مادية وعسكرية .
- أمريكا تدعم إسرائيل بما يزيد عن ١٣ مليار دولار .
- * رغم المعونات الأمريكية ، إسرائيل تنتقد أمريكا وتسفها بشكل مخز .
- * الصواريخ العراقية أعطت إسرائيل مكاسب داخلية كثيرة .
- اسرائيل هى المستفيد الأول فى حرب الخليج والرابح دون أى مشاركة .





● أسطورة ضبط النفس

عود على بدء ، فقد ذكرنا « أن الإعلام الصهيوني والغربي ، وقف إلى جانب إسرائيل ، وبقوة ، أثناء حرب الخليج ، وذلك باستغلال العدوان العراقي عليها ، بهدف إظهار أنها تضحي بعدم الرد على الصواريخ العراقية حتى لا تضر بالتحالف الغربي والعالمي ضد العراق ، وأوضح أن إسرائيل تضبط نفسها قهراً وغصباً ، وأنها لو ترك لها الأمر لكانت ترد على الصواريخ العراقية ، ولكنها تضحي من أجل الرغبة الأمريكية » .

فما هي قصة الصواريخ العراقية ؟

وهل حقاً إن إسرائيل قد ضبطت نفسها ؟ أم أنها عملت وفق استراتيجية صهيونية خبيثة ؟

وهل كان باستطاعة إسرائيل أن ترد على الصواريخ العراقية ؟

وما هي المكاسب التي جنتها إسرائيل من وراء إظهار ضبطها للنفس المزعوم أو من جراء أسطورة الاستجابة « القهرية » للرغبة الأمريكية في عدم الرد على صواريخ العراق ؟

بداية قصة الصواريخ كان في الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠ حين غامر الرئيس العراق — الذي نكبت بتصرفات أمثاله الأمة العربية — صدام حسين ، واحتل دولة الكويت تحت عدة دعاوى لا يصمد أيّاً منها أمام مبادئ الشرعية الدولية ، تلك الشرعية التي أكدها مجلس الأمن حين طالب بالانسحاب الفوري والعاجل للقوات العراقية من دولة الكويت . في وقت أسرع فيه الولايات المتحدة الأمريكية بإعلانها عن توجه قوة بحرية إلى الخليج ، وقرارها إرسال قوات وطائرات قتالية .

ورغم أن مجلس الأمن بدأ في إصدار قرارات عقابية ضد العراق ، منها حظر

التجارة معها في جميع السلع باستثناء الأدوية والسلع الغذائية لأسباب إنسانية ، إلا أن العراق — وبحسابات غبية — أعلن رسمياً ضم دولة الكويت باعتبارها إحدى محافظات الجنوب العراقي ، محاصراً بـ ١٢ دولة عربية ، من بينها — بل من أهمها — مصر ، إضافة إلى بريطانيا وفرنسا وعدة دول أخرى إلى إرسال قوات برية وبحرية وجوية إلى الأراضي السعودية ، لحمايتها من جهة ، ولتحرير الكويت من جهة ثانية ، وعرفت قوات هذه الدول باسم « القوات المتحالفة » ومع أن مثل هذه القوات المتحالفة كانت تشكل أكثر قوات العالم تسليحاً وكفاءة ، إلا أن العناد والغباء العراقي ، جعلتها تعلن عن احتجاز جميع الرعايا الأجانب لديها ، وذلك لاستخدامهم كدروع بشرية ضد هجوم هذه القوات ، الأمر الذي أثار انتقاد جميع شعوب العالم ، وأعطى للعالم قناعة على أن العراق تستحق كل ما سيجرى لها .

وراح مجلس الأمن يصدر العقوبات ضد العراق ، الواحدة وراء الأخرى ، ثم ترك له فرصة أخيرة هي انتهاء ليلة الخامس عشر من يناير بتوقيات نيويورك ، فإذا لم ينسحب حتى هذا الموعد فإن القوات المتحالفة ستتحرك لتحرير الكويت وطرده القوات العراقية منها . وكعادة الحسابات الغبية لصدام حسين ، فقد رفض الانصياع لجميع مبادرات السلام التي عرضت عليه خلال فترة المبادرات السلمية فيما قبل ١٥ من يناير ١٩٩١ ، فرفض جميع الوساطات الدولية التي تمت حتى من قبل سكرتير الأمم المتحدة ، واكتفى فقط بإطلاق سراح الرهائن الأجانب ، على اعتبار أن قوات التحالف جاءت للتهويش فقط .

وجاء السادس عشر من يناير ، وانتهت المهلة المقررة من قبل مجلس الأمن ، وحبس العالم أنفاسه حتى الثانية من صباح السابع عشر — بتوقيات القاهرة — حين هبت مئات الطائرات المتحالفة في ليلة أسود من سواد أسود ليلة شهدتها الأمة العربية من قبل ، وبدأت في قصف المواقع العسكرية والاستراتيجية العراقية في موجات متلاحقة سبقها أكبر عملية خداع وتشويش إلكتروني استهدف تجميد الدفاعات الجوية العراقية ، في التاريخ ، ومع كل طلعة جوية حيث تعدى رقم الطلعات المائة ألف طلعة ، كانت الأسافين تدق في حقل القدرة العربية ، وبدأت هذه القدرات تنهوى وتنحدر .

عند هذا الحد ، تصرف الرئيس العراقي ، وبحسابات حمار ، تصرفاً اعتمد على حسابات خاطئة ، حيث حاول أن يحول الصراع من صراع عراقى — دولى ، (حيث شاركت فى قوات التحالف قوات دولة عالمية) إلى صراع عربى — إسرائيلى وذلك بحرق رجل إسرائيل فى الحرب حتى تجد قوات التحالف نفسها فى مأزق شديد نتيجة رفض الدول العربية المشاركة فى حرب تشارك فيها إسرائيل ضد دولة عربية .

أما كيف يحرق صدام حسين رجل إسرائيل فى الحرب ؟ فقد بدأ وقبل حدوث الضربة الجوية الأولى فى التهديد بمهاجمة إسرائيل بنوع جديد من الصواريخ ، وبحرق نصف إسرائيل . وبالطبع لم يسكت الغرب أمام هذه التصريحات « النارية » — والتي ثبت فيما بعد أنها مجرد تصريحات « عنصرية » — فقابلها بالاستنكار الشديد وبشن حملة نفسية ضد العراق ، مع التوجه إلى إسرائيل لطلب عدم تدخلها فى أزمة الخليج ، حيث إن من شأن هذا التدخل أن يصيب التحالف الدولى بأضرار جسيمة ، خاصة وأن مصر ممثلة فى شخص الرئيس مبارك قد أعلنت صراحة بأنها ترفض أن تتدخل إسرائيل فى الحرب ، وأنها سوف تتخذ موقفاً مخالفاً فى حالة تدخلها .

ولكن ماذا إذا نفذ صدام حسين تهديداته بحرق نصف إسرائيل ؟ مثل هذا السؤال وجهته الدبلوماسية الصهيونية إلى دول التحالف ، فتكفلت الدول الثلاث الكبرى : أمريكا — بريطانيا — فرنسا ، بالرد عليه وطمأنة إسرائيل بأنهم سوف يتصرفون^(١) ، وأن ما على إسرائيل سوى أن تضبط نفسها ولا تقوم بالرد الفورى ، وأن تتحلى برباطة الجأش إزاء الهجمات الصاروخية العراقية المتوقعة .

ومع بدء الضربة الجوية للتحالف ، راهن صدام حسين على حساباته الخاطئة وبدأ فى ضرب إسرائيل بصواريخه بعيدة المدى « العباس » وهى فى الأساس صواريخ سوفيتية الصنع ، بالاستيكية النوع ، من طراز (سكود — بى) أرض

(١) نذكر فى هذا الصدد تعهد الرئيس بوش لإسرائيل بحمايتها من أى هجوم عراقى محتمل ، بشرط أن تنأى نفسها بعيداً عن التورط فى حرب الخليج إذا اندلعت ، وذلك بعدم شن حرب وقائية ، والامتناع عن الرد على أى هجوم عراقى وترك هذه المهمة للأمريكيين (الأخبار ١٣/١/١٩٩١) وهو ما سيتم توضيحه لاحقاً .

أرض ، قام خبراء ألمان بتطوير مداها وذلك بالتقليل من حجم المتفجرات التي يمكن أن تحملها^(١) ، مما قلل كثيراً من قيمتها الاستراتيجية العسكرية ، وحولها إلى ما يشبه بمب الأطفال ، قياساً إلى قوة غيرها من الصواريخ ، أو جعل منها على حد وصف الرئيس مبارك صواريخ سياسية تحدث فرقة إعلامية أكثر منها فرقة تدميرية .

هنا بدأت إسرائيل في تنفيذ مخططها الاستراتيجي ، الذي يتخطى ردود الأفعال السريعة العشوائية إلى النظر — بعين الاعتبار إلى المصلحة بعيدة المدى للدولة الصهيونية .

كان المخطط بسيطاً في إظهار تشدها إزاء الهجمات الصاروخية العراقية ، والتهديد بالرد على هذه الهجمات وعدم الاستجابة لنداءات قوات التحالف الغربي ، ثم مطالبة دول التحالف الغربي وغيرها بثمن ضبطها لنفسها ، وبثمن الاستجابة « قهراً » للرجة الأمريكية والبريطانية والفرنسية بعدم الرد على صواريخ العراق .. أى أنها تبحث عن ثمن تضحية هي في الأساس وهمية .. أما لماذا هي وهمية ، أو أسطورية ؟ فهذا هو ما سنبينه عقب الإشارة إلى الطرق التي اتبعتها إسرائيل لتأكيد أنها متشددة في الرد على الصواريخ ، وإظهار أن خسائرها من جراء « بمب الأطفال العراق » لا يمكن احتسابها أو تعويضها والإشارة إلى الأسباب التي جعلتها لا تمارس الرد العملي على هذه الصواريخ رغم التهديد الفعلي بالرد .. وقبل الإشارة إلى : المكاسب المادية والمعنوية والعسكرية والسياسية التي جنتها إسرائيل من تمرير أسطورة ضبط النفس عن طريق إعلامها الإسرائيلي والإعلام الصهيوني الغربي . وهي مكاسب جد كثيرة . وتبدأ بالإشارة إلى أهم ملامح المخطط الاستراتيجي إبان حرب الخليج :

أولاً : التأكيد على أن إسرائيل قادرة على الرد ، بأكثر من طريقة ، من بينها تدمير الصواريخ العراقية نفسها في الجو ، حيث أعلن دان شمرون ، رئيس الأركان الإسرائيلي أن لدى إسرائيل القدرة على اعتراض وتدمير الصواريخ العراقية « أرض — أرض » وأنها — أى إسرائيل — قامت خلال الأشهر القليلة الماضية (١) لا تستطيع الصواريخ أن تحمل أكثر من ١٥٠ كيلو جراماً من المتفجرات ، بما لا يصل إلى حجم قنبلة متوسطة الحجم زنتها ألفا رطل .

بإنتاج وتطوير أسلحة قادرة على أداء هذه المهمة^(١) ، يقصد الصاروخ « جيتس » الذى سنتحدث عنه لاحقاً ، والذى لم يخرج إلى حيز الوجود بعد ! ، والصاروخ « باراك - ٢ » وهو صاروخ لم يظهر له حس طوال فترة الحرب .

والطريقة الأخرى هى الهجوم على العراق ، باستخدام « الذراع الطويلة » — سلاح الطيران — فراح الإعلام الإسرائيلى يزعم بأن يده الطويلة تستطيع أن تصل إلى كل مكان ، فقد وصلت من قبل إلى بغداد لقصف المفاعل النووى العراقى ، وإلى تونس لقصف مقر منظمة التحرير الفلسطينية بالعاصمة تونس .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملحمة الجوية التى قال الإعلام الإسرائيلى عقب انفجار المفاعل العراقى ، أنه شارك فيها طائرات من طراز « إف - ١٥ — وإف - ١٦ » قطعت آلاف الأميال متجنباً طائرات الأواكس السعودية ، ومخرقة حدود دول ثلاث : الأردن — السعودية — العراق ، حيث استطاعت تحييد أجهزة الرادار العراقية ، وانقضت على المفاعل النووى العراقى جنوب بغداد لتصيبه بدقة بالغة ، ثم تعود بعدها آلاف الأميال بعد التزود بالوقود فى الجو ، وهى ملحمة انتجت عنها بعد ذلك الأقلام والكتب التى كان من أهمها كتاب « دقيقتان فوق بغداد » ، هى ملحمة يمكن أن تكون كاذبة ، والأقرب إلى المنطق والحقيقة هو أن المفاعل النووى العراقى قد تم تدميره من الداخل بواسطة عملاء عرب أو يهود أو أجانب ، وإن قصة الطائرات تلك — ولم أجد أثناء تلك الأحداث وكنت بالعراق وقتها من رأى أى طائرات — لم تكن إلا لتغطية هذا العمل ولتضليل المسؤولين فى العراق ، ولتثبيت — كما يقول الأستاذ/ محمد عبد المنعم^(٢) — صورة « السوبرمان » الإسرائيلى فى أذهان الرأى العام العربى المحروم دائماً من الحقائق ومن الإعلام الموضوعى البعيد عن الأهواء .

أما بخصوص قصف الطائرات الإسرائيلية لمقر إقامة منظمة التحرير الفلسطينية بتونس ، فتجدر الإشارة إلى أن هذه الطائرات قد تحركت من على متن إحدى حاملات الطائرات الأمريكية بالبحر المتوسط أى أنها لم تمتد يدها من إسرائيل ،

(١) الأخبار عدد ١٣ يناير ١٩٩١ .

(٢) مقال « حجاب بوب وود وارد وأناسطير ويليام كيسى » الأهرام عدد ١٩ أكتوبر ١٩٨٧ .

ولكن مد غيرها يده لها بالمساعدة لتحقيق أهدافها .. والنتيجة أن يد إسرائيل ليست طويلة كما تدعى وكما حاول الإعلام الإسرائيلي أن يزعم قبل بدء حرب الخليج .. على أن إسرائيل لم تنس قبل بدء الحرب ، وقبل الأيام الأخيرة على انتهاء المهلة المحددة ، أن ترفع حالة التأهب بين قواتها المسلحة ، وخصوصاً القوات الجوية والتخبرات ؛ والدفاع المدني ، وأن تذكر أنه في حالة اشتراك إسرائيل في الحرب ، فإن العبء الأكبر سيقع على سلاح الجو^(١) .

ثانياً : التركيز على التصريحات الإعلامية التي يدلى بها مسؤولون إسرائيليون يحاولون أن يؤكدوا للعالم ، أن إسرائيل مستعدة للتورط في حرب الخليج ، أو أن صبرها قد نفذ إزاء ما تتعرض له من خسائر ، أو التعويل على رغبتها في التملص من القيد الأمريكي الذي يطالبها بعدم الرد .. وفي هذا الصدد نذكر التصريحات التالية :—

• « لقد أعلننا صراحة وأخطرنا الولايات المتحدة بأن إسرائيل سوف ترد إذا تعرضت للهجوم .. ولقد تعرضنا للهجوم بالفعل » .

« موشيه ارينز » وزير الدفاع الإسرائيلي

• « إسرائيل سترد فوراً على أى هجوم تتعرض له »

« اريل شارون » وزير الإسكان الإسرائيلي

• إن الرد الإسرائيلي يجب أن يصيب إصابة بالغة قدرة العراق على إطلاق صواريخ أخرى »

« إسحاق رابين » وزير الدفاع الإسرائيلي السابق

• « لم يعلن مجلس الوزراء الإسرائيلي متى سترد إسرائيل على العدوان ، أو كيف سترد ، ولكن من المهم أن يعلم العالم كله أن إسرائيل سترد بلاشك ، ومن حقها اتخاذ ما تراه ضروريا لحماية مواطنيها والحكومة والجيش الإسرائيلي لن يسمحوا باستمرار هذه المقامرة اليومية التي يتعرض لها المواطنون في إسرائيل »

« منيامين متناياهو » نائب وزير خارجية إسرائيل

(١) الأهرام عدد ١٠ يناير ١٩٩١ .

• « الهجوم العراقي لا يمكن أن يمر دون عقاب ، وإسرائيل ستختار الوقت والأسلوب الملائم للرد على الهجمات العراقية »

« دان مريدور » وزير العدل الإسرائيلي

• « الهجوم العراقي بالصواريخ جعل الرد الإسرائيلي أمراً محتوماً ، إننا في حالة حرب بالفعل »

« ايهود اولمرت » وزير الصحة الإسرائيلي

• « إسرائيل سوف ترد على الهجمات الصاروخية العراقية ، ويجب أن يفهم أن لإسرائيل الحق في الدفاع الشرعي عن نفسها وأنها وحدها هي التي تقرر أسلوب الرد »

« آفي بارنر » المتحدث باسم رئيس الوزراء الإسرائيلي

• « لابد من تأكيد حق وواجب إسرائيل في اتخاذ الخطوات اللازمة من أجل الدفاع عن نفسها »

« ديفيد ليفي » وزير الخارجية الإسرائيلي

• « إن إسرائيل تمتلك القدرة ولها الحق في الرد على العراق ، إننا نحتفظ بقرارنا المستقل ، ونحن متوكلون شعباً وأمة فيما يتعلق بمسألة الأمن عندما يكون هناك تهديد عسكري أو مشكلة عسكرية »

« شيمون بيريز » زعيم حزب العمل الإسرائيلي المعارض

• « إن الهجوم العراقي يوضح نوع الخطر الذي تتعرض له إسرائيل باقتناعها عن توجيه ضربة وقائية ضد العراق »

« يورام اريدو » المندوب الإسرائيلي لدى الأمم المتحدة

• « إن إسرائيل دفعت أغلى ثمن بين جميع دول الشرق الأوسط باستثناء الكويت ، في الحرب ضد العراق ، بعد تعرضها للصواريخ العراقية »

« زلمان شوفال » سفير إسرائيل في الولايات المتحدة

• « إن المسئولين الإسرائيليين يأملون في أن يتمكنوا من القيام بعملية تقضي على هذا الخطر القادم من العراق »

« يهودا باراك » نائب قائد القوات المسلحة الاسرائيلية .

• « أن إسرائيل لديها رغبة صريحة في دخول الحرب ضد العراق ، ولكنها مضطرة للابتعاد حتى تضمن الانتصار لقوات التحالف الدولي »

« إسحاق شامير » رئيس وزراء اسرائيل

• « إن إسرائيل مستعدة لخوض الحرب ضد العراق مع القوات المتحالفة إذا وجد لها دور »

« راديو إسرائيل » بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٩١ .

ثالثاً : الإشارة عن طريق مصادر دولية ذات صلة وثيقة بها إلى الاحتمال الكبير لتورط إسرائيل . في الحرب ، وفي هذا الصدد ننقل ما ذكرته « هيئة الإذاعة البريطانية (بي . بي . سي) من أن مشاورات مكثفة تجري حالياً بين القدس وواشنطن ولندن لاتخاذ قرار حول الاهداف التي ستضربها إسرائيل في العراق انتقاماً للهجوم العراقي على التجمعات السكنية في إسرائيل بالصواريخ^(١) وماذكرته شبكة (سي . ان . ان) نقلاً عن مصادر وزارة الدفاع الأمريكية عن أنه من الصعب توقع امتناع إسرائيل عن القيام برد انتقامي ضد العراق الصاروخي الجديد عليها^(٢) وننقل أيضاً ما رددته وكالات الأنباء من إسرائيل قد رفضت خلال زيارة « لورنس ايجلبرجر » مساعد وزير الخارجية الأمريكية لإسرائيل الالتزام بعدم القيام برد انتقامي ضد العراق ، مما يحمل في طياته احتمالاً لهذا الرد الوقائي في أي لحظة .

رابعاً : النقاش العلني لموضوع الرد على الصواريخ العراقية ، سواء على مستوى القمة فيما يسمى بالحكومة المصغرة ، أو داخل الكنيست الإسرائيلي ، مع أن إسرائيل كانت تحرض دائماً على إحاطة مثل هذه القضايا الأمنية بأقصى

(١) جريدة الجمهورية عدد ٢٤ يناير ١٩٩١ .

(٢) الأهرام عدد ٢٠ يناير ١٩٩١ .

درجات السرية ، مما يعطى للعالم الخارجى فكرة طازجة عن إمكانية هذا الرد ، وعن احتمال حدوثه بين لحظة وأخرى .

خامساً : التضخيم من خطة الانتشار الواسعة التى قام بها الجيش الأردنى تحت اسم « خطة القدس » وإبراز التصريحات العراقية الهادفة إلى إزالة إسرائيل من وجه الأرض ، مما يعطى لإسرائيل ، مبرراً مشروعاً للقيام بالعمل الانتقامى بدعوى الدفاع المشروع عن النفس ، كما يمهّد لها الطريق لاحتلال الأردن وترحيل فلسطينى الضفة الغربية إلى شرقها ، وفى هذا الصدد نقل التراشق الإعلامى بين الجنرال « ناشمان شاي » قائد القوات الجوية الإسرائيلية ، وبين ولى عهد الأردن ، حيث صرح الأول بأن بلاده وهى تستعد لحرب طويلة لا ترى مانعاً من عبور الطائرات أو الصواريخ الإسرائيلية أجواء الأردن للرد فى الوقت المناسب على العراق ، فيرد ولى عهد الأردن ، الأمير حسن ، بأن الأردن لم توقف الصواريخ العراقية لعدم وجود أى إمكانيات لديها للتصدى إلى تلك الصواريخ ، فيرد الجنرال ناشمان بأن عدم وجود وسائل مضادة للصواريخ بالأردن لا يمنع على الأقل من إظهار الاحتجاج وإدانة وانتهاك حرمة أجواء الأردن ؟ .. والجنرال ناشمان يريد بهذا ان يقول للأردن ، إن إسرائيل تحتفظ بنواياها فى الرد المناسب على العراق ، حتى وإن تم ذلك على حساب الاردن^(١) .

سادساً : رفض الكشف عن مواقع سقوط الصواريخ العراقية ، ولا عن حجم الخسائر الحقيقية التى أحدثتها الصواريخ ، وذلك لا بهدف عدم إعطاء العراق أية أدلة على مدى فعالية هجماته الصاروخية ، ولكن بغرض التعمية الإعلامية عن حجم الخسائر وبالتالى إمكانية مخاطبة المنظمات الإنسانية بشأن هذه الضحايا التى لا ذنب لها فى الحرب ، مما يؤهلها للعزف على وتر ، « العامل الانسانى » .

سابعاً : التهويل من القيمة الاستراتيجية للصواريخ العراقية ، وتأكيد أنها

(١) وفى هذا الصدد تجدر الإشارة إلى الحرب النفسية التى مارستها إسرائيل ضد الأردن ، حين كانت تطالب الإسرائيليين المقيمين فى المناطق الواقعة على الحدود بين إسرائيل والأردن بعدم التوجه إلى العمل أو الحقول ، مما يعطى انطباعاً بأن إسرائيل تعتزم — وكان هذا يعم لأكثر من مرة — القيام بعمل انتقامى ضد العراق عن طريق الأردن

يمتد أن تحمل رؤوساً نووية أو غازية وأن الصواريخ التقليدية التي سقطت على عدة أماكن خاصة تل أبيب وحيفا ، إنما كانت توطئة لاستخدام أنواع غازية أو نووية من الصواريخ العراقية ، مع أن الصواريخ العراقية التي تشبه بمب الأطفال ، بالمقارنة لأنواع المتفجرات الأخرى ، إنه لا يمكن لها حمل رؤوس ، لا غازية (كيميائية) ولا نووية ولا غير ذلك من أسلحة الدمار الشامل .

كانت تلك جوانب من الخطة الاستراتيجية التي اتبعتها الحكومة الاسرائيلية في حرب الخليج ، وهي خطة تكتيكية أخذت بنصيحة بنيامين نتانيا هو الذي صرح بأن « أى قرار يجب يتخذ نتيجة للفكر وليس للعاطفة » . وواضح منها أن إسرائيل وقد كانت تعلم مسبقاً أن صدام حسين سوف يلجأ لاستخدام الصواريخ بعيدة المدى ضدها اذا ما نشب قتال مسلح ضده في منطقة الخليج ، قد أعدت عدتها مقدماً لتمهيد السبيل لتحويل لإصابة بعض أهدافها بصواريخ — نقلت لها أجهزة مخابراتها ، وأجهزة المخابرات الغربية ، أنها صواريخ بدائية ، ولن يترتب عليها اضرار مخيفة أكثر من مجرد إثارة الرعب في الشارع الإسرائيلي لعدة ساعات — إلى مكاسب سياسية ومعنوية ومادية وعسكرية سوف يتم حلها من الضروع الغربية اعتماداً على أن هذه « الضروع » ترغب وبشدة في بقاء « الثور » الإسرائيلي بعيداً عن « حلبة » الصراع الخليجي ، وهي رغبة شدد عليها كثيراً الرئيس الأمريكي جورج بوش حين تعهد لإسرائيل بحمايتها من أى هجوم عراقي محتمل ، شريطة أن تنأى بنفسها بعيداً عن التورط في الحرب اذا ما اندلعت ، وذلك بعدم شن حرب وقائية ، والامتناع عن الرد على أى هجوم عراقي ، وترك هذه المهمة للامريكيين !

كما شدد عليها كذلك حين أرسل نائب وزير خارجيته « لورنس إيجلبرجر » في زيارة سريعة إلى إسرائيل لمطالبتها بعدم الرد على الصواريخ العراقية ، إضافة إلى الاتصالات التليفونية المتتالية بينه وبين اسحاق شامير حيث يطلب فيها من الأخير مزيداً من ضبط النفس .

بل أن هذه الرغبة أكدها أيضاً جون ميجور رئيس وزراء بريطانيا الذي دافع عن حق إسرائيل في الدفاع عن النفس ، ولكنه يطلب منها ضبط النفس في

هذه الظروف الدقيقة ، كما سبق وان أكدتها « مارجريت تاتشر » رئيس وزراء بريطانيا السابق ، وأكدها كذلك توم كينج وزير الدفاع البريطاني الذي حذر إسرائيل من مغبة التدخل في أزمة الخليج لأن هذا من شأنه أن يصيب التحالف الدولي بأضرار جسيمة .

كذلك أكدها الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميتران » حين أعرب عن إدانته الشديدة للصواريخ العراقية وأشار إلى أن « أمن إسرائيل » من المسائل الأساسية للسياسة الفرنسية ، وطلب من الرئيس الاسرائيلي « حاييم هيرتزوج » التمسك بضبط النفس .

كما أكد هذه الرغبة وزير الدفاع الفرنسي « جان بيير شيفينان » حين طالب إسرائيل وبشدة أن تستمر في موقفها بعدم الرد ، على الرغم من حقها في الدفاع عن نفسها .

أيضا فإن مثل هذه الرغبة أبدتها « جيرهارد ستولتبرج » وزير الدفاع الألماني حين طالب إسرائيل بعدم الرد على الهجمات العراقية حتى لا تضعف التحالف الدولي ، حيث أن بقاء القوات الاسرائيلية خارج نطاق العمليات العسكرية من شأنه تقوية موقف القوات المتحالفة والعربية .

وقد وردت هذه الرغبة أيضاً في طلبات « بيريز دي كويار » السكرتير العام للأمم المتحدة ، حيث أعرب عن أمله في أن تحجم إسرائيل عن الرد على هذه الضربات العراقية وأن تتحلّى بالصبر قدر الإمكان ، وكذلك في طلبات المجموعة الأوروبية التي ناشدت إسرائيل الامتناع عن التورط في حرب الخليج ، وفي طلب « بريان مولروور » رئيس وزراء كندا الذي اتصل بالحكومة الاسرائيلية وأعرب لها عن أمله في ألا تتدخل في حرب الخليج وأن تتمسك بسياسة ضبط النفس .

وهكذا فإن جميع « الضروع » الغربية ناشدت إسرائيل الاستجابة لرغبتها الملحة في أن تتمسك بضبط النفس . فهل رضخت إسرائيل للطلبات الغربية واستجابت لسياسة « ضبط النفس » من تلقاء ذاتها أم أن استجابتها تلك لم تكن سوى أسطورة أرادت من خلالها أن تحلب هذه الضروع ؟

لدينا الكثير من الأدلة والبراهين التي يمكن بها أن نثبت أن إسرائيل لم تستجب لا للرغبة الأمريكية ولا للرغبة الغربية ، ولكنها اضطرت للتمسك بما أسمته « ضبط النفس » لأنها لم تكن قادرة على الرد على الصواريخ العراقية ، وهذا لجأت إلى الأسلوب « الاستراتيجي » المدروس بعناية « خاصة » حتى يمكنها أن تحلب ضرور الراغبين في « ضبطها لنفسها » .

وقبل أن نشرع في عرض هذه الأدلة والبراهين ، علينا أن نشير إلى أن مصطلح « ضبط النفس » هذا ، سبق لإسرائيل وإن عملت به لأكثر من مرة . ففي كل مرة كانت إسرائيل تشن عدواناً على أى دولة عربية ، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسرع وتطلب من كلا الطرفين : المعتدى ، والمعتدى عليه أن يتمسك بضبط النفس . وإذا كنا لا نفهم كيف يتمسك الطرف العربى الذى هو فى الأساس « الضحية » بضبط النفس ويتقبل العدوان عليه بصدر رحب ؟ فإننا نفهم أن زعماء إسرائيل كانوا يتقبلون النصيحة ويعملون بأسلوب « ضبط النفس » حتى صار مصطلح ضبط النفس عندهم وكأنه رتبة على أكتافهم ، ودليل أكيد على تحقيقهم لانتصارات باهرة على العرب .

غير أن هذه المرة هى المرة الأولى التى تطالب فيها إسرائيل بضبط النفس وهى فى موقع الضحية ، لا موقع « الجاني » كما اعتادت . غير أن هذا لا يمنع ، وقد ألفنت هذا الأسلوب ، أن تتمسك به هذه مضطرة ، لأنها — وكما يقول المثل العربى : مجبر أخاك لا بطل — لا تستطيع إلا أن تفعل هذا ، حيث حال كثير من الأسباب دون أن تقوم « برد الصاع صاعين » كما اعتادت من قبل . لذا فقد لجأت مُجبرة لإظهار أنها قبلت بأسلوب ضبط النفس لأجل خاطر سواد عيون أمريكا ودول أوروبا ، وذلك قبل أن تشرع فى المطالبة بثمن هذا القبول .

ومن بين الأسباب التى يمكن أن نسوقها على استحالة قيام إسرائيل برد الضربة العراقية ما يلي :

— وفقاً لما نشرته وكشفت عنه صحيفة لوس أنجلوس تايمز^(١) فإن أمريكا قد امتنعت عن إعطاء إسرائيل الشفرة السرية لطائراتها القاذفة والمقاتلة التى سبتحارب

(١) عدد ٢٢ يناير ١٩٩١ .

العراق ، كما رفضت أن تترك للقاذفات والمقاتلات الإسرائيلية مساحة من سماء العراق لفترة زمنية معينة . ومعروف أن كل طيار يدخل المجال الجوي العراقي يبلغ أجهزة الرادار أو يبلغ العقل الإلكتروني في طائرات التحالف بالشفرة السرية فلا يهاجمه أحد . ولذلك فقد كان من الصعب على سلاح الطيران الإسرائيلي والمعروف باليد الطويلة ، أن يدخل المجال الجوي العراقي دون معرفة الشفرة حيث لن تتمكن الطائرات الإسرائيلية من التمييز بين الطائرات العراقية والطائرات « المشتركة » التابعة لقوات التحالف ، ومن جهة أخرى فإن الطائرات الإسرائيلية ستكون عرضة للقصف بطريق الخطأ من قبل الطائرات « المشتركة » في القوة الدولية المتحالفة .

— ويفرض أن القوات الجوية الإسرائيلية قد استطاعت التخلص من المعوقات التي تحول دون تنفيذها لمهامها بالأجواء العراقية ، فما الذي يمكنها أن تضربه ، ولم تنله غارات طائرات الحلفاء ؟

— نحن نعرف أن إسرائيل لا تمتلك من الصواريخ الباليستكية أرض — أرض سوى الصاروخ « أريحا » وهو صاروخ رغم أن مداه ١٠٠٠ كيلو متر ، إلا أنه غير دقيق بالنسبة للتصويب ، ثم إن حمولته المتفجرة لا قيمة استراتيجية تذكر لها في ظل القصف الشرس واللا أخلاقى على العراق من قبل قوات التحالف . علماً بأن الصاروخ الإسرائيلي « ارو » أى السهم Arrow — لم يدخل في مجال الخدمة الفعلية بعد ، فالتجربة الأولى التي أجريت على الصاروخ في التاسع من أغسطس ١٩٩٠ ، بالماشية ، جنوب تل أبيب أثبتت فشلها ، إذا أدت إلى تحطم الصاروخ بعد ٤,٨ دقائق من إطلاقه . أما التجربة الثانية التي تمت في ٢٥ مارس ١٩٩١ فإنها لم تنجح كلياً حيث تم تعديل مسار الصاروخ بعد أن تعرض لفقد السيطرة عليه بعد دقيقة واحدة من إطلاقه . وعلى هذا فهو في قيد التجارب ولم يدخل الخدمة بعد .

— لقد دمرت طائرات الحلفاء ومنذ الضربة الجوية الأولى كل ما يمكن وصفه بأنه هدف استراتيجي ولم يبق من هذه الأهداف سوى بعض قواعد إطلاق الصواريخ العراقية ، وقد حجبت الإدارة الأمريكية عن إسرائيل المعلومات

المتعلقة بها حتى لا تسدد إسرائيل ضربة لإجهاضها ، علماً بأن صانع القرار الإسرائيلي كان يعلم أن استمرار العراق في توجيه الصواريخ ضد إسرائيل . يحقق فائدة مهمة وهي أنها تكشف عن محطات إطلاقها وتسهل لطائرات التحالف مهمة تدميرها بعد ذلك .

— لم تكن إسرائيل تستطيع أن تجازف وترد على العراق ، حتى لا تجد نفسها في مواجهة سياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية التي ضغطت عليها بشدة لمنعها من الرد ، وذلك تجنباً لتفكك بعض الروابط في التحالف الدولي ضد العراق نتيجة لتغير مشاعر القوات العربية والإسلامية المشتركة في التحالف الدولي .

وقد وضع صانع القرار الإسرائيلي نصب عينيه أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الشريان الرئيسي الذي يمد إسرائيل بالحياة حيث يدعم الاقتصاد الإسرائيلي بعدة مليارات كل عام — حصلت إسرائيل عام ١٩٩٠ على ٤ مليارات دولار ، أى بمعدل ألف دولار لكل مواطن في إسرائيل سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً — ثم أنه كان يأمل في مزيد من المساعدات والمعونات من الولايات المتحدة نتيجة لإظهار قبوله بضبط النفس المزعوم ، وهي مساعدات كانت ستسير إلى زوال لو خالف التعليمات الأمريكية حيث إن الولايات المتحدة طلبت من إسرائيل إبلاغها رسمياً ومسبقاً عن أى عملية حربية توجه ضد العراق حتى يمكنها التدخل في الوقت المناسب لمنعها .

— لم تكن إسرائيل تريد أن تخسر المعونات المادية التي بدأت تهل عليها من الدول الغربية التي لم تكن على علم بالحقيقة الأولى — عدم منح إسرائيل الشفرة السرية — والتي استنزفتها إسرائيل مقابل التمسك بضبط النفس الأسطوري .

لم تكن القيادة السياسية الإسرائيلية تستطيع أن تتجاهل رغبات رجل الشارع الإسرائيلي حيث أثبت استطلاع للرأى أجرته صحيفة يدعوت احرونوت الإسرائيلية أن ٨٦٪ من الإسرائيليين يؤيد سياسة ضبط النفس ، وعلى هذا فإن المغالاة التي كانت القيادة السياسية الإسرائيلية تبديها أمام العالم ، كانت للاستهلاك العالمى ، بينما عملت داخلياً على تهدئة مشاعر رجل الشارع .

السيد إسماعيل شاه - تل أبيب
إبراهيم

۲.۳

كان الرد الإسرائيلي إذا ما حدث سيجر إسرائيل إلى مواجهة مع الأردن التي نشرت قواتها بطول حدودها في خطة أسمتها « خطة القدس » ، خاصة وأن الطائرات الإسرائيلية التي ستقوم بالرد ستضطر إلى اختراق الأجواء الأردنية ، مما سيترتب عليه مزيد من التعقيدات والمشاكل في المنطقة التي تمر بظروف غاية في التعقيد . وقد أخذت إسرائيل في حسابها هذا العامل الذي سيؤدي إلى تكاثف جميع الدول العربية مع الأردن ، لذا فقد امتنعت مضطرة عن الرد ، ولكن لو قامت إسرائيل بالرد على القصف العراقي دون التورط في مواجهة مع الأردن كما يقول رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية في تل أبيب « اهارون ياريف » فالرد الإسرائيلي أمر كان وارداً ومشروعاً بشهادة كل الأطراف !

لم تأت الصواريخ العراقية بما كان يرجى منها من دمار بحرق « نصف إسرائيل » وبتسوية إسرائيل بالأرض فهي صواريخ تقليدية تحمل شحنة ناسفة صغيرة تم تقليل وزنها لزيادة المدى الذي يمكن أن يصل إليه الصاروخ بعد « التطوير ! » ، مما قلل من الخسائر البشرية التي تعرضت لها إسرائيل فهي لم تزد بعد ضرب ٣٧ صاروخاً على إسرائيل ، لم تزد عن قتييل واحد ، ونحو ١٠٠ جريح* .. ويعود السبب في انخفاض عدد الضحايا أيضاً إلى عدم دقة ضبط توجيه الصواريخ ، الأمر الذي جعل معظم الصواريخ تسقط في مناطق غير مأهولة بالسكان ، فقد سقط ، من بين سبعة صواريخ أطلقت على إسرائيل يوم ١٧ يناير ١٩٩١ صاروخ واحد على تل أبيب ، وآخر قرب أريحا ، والخمسة الباقين في البحر ! .. هذا عدا أن الأضرار المادية ليست بالغة . لذا فإن القيادة الإسرائيلية لم تكن تستطيع أن تجازف بالرد .

— لم تكن القيادة الإسرائيلية راغبة في تحقيق أهداف صدام حسين من جر رجلها إلى الحرب ، حيث سيؤدي ذلك إلى تخفيف الضغط الذي يواجهه ، بعد أن يستفز التدخل الإسرائيلي مشاعر المسلمين والعرب الذين سيرفضون تدخلها في الحرب حتى وإن كان دفاعاً عن النفس ، علماً بأن المسؤولين الإسرائيليين كانوا

(*) تجدر الإشارة إلى أن أول ٨ صواريخ أطلقت على إسرائيل لم تسفر إلا عن إصابة ١٣ شخصاً بجراح طفيفة ، ووصفت المصادر الطبية حالة المصابين بأنها لا تثير القلق !

يدركون أن قدرات الرئيس العراقي تقل تدريجياً يوماً بعد يوم خاصة بعد الضربات الجوية المؤثرة التي كانت تتعرض لها يومياً منصّات الصواريخ العراقية الموجودة في غرب العراق ، والتي يتم من خلالها إطلاق صواريخ [سكود-بي] على إسرائيل . وقد تلاحظ هذا الانخفاض بوضوح بعد مرور عشرة أيام على بدء حرب الخليج ، فالأيام التسعة الأولى من الحرب شهدت سقوط ٢٥ صاروخاً على إسرائيل ، بينما لم يطلق عليها في الأيام التسعة التالية سوى ٦ صواريخ .

— وأخيراً فإن القيادة السياسية الإسرائيلية كانت في حالة خوف مستمر من فشل أى ضربة يمكن أن توجهها ضد العراق ، فسيكون هذا الفشل بمثابة « ميتة وخراب الديار » حيث ستوقف جميع المساعدات الغربية ، وتتدخل ضدها في الحرب قوات عربية لا تضع في تصورها — كالقوات المصرية — أنها ستدخل في حرب معها خلال هذه السنوات .

وهكذا فقد تضافرت العوامل السابقة في منع إسرائيل من الرد على صواريخ العراق ، ولم يبق لها أن تتظاهر بضبط النفس حيث أدركت أن الغرب يرغب في بقائها بعيداً عن الحرب ، وفي ضبطها لنفسها ، وانطلاقاً من هذا الإدراك الإسرائيلي دارت عجلة « المنشار » الإسرائيلي ، فإسرائيل قد علمتنا في السابق أنها منشار يأكل في الطالع وفي المنازل ، فهي عندما يختطف العرب طائرة مدنية لها ، تذهب لتساوم الولايات المتحدة الأمريكية على سرب طيران حرى بأكمله ! وعندما يغرق لها العرب مركبة حديد ، تمد أمريكا لها يدها بمدمرة أو فرقاطة لإسرائيل الغلبانة والمغلوبة على أمرها ! وحين يقتل فرد إسرائيلي تمحو إسرائيل مدينة عربية بأكملها ثأراً له ! .. نشترى نحن بندقية فيعلنون أن أمنهم مهدد ، وغدهم غير مؤمن ، ويتحرك المنشار — كما يقول محمد الحفاوى^(١) — فيلتهم في مقابل البندقية العربية تكنولوجيا أشعة ليزر وكمبيوترات ومحطات نووية من الغرب !

والمنشار اليهودي يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف ، وقد حدث أيام كان البابا يبيع صكوك الغفران للناس الطيبين ، فيدفع كل واحد مبلغاً من المال لكي

(١) مقال نحن والمنشار ، الوفد — عدد ١٨ فبراير ١٩٩١ .

يدخل الجنة ، ويحصل على قطعة من الأرض على قدر فلو سه ، حدث أن ذهب تاجر يهودى إلى البابا ليشتري جهنم ، وأمام إصرار هذا التاجر باع له البابا جهنم بسعر رمزى وراح يروى هذه النكتة لكل الناس وبعد سنوات سأل البابا عن التاجر اليهودى ، فقالوا له : عقبالك ، إنه يملك السفن والعمارات والحدائق ومحلات الذهب والماس ، فاستدعاه البابا ليسأل وكيف كان ذلك ؟ قال التاجر أبداً ، لقد مررت على المسيحيين الطيبين أقول لهم : كم تدفع وأنت لا تدخل جهنم^(١) ؟

وقد ظهر هذا التاجر اليهودى مرة أخرى ليطلب من أمريكا ودول أوروبا : كم تدفعون وإسرائيل لا تدخل الحرب ؟ .. كم تدفعون مقابل أن نكون ضباط نفس أمام هجمات العرب البربر ؟ .. كم تدفعون ثمناً لسكوتنا عن صواريخ العراق ؟ .. كم تدفعون مقابل استجابتنا القهرية للرجبة الغربية ؟ فدفعت أمريكا وأوروبا عشرات المليارات من الدولار فى شكل مساعدات عسكرية ومادية وإنسانية والأكثر فى شكل دعم معنوى لا يقدر بمال ، لتصبح الصواريخ العراقية بمثابة «نعمة» حلت بإسرائيل فهبت معها رياح المكاسب من شكل :

مكاسب مادية . ومكاسب عسكرية
مكاسب سياسية ومكاسب معنوية .

وحتى تزداد هذه المكاسب يوماً بعد آخر فقد كان مهماً أن تعتمد الدعاية الصهيونية على فكرة أن العراق يوجه صواريخه إلى تجمعات مدنية — وركزت كثيراً على كلمة مدنية ، وكأنه لا يوجد مدنيين إلا فى إسرائيل ، وكأن العراقيين الذين تعرضوا لمئات الآلاف من الأطنان من القنابل التى ألقتها عليهم طائرات التحالف ، ليسوا هم مدنيين ، بل ليسوا هم بشر ! كما كان مهماً أيضاً أن تركز على أن الصواريخ تسقط على بلد لم يشارك أصلاً فى الحرب — مع أن هذه الحرب تمت كخدمة مباشرة لها .. وأن تركز على ذكر كلمة الإرهاب حين عرضت قضيتها داخل الدول الغربية التى رأت فى ذلك عملاً من أعمال «جرائم

(١) أنيس منصور : مواقف . الأهرام عدد ٣ مارس ١٩٩١ .

الحرب» .. ولم تنس إسرائيل أن تنقل لهم صور الرعب البادى على الوجوه اليهودية من جراء الصواريخ التى يطلقها العربى الإرهابى البشع ، حيث إن هذه الصور أجدى فى استدراالعطف من مئات النداءات الإنسانية .. والأهم من كل ما سبق أنها أرادت أن تجعل العالم يعيش على أعصابه : إسرائيل قد تتدخل اليوم فى الحرب .. وذلك برفضها منح أى تعهدات كتابية للولايات المتحدة بعدم الدخول فى الحرب ، فكان لها بعد أن نفذت تكتيكاتها المشار إليها سابقاً أن كسبت من مرحلة الصمت المزعوم ، دون أن تخسر فرصة التصدى للعراق من جهة ومن جهة أخرى دون أن تخسر خسائر مادية وبشرية جسيمة ، حيث لم تخسر إسرائيل سوى تهدم بعض المنازل ، وأربعة قتل وعشرات الجرحى ، ومثل هذه الخسائر يمكن أن تخسر أضعافها فى حادث أتوبيس ، أو سقوط طائرة ، أو تصادم شاحنتين ، أو خروج قطار عن خطه الحديدى ..

وإذا أردنا أن نحصر المكاسب والمزايا التى حصلت عليها إسرائيل بفضل صواريخ صدام حسين التى أتاحت بدورها لإسرائيل فرصة التظاهر بضبط النفس الأسطورى ، وهى مهمة فوق طاقة كل من يتصدى لها ، فلنا أن نعرض أمثلة على المكاسب المادية والعسكرية والمعنوية والسياسية التى كسبتها إسرائيل من الدعم العربى المباشر لها ، ثم نعرض لمكاسبها غير المباشرة والتى حازت عليها بسبب الخسائر العربية التى منى بها العرب من جراء مغامرة صدام حسين الرعناء :

* من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل من دول المجموعة الأوروبية تذكر موافقة المجموعة الأوروبية على استئناف التعاون مع إسرائيل . ووفقاً لما قاله «صوت لندن»^(١) ، كان هذا التعاون قد أوقف مع إسرائيل عام ١٩٩٠ احتجاجاً على الأوضاع السيئة التى يعانى منها الفلسطينيون فى الضفة الغربية وغزة .

* من المكاسب التى حصلت عليها إسرائيل فى إيطاليا نذكر^(٢) تحول اتجاه الرأى العام الايطالى لصالح إسرائيل حيث تحركت التحركات الشعبية من أجل السلام إلى تحركات من أجل التضامن مع الشعب الإسرائيلى ، وأخذت الصحف الإيطالية

(١) مساء يوم ٢٥ يناير ١٩٩١ .

(٢) مجلة المصور ، عدد أول فبراير ١٩٩١ .

تستخدم في مقالاتها عبارة «إسرائيل الدولة المسالمة» (١). واضطر رئيس الوزراء الإيطالي «انديريوتي» إلى استقبال رئيس الجالية اليهودية في إيطاليا ليحرب له عن تضامن حكومته ، وحتى زعيم الحزب الشيوعي «اوكتينو» — الذي دأب على مناصرة القضية الفلسطينية والفلسطينيين — وجد نفسه يستنكر الضربات «العشوائية» للصواريخ العراقية ، وقدم ٥٠ نائباً في البرلمان الايطالي طلباً للحكومة الإيطالية بضرورة السعي لدى الفاتيكان للاعتراف رسمياً بإسرائيل ، بل إن البابا «يوحنا بولس الثاني» نفسه ، وجه بياناً يواسي فيه المدنيين الإسرائيليين المصابين من جراء الصواريخ العراقية — الطائشة واستخدم اسم «دولة إسرائيل» لأول مرة في هذا البيان ، مما مهد الطريق لقيام الفاتيكان بالاعتراف بإسرائيل .

* من المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من هولندا ، نذكر قيام الحكومة الهولندية بإرسال ٨ بطاريات صواريخ من نوع «باتريوت» الذي هو عبارة عن صاروخ امريكي مضاد للصواريخ ، كمساعدة منها في صند الهجوم الصاروخي «الغاشم» الذي تتعرض له حياة المدنيين في إسرائيل . مع العلم أن بطارية الصواريخ الواحدة من هذا النوع تتكلف أكثر من مائة مليون دولار ، بينما يبلغ سعر الصاروخ الواحد ١,١١ مليون دولار .

* من المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من النمسا وبريطانيا ، قيام وفد بريطاني — نمساوي بالتوجه لإسرائيل يضم ممثلين من أعضاء الحزب الاشتراكي وحزب الشعب الحاكمين ، وأيضاً ممثلين عن الحزب الديمقراطي الحر المعارض ، بهدف إبداء تضامنهم مع الشعب الإسرائيلي ، وبحث إمكانية المساعدات «الإنسانية» (١) التي يمكن أن تقدمها النمسا وبريطانيا لإسرائيل تعاطفاً معها بعد الهجوم العراقي .

* من المكاسب التي جنتها إسرائيل من الاتحاد السوفيتي ، نذكر قيام الاتحاد السوفيتي — المعروف بصداقته للعراق — بإدانة الهجمات الصاروخية العراقية على إسرائيل ، ثم قيامه بعد ذلك بالإغراب عن استعداده لإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل ، وقد تلا ذلك تطور مهم حيث عرضت موسكو — حسب زعم

مسؤولين إسرائيليين^(١) — بيع صواريخ مضادة للصواريخ لإسرائيل لمواجهة أنظمة الصواريخ العربية .

من المكاسب التي حصدها إسرائيل — كعادتها — من ألمانيا — وهي جهة وكثيرة نذكر :

— تقديم المستشار الألماني « هيلموت كول » مساعدات مادية فورية في شكل مساعدات إنسانية مقدارها ٢٥٠ مليون رك (١٦٥ مليون دولار) (١) .

— توجه « هانز ديتريتش جينشر » وزير خارجية ألمانيا وبرفقته رؤساء الأحزاب الرئيسية في ألمانيا إلى إسرائيل للوقوف إلى جانبها وإظهار تضامن ألمانيا معها^(٢) .

— تقديم ألمانيا عدد من دبابات « فوكس » التي تعتبر من أحدث أنواع الدبابات حيث إنها محصنة ضد الحروب الكيماوية ومحصنة ضد أشعة الليزر ، إلى إسرائيل .

— منح إسرائيل أربعة أنظمة من نظم الدفاع الجوي هي بطاريات صواريخ باتريوت ورولاند وهوك وجيارد التي تعد من أحدث وسائل الدفاع الجوي .

— إهداء إسرائيل دبابات من نوع « جيارد » المزود بمدفع مضاد للطائرات عيار ٣٥ ملم ويبلغ وزنها ٤٧ طناً وتستطيع إطلاق ٥٥٠ قذيفة في الدقيقة الواحدة لتصيب الهدف بدقة متناهية ومن على بعد ٢,٥ كيلو متر ، وهي بذلك أحدث ما في سوق السلاح .

إعطاء إسرائيل تعهداً — تم تنفيذه فعلاً — بإعداد مشروع قانون يجعل تصدير السلاح للدول العربية مستحيلاً .

— دفعت صواريخ العراق ، النظام الألماني — وريث النازية (١) لتقديم منحة مالية كبيرة ، ستشترى بها إسرائيل التجهيزات الجديدة لغواصتين نوويتين يجري بناؤهما حالياً في ألمانيا — وكانت ألمانيا قد تبرعت بهما لإسرائيل قبل عامين — حاملة للصواريخ من طراز « كروز » ذات الرؤوس المجهزة للقذائف النووية أو الشديد الانفجار أو الكيماوية .

(١) صحيفة الوفد عدد ٢٢ يونيو ١٩٩١ نقلاً عن وكالة « رويتر » .

(٢) والغريب أن جينشر قد تعرض لنقد شديد داخل إسرائيل بسبب دور الألمان في مساعدة العراق .

— بحثت الحكومة الألمانية طرق منع المؤسسات الألمانية من التوقيع على بنود بمقاطعة إسرائيل في التعاقدات مع الشركات العربية ، حيث كانت الأخيرة تشتترط من قبل التزام الشركات الألمانية لبنود اتفاقية المقاطعة العربية لإسرائيل التي تنص على أن الدول العربية لن تتعامل وبصفة إجماعية في أى مجال من المجالات مع المؤسسات والشركات الأجنبية التي لا تحترم القواعد المرعية والخاصة بمنع التعامل في أى مجال من المجالات مع الحكومة الإسرائيلية أو الشركات الإسرائيلية التابعة لها .

— طالب النواب الألمان الحكومة الألمانية بفرض ضريبة تخصص حصيلها لإسرائيل إعراباً عن تضامن الشعب الألماني مع إسرائيل في مواجهة الهجمات الصاروخية العراقية .

* أما عن المكاسب التي حصلت عليها إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية ، وهى تفوق الحد والوصف ، فنذكر :

— تعهد أمريكا رسمياً بحماية أمن إسرائيل من خطر الصواريخ العراقية ، التي راحت تتعقب منصات إطلاقها في غرب العراق ، حتى أجهزت عليها تقريباً .

— منحت أمريكا لإسرائيل عدداً كبيراً من بطاريات صواريخ باتريوت للدفاع عن نفسها ضد صواريخ سكود «وليس هذا فقط ، فقد أصبحت أمريكا مسئولة مسئولية كاملة عن وليدها الرضيع — إسرائيل — حيث لم تكتف بإرسال الصواريخ باتريوت وبطارياتها ، ولكن أرسلت معها الأطقم اللازمة للعمل على الصواريخ ، مما يعنى في طياته اعترافاً رسمياً ببنوة أمريكا لإسرائيل ، وقد انعكست هذه البنوة على أطقم الصواريخ التي أرسلت لتشغيل البطاريات حيث صدرت إليهم تعليمات بالعمل تحت الإشراف التكتيكي لرئاسة الأركان الإسرائيلية ، بمعنى — كما أوضح ذلك مسئول بوزارة الخارجية الأمريكية^(١) — إن الإسرائيليين هم الذين يقررون كيفية مواجهة الصواريخ العراقية ، ويختارون كيف يستخدمون صواريخ باتريوت ، أى بمعنى أصبح أن الضباط والفنيين الأمريكيين سيعملون تحت

(١) نقلاً عن جريدة الجمهورية عدد ٢٤ يناير ١٩٩١ .

إمرة السادة الإسرائيليين ليتحولوا من سادة إلى عبيد (١)

— استطاعت إسرائيل بفضل الصواريخ العراقية أن تستغل الأقمار الصناعية الأمريكية للإنذار المبكر حيث لم يكن باستطاعة إسرائيل أن تملك ذلك في الماضي . الأمر الذي وفر لإسرائيل عدة دقائق من الإنذار المبكر قبل وصول الصواريخ إلى إسرائيل ، بما يكفي لتفادي الخسائر في الأرواح ، فيما يعد الاستغلال الإسرائيلي الأول لمبادرة الدفاع الاستراتيجي ، حرب النجوم ، بين أمريكا وإسرائيل :

— تعهدت أمريكا بمنح إسرائيل مبلغ ١٣ مليار دولار ، ثلاثة منها كتعويض فوري عن خسائرها في مجال السياحة وارتفاع مدفوعاتها عن الواردات النفطية ، أما العشرة مليارات الباقية فهي لتمويل استيعاب المهاجرين اليهود الجدد إلى إسرائيل (مشروع المليون مهاجر) تسدد على خمس سنوات .

— منحت أمريكا لإسرائيل مبلغ ٦٥٠ مليون دولار كمعونة إضافية لتعويض الأضرار التي لحقت بها في أثناء حرب الخليج^(١) . هذا إلى جانب المعونات الأصلية التي تقدمها أمريكا لإسرائيل وبلغت ٤ مليارات دولار عام ١٩٩٠ ، إضافة إلى مبلغ ٤٠٠ مليون دولار كمنحة لتوطين المهاجرين اليهود السوفيت .

— حصلت إسرائيل على مزيد من الطائرات الأمريكية الحديثة طراز «إف — ١٥» كانت أمريكا تؤجل تسليمها لإسرائيل منها عشر طائرات من طراز «إف — ١٥» لإجل قيمتها ٦٥٠ مليون دولار . ومن المعلوم أن إسرائيل تمتلك ٤٨ طائرة من هذا الطراز حسب التقرير العسكري الصادر من مركز الدراسات الاستراتيجية^(٢) .

— منحت أمريكا ، وبموافقة الكونغرس ، مبلغ ٧٠٠ مليون دولار كمنح عسكرية إضافية لإسرائيل خلال حرب الخليج .

— تحسنت العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، فعادت العلاقات إلى دفتها السابق بعد أن كانت هذه العلاقات بالغة السوء بشكل لم يسبق

(١) اعتمد الكونغرس هذه المعونة الإضافية في السادس من مارس ١٩٩١ .

(٢) تسلمت إسرائيل هذه الطائرات العشر فعلاً في شهر أغسطس ١٩٩١ .

له متيل من قبل، وكان «إسحاق شامير» رئيس وزراء إسرائيل قبل الصواريخ العراقية، يعانى من معاملته على قدم المساواة مع رؤساء ليبيا والعراق وإيران وفلسطين، وكلهم تصفهم أمريكا «بالإرهاب» .
— أصبحت أمريكا — كما يقول المراقبون الأمريكيون أنفسهم — مدينة لإسرائيل، لذا فستكون ملزمة دوماً بمكافئتها في المستقبل لأنها مارست ضبط النفس (الاسطورى) ولم تتعجل الرد الفورى على الهجمات العراقية (١) .

— بالإضافة إلى تشييط العلاقات الامريكية الإسرائيلية بعد أن كانت تمر بمرحلة فتور، فإن الصواريخ العراقية، والجميل الذى حملته أمريكا في عنقها لإسرائيل، كان ذريعة لمزيد من التشدد الإسرائيلى والمغالاة في الطلبات الإسرائيلية من أمريكا، فنجد أن السفير الإسرائيلى في واشنطن، يخاطب الولايات المتحدة وكأنها هى التابعة له وليس العكس، ويؤننها بلهجة متعالية على تأخيرها في سداد ٤٠٠ مليون دولار، كانت أمريكا قد تعهدت بدفعها لإسرائيل شريطة الحصول على ضمانات بعدم استخدامها في توطين المهاجرين اليهود الجدد في الضفة الغربية وغزة .. ورغم رفض أمريكا لهذا الأسلوب، إلا أنها استجابت لإسرائيل في توريد المبلغ المذكور دون حصولها على تأكيدات فعلية بعدم استخدامه في الضفة الغربية وغزة .. بل ورغم علمها المسبق أن المبلغ يمكن أن يستعمل في إسكان المهاجرين داخل إسرائيل نفسها، في حين تتجه الميزانية الإسرائيلية التى كانت مرصودة للإسكان في إسرائيل إلى الإسكان في الضفة الغربية وغزة، أى أن الميزانية انتقلت من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى، على غرار «ودنك منين ياجحا» !

وقد بلغ هذا التعالى قمته حين راحت «تل أيب» تنتقد الصاروخ الأمريكى الاعتراضى باتريوت الذى أخذته كمنحة مجانية من واشنطنون (١) فتولى «موشى ارينز» وزير الدفاع الإسرائيلى مهمة تسفيهه والنيل منه بشكل مُخز أدى إلى السخرية منه، هكذا على رؤوس الأشهاد وبجراً لم تستطعها أية دولة أخرى . بل بدا الأمر وكأن إسرائيل تخاطب الدولة التى تحميها — لا على أساس ندى بحت، بل أكثر من ذلك من مركز تفوق^(١) (١) وذلك على غرار الاستجداء

(١) رأى الأهرام، عدد ٢٨ فبراير ١٩٩١ .

بأسلوب : «هات وأنا سيدك» ، وهو أسلوب تجيده إسرائيل ، معتمدة في ذلك على أذنانها الصهيونية في مراكز الثقل الإستراتيجي الأمريكي ، استخدامه ، مما حدا بالدولة الذليلة (أمريكا) أن تستجيب لكل الانتقادات الموجهة إليها من الدولة الأكثر تفوقاً ، فتوافق على مشاركة إسرائيل في مهمة تطوير صاروخ «باتريوت» المنتقد !!

وقد تجاوز هذا التعالي حدة ، حين شد «رحبام زيفي» الوزير الإسرائيلي بلا وزارة ، ومعه الإعلام الإسرائيلي حملة على الرئيس الأمريكي جورج بوش ووزير خارجيته جيمس بيكر ، اتهمه فيها بالكذب والعداء لاسرائيل ومناهضة السامية ! كما سبق وأن أوضحنا في الفصل السابق .

* ومن المكاسب السياسية والعسكرية الأخرى التي حصلت عليها إسرائيل نذكر :

— بعد ضرب إسرائيل بالصواريخ العراقية تلاشى الجدل الذي كان دائراً داخل الحكومة الإسرائيلية حول تطوير الصاروخ الإسرائيلي جيتس المضاد للصواريخ ، والذي كان يحتاج إلى تضامن أمريكي — أورنى من أجل تمويله وتسويقه ، فقد أصبحت الولايات المتحدة متكلفة تماماً بمساعدة إسرائيل على حل المشاكل التي تعترض صناعة وتطوير هذا الصاروخ الباهظ التكاليف — مثله مثل كل الأسلحة المتطورة — فتعهدت بدفع ٨٠٪ من تكاليف إنتاج الصاروخ ، بالإضافة إلى تسويقه ، أما نسبة الـ ٢٠٪ الباقية من التكاليف فسوف تدفع أيضاً لإسرائيل في إطار برنامج «حرب النجوم» . وهكذا فقد أعطت صواريخ صدام حسين فرصة العمر لكي يتحول مشروع «الجيتس» من مشروع مهجور إلى واقع مدمر .

وتجدر الإشارة إلى أن الخلاف بين الولايات المتحدة وإسرائيل كان يدور حول مدى حاجة إسرائيل إلى هذا الصاروخ ، ولكن ضرب إسرائيل بالصواريخ أضعف الحجة الأمريكية ، فوافقت على تكملة مراحل إنتاج الصاروخ حيث شاركت أمريكا من قبل ومولت ٨٠٪ من تكاليف المرحلة الأولى ، في حين وافق الكونجرس الأمريكي على تقديم ٤٢ مليون دولار من أصل ٢٤٠ مليون دولار كتكاليف للمرحلة الثانية ، بينما تتكلف المرحلة الثالثة ٢٥٠ مليون دولار تقريباً

ووافق التكفل الأمريكي بإنتاج الصاروخ فقد أصبحت أمريكا ملزمة بسداد ما قيمته ٣٩٨ مليون دولار لإسرائيل . لالانتهاء من المرحلتين الثانية والثالثة (١) ، وقد أشارت الأنباء الأخيرة إلى أن أمريكا سوف تمنح إسرائيل قرياً مبلغ ٢٠٠ مليون دولار من أصل المبلغ المخصص لتطوير الصاروخ (٢) .

— أتاحت الصواريخ لإسرائيل فرصة التشدد أمام الرأى العام الداخلى والخارجى ، ووجدت مبرراً لرفع ميزانية الدفاع الإسرائيلية بمقدار ١٢٠ مليون دولار ، وذلك لتغطية نفقات الأشهر الثلاثة الأولى من أزمة الخليج التى بدأت فى ٢ من نوفمبر ١٩٩٠ ، فى حين زادت الميزانية الجديدة لعام ١٩٩٢ بمبلغ ٢١٢ مليون دولار توجه بكاملها لشراء أسلحة جديدة للمحافظة على التفوق التكنولوجى على الدول العربية ، ولأغراض الدفاع .

كما أقدمت إسرائيل على تعيين اليمىنى المتطرف ، والمنادى بطرد العرب « رحبتام زئيفى » فى محاولة منها لتعزيز موقف حرب الليكود ضد أى حل وسط يتعلق « بصيغة الأرض مقابل السلام » التى يريد العالم بأجمعه اتخاذها كمبدأ أساسى لحل المشكلة العربية — الاسرائيلية .

— اعطى ضرب « إسرائيل » بالصواريخ ذريعة سياسية لوضع حد لمفهومها السابق عن « الحدود الآمنة » ومن ثم فهى ستطالب « بحدود أكثر أمناً » تتناسب مع ما يملكه العرب من أسلحة يتعدى مداها حداً معيناً كالصواريخ العراقية التى يصل مداها إلى ٩٥٠ كيلو متر ، ومعنى ذلك أن إسرائيل كفيلة بأن تصر على حدود « أمنية » تتفق واسطورة أرض الميعاد التى تمتد من النيل إلى الفرات ؟ .

— تسلمت إسرائيل أسلحة ومعدات عسكرية من كثير من دول العالم خاصة الولايات المتحدة الأمريكية التى قامت بتزويدها بالأسلحة فى أكبر جسر جوى منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وألمانيا التى منحتها صفقة هائلة تعد الأولى من نوعها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، تفوق احتياجاتها الفعلية حيث أن الترسانة

(١) عن الصاروخ جيتس يمكن مراجعة الأهرام عدد ٣٠ يناير ١٩٩١ .

(٢) الأهرام عدد ٣ يونيو ١٩٩١ .

العسكرية الإسرائيلية متكسدة أصلاً بأسلحة كثيرة متشابهة ، الأمر الذى يعنى أن الغرب قد قدم لإسرائيل بضاعة حربية جاهزة ، يمكن إعادة تصنيعها أو إبقائها كما هى ، أو تطويرها ، ووضع أسماء عبرية عليها وإعادة تصديرها للنظم العسكرية. فى آسيا وأفريقيا وبأسعار لا تنافس لأنها أتت لإسرائيل مجاناً ، وبلا أسعار أصلاً ! — يمثل وصول هذه الأسلحة إلى إسرائيل ، فى « ظل أجواء من الرضاء العالمى » وأحد من أهم المكاسب التى تستحق التأمل ، وظاهرة تحدث لأول مرة فى تاريخ إسرائيل ، فبعد أن كانت الدول العربية تسعى جاهدة للضغط على الولايات المتحدة لتقليص إمداد إسرائيل بالأسلحة ، فإن وصول صواريخ « باتريوت » وغيرها إلى إسرائيل لم يواجه بأى معارضة بالمرة ، بل أن بعض الدول العربية — ومن بينها مصر — أيدت حق إسرائيل فى الرد على صواريخ مضادة لصواريخ « صدام حسين » دفاعاً عن نفسها وفق مبادئ الشرعية الدولية ! وهذه سابقة تحدث لأول مرة فى تاريخ الصراع العربى — الإسرائيلى .

— أملت الظروف الناشئة عن تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، بفعل الصواريخ العراقية ، قيام الأولى بتطوير اتفاقية التعاون والدفاع الاستراتيجى مع الثانية ، فأصبح بموجب هذا التطوير الحق للأولى فى تخزين أسلحتها بالثانية ، حيث تم الاتفاق بين كليهما على تخزين الأسلحة الأمريكية لدى هذا الحليف المضمون (!) مما يجعل من دولة إسرائيل بؤرة مركزة ومكدسة لنشوب التوترات والقلائل فى منطقة متوترة ومقلقلة أصلاً . هذا عدا أن الولايات المتحدة قد دفعت لإسرائيل مبلغ ٣٠٠ مليون دولار مقابل تخزين الأسلحة الأمريكية ، مما يكسب إسرائيل مزيداً من القدرة الاقتصادية على إحداث التوترات .

— حصلت إسرائيل بفضل الصواريخ العراقية على أموال تقدر بعدة مليارات من الدولارات ، استفادت منها فى توطين المهاجرين اليهود السوفيت الذين كانوا يعيشون فى خيام قرب تل أبيب والقدس بعد أن تزايدت أعداد القادمين منهم إلى أرقام فلكية وصلت إلى ٢٠٠ ألف مهاجر يهودى روسى عام ١٩٩٠ .

— عطت أنباء الصواريخ العراقية على أعمال القمع التى يمارسها الإسرائيليون ضد

الفلسطينيين بالأراضي العربية المحتلة بصورة لم يسبق لها مثيل ، إذ تحولت المؤشرات الإعلامية بكاملها نحو أحداث حرب الخليج. ، وتركت لإسرائيل الفرصة في ممارسة حظر التجول الكامل على الفلسطينيين في الضفة والقطاع لمدة زادت عن أربعة أسابيع ، مما حول الضفة والقطاع إلى سجن كبير حدوده هي «الحدود الخضراء» ، وأضحى فيه المسجونون سجناء في بيوتهم وخيامهم لا يستطيعون كسب قوتهم أو ممارسة حياتهم العادية تجارة كانت أو زراعة . هذا عدا تعرض بعضهم لقرارات الترحيل إلى خارج الضفة والقطاع تحت سمع وبصر العالم المشغول بأزمة الخليج عن أزمة الفلسطينيين !

— أتاحت الصواريخ فرصة دعائية جيدة لإسرائيل ، فظهرت بمظهر : الداعى إلى السلام — حامى الحضارة — ضابط النفس — العاطف على خصمه الفلسطيني ، وذلك حين قامت في حملة إعلانية كبيرة بتوزيع ٧٢ ألف كمامة من الأقنعة الواقية من الغازات على الفلسطينيين المقيمين بالضفة الغربية . الأمر الذى أكسبها قطاعاً أكبر من الرأى العام العالمى ، كان قد تحول عنها سابقاً . صحيح أن هذا العالم قد لُخدع في هذه الحيلة الدعائية الإسرائيلية حيث ثبت فيما بعد أن هذه الأقنعة كانت غير صالحة للاستخدام ، وذلك باعتراف الصحف الإسرائيلية التى بررت توزيع هذه الأقنعة رغم أنها تالفة ، بقول « فوشيه ارينز » : أن المستوطنين الإسرائيليين هم السبب في توزيع هذه الكمامات الفاسدة^(١) ، لكن الصحيح أن نشر هذا الخبر لم يعم بنفس الطريقة الإعلامية التى استخدمت في توزيع الأقنعة ، وبالتالي ظل الجانب الأكبر من قطاع الرأى العالمى « المخدوع » غافلاً عن هذه الحقيقة .

— بفضل الصواريخ تحولت إسرائيل في نظر العالم أجمع إلى ضحية من ضحايا الإرهاب العربى ، حيث « ثبت » صدام حسين « بغائه » الشديد و « عناده » الأشد ، أسطورة « العربى القبيح » فتم موازاته بالديكتاتور الألمانى النازى « أدولف هتلر » والروسى « جوزيف ستالين » رغم كل ما يملكه الغرب من عداوى نفسى ضد كليهما .. الأمر الذى أعطى إسرائيل مكاسب معنوية تمثلت في الحصول على أكبر قدر من التعاطف والتأييد الغربى معها ولها !

(١) الأحبار عدد ١١ من أبريل ١٩٩١ .

— أوقفت الصواريخ العراقية لإسرائيل في صف واحد مع العرب المتضررين من صواريخ العراق ، خاصة السعودية .

— ففى مقابل ٢١ صاروخاً سقطوا على السعودية فى الفترة من ١٩ يناير حتى ٢٦ يناير فقط سقط على إسرائيل خلال نفس الفترة ١٣ صاروخاً فقط^(١) — وكان من نتيجة ذلك تردد الأنباء عن مراجعة بعض الدول العربية لموقفها تجاه إسرائيل ، خاصة السعودية ، التى نفت ذلك فيما بعد^(٢) ، أيضاً فقد كان رفع صدام حسين لشعار : الربط بين قضية الكويت وقضية فلسطين ، سبباً جديداً لالتقاء الآراء العربية مع الآراء الإسرائيلية فوق الجانبان ضد شعار صدام الزائف والمراوغ ، واستفادت إسرائيل سياسياً !

— أصبح العدوان العراقى على الكويت ورفض الانصياع لقرارات الأمم المتحدة شهادة لإسرائيل فى محكمة المجتمع الدولى على أنها — ستظل فى خطر التعرض للاعتداء من جانب العرب الذين لا يتورعون عن قتل بعضهم بعضاً والاستيلاء على أراضى الغير وترويع أمنهم ، بل وترويع أمن غيرهم — إسرائيل — التى لا ناقة لها فى الحرب ولا جمل (١) . فإذا كان تصرف العرب حيال العرب هكذا ! فما بالك بإسرائيل المصنفة عدواً عندهم .

— أعطى احتلال الكويت من قبل العراق ، وتأكيده الأخير على « حقوقه التاريخية الثابتة بالكويت » — أعطى لإسرائيل ، لفترة من الوقت ، أساساً لما تنفرد به من ضم الأراضى بالقوة ، وإخفاء أطماعها وراء قناع الحقوق التاريخية .

وهكذا — وكما هو واضح من المكاسب السابقة ، ومن غيرها — قد خفى عنا — حصلت إسرائيل على مجموعة من المكاسب السياسية والعسكرية والمادية والاقتصادية والمعنوية أضعاف ما كانت ستحصل عليه لو دفعها انفعالها إلى الرد الفورى ومحاولة الانتقام العسكرى من العراق ، لذا فهى لم تستجب للضغط الأمريكى بأبعادها عن حلبة الصراع لأنها مقتنعة بذلك ، ولكن لأن مصلحتها الواضحة من الابعاد كانت وراء ذلك ، وهى لم تتمسك « بضبط النفس المزعوم »

(١) صحيفة المساء عدد ٢٦ يناير ١٩٩١ .

(٢) الأخبار عدد ١١ أبريل ١٩٩١ .

لحرصها على احترام المخاوف الأمريكية من أن يؤدي تورطها في الحرب إلى انشطار التحالف ضد العراق . ولكن — كما تقول وكالة «الاسوشيتدبرس» في تقرير لها من القدس (١) — لأن إسرائيل تحقق عدة أهداف من وراء سياسة «ضبط النفس» . وما «ضبط النفس» هذا إلا أكذوبة أحسنت إسرائيل تجميلها لتصبح أسطورة من أساطير إسرائيل السياسية التي تكسب دائماً من ورائها .. تماماً مثلما كسبت من وراء الصراع في حرب الخليج ككل ، حيث تعدت مكاسب إسرائيل من وراء الصراع عامة ، مكاسبها من وراء سقوط الصواريخ العراقية ، فإذا كانت الصواريخ «الصدامية ، الفشنك» قد نجحت في تعزيز كيان إسرائيل وجعلته أشد وأقوى وأعظم بأساً وأكثر خطورة على أمنا العربية ، فإن حرب الخليج قد حققت لإسرائيل مكاسب أكبر وأخطر وأكثر من ذلك ، ومن هذه المكاسب نذكر :

* إضعاف الآلة العسكرية العربية، بيد غير يد إسرائيل ، ودون أن تخسر إسرائيل شاقلاً واحداً ، إذ تكفلت قوات التحالف بتحقيق الأمنية الإسرائيلية ، وهى تدمير آلة الحرب العراقية ، مما يخفض حجم وقدرة القوات العربية بنسبة الثلث تقريباً ، حيث كانت الترسانة العسكرية تمتلك ما يزيد عن خمسة آلاف دبابة وثلاثة آلاف عربة مدرعة ونحو ٥٠٠ صاروخ بعيد المدى ، وما يزيد عن ٦٠٠ طائرة حربية ، أدت حرب الخليج إلى تدمير ما يزيد على ثلاثة أرباعها جميعاً . الأمر الذى يخل بميزان القدرة العربية .

* إضعاف أحلام مضاعفة القدرة الاقتصادية العربية عبر توظيف الثروة العربية لصالح التحديث والتقدم والتحرر في إطار التكامل العربى ، إذ وأدت حرب الخليج هذه الأحلام حين تكفلت الدول العربية بالجانب الأكثر من نفقات الحرب ، فى حين أن الحرب موجهة أيضاً إلى جانب عربى ، وتلك هى الآفة الكبرى ، الضارب والمضروب عرب ، وقد أشارت تقديرات الخبراء الاقتصاديين إلى أن خسائر البلدان العربية من جراء حرب الخليج بلغت ٤٣٨ مليار دولار ، مما يعنى احتياج العالم العربى إلى جهود ضخمة على مدى عدة أجيال لتعويض هذه

(١) الأهرام عدد ١٥ فبراير ١٩٩١ .

الحسائر^(١) ! .. والغريب أن الولايات المتحدة الامريكية رغم قيامها بالجانب الأكبر من العمليات الحربية خرجت من الحرب وفي جيبيها مبلغ ٣٣ مليار دولار أرباحاً صافية (!)^(٢) .

* انهيأر أحد أعمدة العرب الرئيسية التي كانوا سيعتمدون عليها في المرحلة القادمة للوصول إلى إحدى حالتين :

— منطقة منزوعة من أسلحة التدمير الشامل (الأسلحة غير التقليدية) في الشرق الأوسط ، بما في ذلك دولة إسرائيل .

— « تعادل الموت » حيث يسمح امتلاك الطرفين العرب وإسرائيل لأسلحة الدمار الشامل بحدوث توازن في قوى الدمار .

ولكن انهيار القدرة العراقية نووية أو كيميائية أو صاروخية بفضل الضربات الجوية والصاروخية التي قامت بها قوات التحالف ضد أماكن تواجدها ، جعل إسرائيل تنفرد بامتلاك مثل هذه النوعية « القدرة » من الأسلحة ، والغريب أن بعثات التفتيش الدولية مازالت حتى بعد مرور ثمانية أشهر على حرب الخليج تجوب أنحاء العراق بحثاً عن أى رائحة يشتم منها امتلاك العراق لقدرات نووية ، في نفس الوقت تركت إسرائيل التي أعلنت على لسان رئيس دولتها امتلاكها الرسمي للأسلحة النووية ، تركتها لحال سبيلها !

* انهيار الدعم المالى الذى كان يسند « زير » منظمة التحرير الفلسطينية ، والفلسطينيين الذين يعانون شظف العيش في الضفة الغربية وغزة وذلك بتوقف الدعم المالى الذى كانت دولة الخليج تقدمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، نتيجة تأييد رئيسها « ياسر » عرفات ، لموقف صدام حسين ، وتوقف تحويلات أقارب الفلسطينيين بالضفة والقطاع ، والموجودين في دول الخليج بسبب اعتبارهم طابوراً خامساً للنظام البعثى العراقى ، وعند هذه النقطة (التأييد الفلسطينى

(١) صحيفة الوفد عدد ٢٤ أبريل ١٩٩١ .

(٢) صحيفة أخبار اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٩١ ، حيث ذكرت تقارير مكتب الإدارة والميزان الأمريكى بأن الدول المشتركة في التحالف تعهدت بدمع ٤٨ مليار دولار في حين أن تكاليف عمليتى درع الصحراء وعاصفة الصحراء كانت حوالى ١٥ مليار دولار ، وبالتالي فإن أمريكا حققت ربحاً قدره ٣٣ مليار دولار .



يهود يشكرون أمريكا على إرسالها صواريخ باتريوت إلى إسرائيل لقد مثلت هذه الصواريخ أحد أهم مكاسب إسرائيل من حرب الخليج التي أدعت فيها ضبط النفس قهراً وضد رغبتها . لقد كان العراق — على حد قول إسحاق رابين — رئيس الوزراء السابق — وراء مضاعفة القوة العسكرية الإسرائيلية فلولا الحرب ما استطاعت إسرائيل أن تحصل على صواريخ باتريوت .



صاروخ باتريوت ينطلق في سماء تل أبيب لصد صاروخ عراقي رغم كل ما حققه الصاروخ لإسرائيل . عادت إسرائيل فانتقدته !

لديكتاتور العراق) يهمننا أن نركز على الأسباب التي دعت إلى مثل هذا التأييد وقادت قيادة الانتفاضة إلى الاعتماد على الخارج لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ، وهو أمر حدث في بعضه لاشعورياً نتيجة تراكم الصراع العربي — الإسرائيلي على مدار نصف قرن من الزمان ، وفي بعضه الآخر تم دفع الفلسطينيين من قبل إسرائيل إليه دفعاً . فمن جهة ، فإن الفلسطينيين ، ونتيجة لتصرفات صدام الخاصة بقدرته على حرق نصف إسرائيل ، وجدوا لأول مرة بطلاً يستطيع أن ينقذهم من جحيم العصابة الصهيونية الحاكمة في إسرائيل ، خاصة وأن صدام حسين ظل طوال عدة شهور سابقة على أزمة الخليج يتحدث باعتباره الناطق باسم فلسطين ، والمدافع عنها ؛ بل والوحيد المؤهل لضرب عمق إسرائيل ، مثلما ضرب عمق إيران .

ومن جهة ثانية فقد دفع الإعلام الإسرائيلي الفلسطينيين دفعاً لتأييد حاكم العراق ، فاتبعت الدعاية الإسرائيلية مع الفلسطينيين أسلوباً معقداً وبالغ البشاعة لدفع الفلسطينيين إلى هذا الموقف . بل حاولت الحكومة الإسرائيلية جاهدة قطع الطريق أمام بلورة رأى عام فلسطيني يعارض حاكم العراق ويعارض احتلاله للكويت ، فقامت على سبيل المثال باعتقال السيد «نسيئة» الذي أدان الغزو العراقي للكويت ! وذلك كجزء من استراتيجية صهيونية تهدف إلى :

—تشويه صورة الفلسطينيين أمام الرأى العام العالمى، مما يمنحها فعلاً الذريعة الدعائية ، على الأقل ، لكى تعاملهم معاملة قاسية دون أن تجد أى احتجاج عالمى . وهذا ما حدث فعلاً عندما قامت إسرائيل بفرض حظر التجول عليهم طوال شهر الحرب الأول دون أن تراعى ظروفهم المعيشية السيئة ، وحركتهم الاقتصادية.الراكدة واحتياجاتهم الماسة إلى المواد الغذائية الأساسية التى تقيم أودهم خلال تلك الفترة ، مما اضطر الحكومة المصرية إلى طلب رفع حظر التجول عن هذا السجن الكبير الذى صنعته إسرائيل للفلسطينيين .

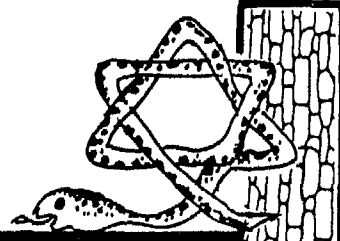
— إحداث القطيعة والفرقة بين الفلسطينيين والعراقيين من جانب ، وباقي العرب من جانب آخر ، وللحقيقة فقد تكفلت حرب الخليج بإحداث انقسام عربى حاد ، مما جعل إسرائيل مطمئنة ولعدة سنوات قادمة إلى أن أحداً لن

يزعجها ، فى حين تكفلت صواريخ صدام بصنع أسطورة ضبط النفس ،
وخدعة الإستجابة القهرية للرجبة الغريبة ، والتى لولاهما لما تدفق على إسرائيل
هذا السيل الهائل من المكاسب السياسية والمادية والعسكرية والمعنوية . فالفضل
الأول لهذه المكاسب هو أسطورة الاستجابة القهرية للرجبة الغريبة لضبط
النفس ، والفضل الأول لهذه الأسطورة هو صواريخ صدام حسين الغيبة ، التى
لم تصنع شيئاً واحداً هاماً للعرب سوى أنها هزت نظرية الأمن الإسرائيلى .
ولهذا حديث آخر .



● أسطورة الأمن الإسرائيلي

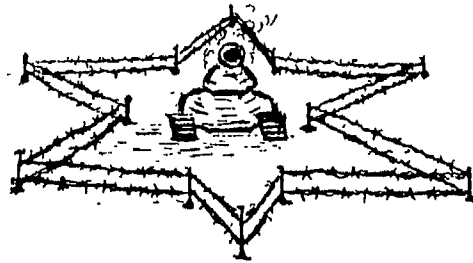
- الأمن أحد المشاعر التي لا تدخل في إطار القياس .
- الأمن القومي الإسرائيلي خلافاً للقاعدة لا يرتبط بأمن الدول المجاورة !
- استغلال أسطورة المساواة للتوسع على حساب العرب .
- التفسير الحقيقي لرفض إسرائيل قيام الدولة الفلسطينية هو حاجتها إلى المياه .
- ثوابت ومتغيرات المفهوم الأمني الإسرائيلي .
- الردع النووي الإسرائيلي يتحرك من نظرية « القنبلة في القبو » إلى نظرية « هاهي القنبلة » !
- صواريخ صدام حسين رغم أنها طائشة وبدائية إلا أنها هزت أمن إسرائيل الداخلي .
- الهجرة ليست عماد الأمن لأنها وسيلة توسع .
- ليس لليهود تراث واحد ولا ثقافة واحدة .
- أثبتت الحروب مع إسرائيل انهيار مفهوم الحدود الآمنة والحرب الخاطفة والحرب الوقائية .
- الردع النووي الإسرائيلي سلاح ذو حدين .
- فشلت المخابرات الإسرائيلية في تحقيق هامش الأمن بالزمان .
- مخاوف إسرائيل الأمنية لا أساس لها إلا في مخيلة مريضة .
- السلام هو عماد الأمن ، ومثلما لا أمن لإسرائيل ، لا أمان لها .



الفصل السادس أسطورة الأمن الإسرائيلي

«إن الدرس القاسى الذى تعلمناه هو أن الجغرافيا وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، وأن القوة العسكرية وحدها لا يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، أن إسرائيل وجيرانها سوف يتمتعون بالأمن الحقيقى والدائم عندما يصلون إلى مصالحة حقيقية»

الرئيس الأمريكى جورج بوش
فى خطاب لإحدى المؤسسات اليهودية بلوس
إنجلوس بتاريخ ١٧ يونية ١٩٩١



● أسطورة الأمن الإسرائيلي

ذكرنا أن الصواريخ العراقية التى سقطت على إسرائيل لم تصنع شيئاً واحداً هاماً للعرب سوى أنها هزت نظرية الأمن الإسرائيلي ، وقد حان الوقت لنسأل :

— ما المقصود بالأمن الإسرائيلي ؟

— ولماذا تهتم إسرائيل أكثر من اللازم بالقضية الأمنية ؟

— وماهى ركائز نظرية الأمن الإسرائيلية ؟

— وهل نظرية الأمن الإسرائيلي ، نظرية ثابتة أم متغيرة ؟

— وماهى ثوابتها وماهى متغيراتها ؟ وكيف هزت الصواريخ هذه النظرية ؟

— وهل هى نظرية سليمة غير قابلة للاهتزاز ، أم أن ركائزها وثوابتها ومتغيراتها ، وليدة الفكر الأسطورى ولا تصمد أمام المعطيات الفعلية للصراع العربى — الإسرائيلي ؟

— وإذا كانت لا تصمد ، فما هى الركائز التى تصمد وتصلح قياساً لضمان الأمن الإسرائيلي ؟ .

بداية نشير إلى أن تعريف الأمن يخرج عن إطار التحديد ، شأنه فى ذلك شأن كل أمر معنوى يرتبط بالمشاعر والأحاسيس ، فعلى خلاف الأشياء المادية التى تقاس بالمساحة أو الكتلة أو الزمن أو الكثافة قياساً دقيقاً . فإن أحداً لم يستطع وضع قياس أو تعريف للحزن أو الوجد أو السرور أو الأسى أو البؤس أو السعادة أو الرضا أو الغضب أو الأسف .. إلخ . لأن تلك المدركات — كما يقول د . أحمد جلال عز الدين الحاصل على دكتوراة فى الاستراتيجية القومية — تعبر عن تصورات ذهنية وخلجات للنفس هى أبعد ما تكون عن القياس المادى الجامد والمحاييد أو عن التعبير الموضوعى المجرد .

فالأمن أحد المشاعر التي لا تدخل في إطار القياس ، ولا تعبر عنه إحصاءات ، ويقتصر دور الإحصاء فيه على طرح مؤشرات قد يصدقها الشعور عندما يتفق الاحساس مع الواقع . وعلى الرغم من اختلاف الأهداف القومية للأمم ، وتنوع وتدرج مطالب وطموحات الإنسان الفرد ، يظل الأمن والرفاهية أولى الأهداف الأساسية التي يترتب على توفرها كل أساسيات الحياة ، وتلك حقيقة قالها الحق في كتابه الكريم ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ .

ولما كان الأمن معنى مدركاً إدراكاً كلياً ، فقد اختلط على كثيرين من تعرضوا لموضوع الأمن القومي بالدراسة والتحليل ، الفارق بين تعريف الأمن القومي وبين مفهوم الأمن القومي . فتعريف الأمن القومي — كما يقول د . أحمد شوقي الحفنى^(١) — يمكن القول عنه أنه الإطار التنظيمي أو النظرى ، بمعنى أن معظم التعاريف له تقدم الوجه المثالي أو القريب من ذلك ، فهي تحاول أن تفسر أو تعرف الأمن القومي .

وبكلمات أخرى يمكن القول أن تعريف الأمن القومي هو عبارة عن الدلالة الاصطلاحية ، أى تفسير المصطلح والتعريف به ، أو أنه عبارة عن المفهوم الوصفى **Descriptive** ، أما مفهوم الأمن القومي فهو الإطار الحركى ، أو هو فكرة الدولة **Concept** في تحقيق أمنها القومي ، أى أنه الإطار العملى أو الإجرائى الذى تتبناه الدولة لتحقيق أمنها القومي الذى يطلق عليه البعض المفهوم التحليلى **Analytic** ، ويمكن القول بأن مفهوم الأمن القومي هو الجانب التطبيقى ، ومن ثم يصعب التعرف على مفهوم الأمن القومي لدولة ما من خلال تعريفها للأمن القومي أو من خلال ما تقدمه من نظريات أو كتابات دون الرصد والمتابعة لتكون الأحكام عليها أقرب إلى الصواب .

وينبع الأمن القومي لأى دولة من أمن المواطن بها ، وهو أمن أقرته له حقوق الإنسان ، ولما كان الأمن القومي لأى دولة كثيراً ما يصطدم مع متطلبات الأمن

(١) مقال : كيف تفكر إسرائيل في أمنها القومي ، بقلم د . أحمد شوقي الحفنى . مجلة المنار — العدد ٤١ —

القومى لدولة أخرى ، لزم أن يكون أمن الدولة أو الأمن القومى ، مرتبط بالأمن الدولى الشامل أو الجماعى ، الذى يتسع لأكثر من دولة فى آن واحد . والأخير لا يتركز على الأمن القومى أو « الداخلى » لدولة بعينها ، بل على المشاكل الأمنية التى تثيرها العلاقات بين الدول ذاتها ، ومبرر طرحه هو تحاشى معالجة هذه المشاكل بطريق العنف أو الحرب . وهو مفهوم يفترض استبعاد الحرب سبيلا لمعالجة المنازعات ، ويستمد مشروعيته من أن مصالح الدول تزداد تداخلاً ، وأن ظاهرة الاعتماد المتبادل بينها تزداد تدعماً مع تعدد وتنوع صور التدويل فى العلاقات الدولية المعاصرة^(١) .

وانطلاقاً من هذه القاعدة ، يجب أن يكون الأمن القومى لدولة إسرائيل مرتبطاً بالأمن القومى لمجموعة الدول المحيطة بها من جهة ، وهى مجموعة دول الشرق الأوسط ، ومن جهة ثانية بالأمن الدولى الشامل الذى تمثله الدول الكبرى والقوى العظمى .

غير أن الأمن القومى لدولة إسرائيل — على غير هذه القاعدة — يقوم على عدم التطابق مع المفهوم الدولى للأمن الذى هو بالأساس يقوم على السلام لا الحرب ، إذ لا يشعر الأمن القومى الإسرائيلى ، بمدى الحاجة إليه ، إلا سكان إسرائيل ، الذين تقرر احتياجاتهم الأمنية من منطلق خاص بهم ، لا يضع فى الاعتبار المنطلقات الموضوعية الأخرى التى تضعها الدول المحيطة بها ، أو حتى الدول الصديقة لها ، — بما فى ذلك أقرب أصدقائها — وهى منطلقات تعتمد كلياً على الرغبة فى السلم والسلام .

وقد يعود السبب فى تفرد المنطلق الإسرائيلى للأمن إلى أن مفهوم الأمن الإسرائيلى هو نتاج تاريخ بعيد وقديم ، فلا يمكن فصل المفهوم الإسرائيلى المعاصر للأمن ، عن بعده التاريخى الذى شكل تراثه وحضارته على مر سنين متعاقبة . فالتاريخ الإسرائيلى يلعب دوراً كبيراً فى تشكيل المفهوم الإسرائيلى للأمن ، فمن الثابت أن الشعوب أو الدول التى لاقت كثيراً من العنت أو الاضطهاد تكون حساسة بدرجة كبيرة لمسائل الأمن فهى مليئة بمركبات من العقد نتيجة تاريخها

(١) مقال أمن الدولة وأمن المواطن ، بقلم محمد سيد أحمد . الأهرام عدد ٢٥ أبريل ١٩٩١ .

الحافل بالاضطهاد والتشتيت والتكيد والتعذيب ، وإذا ما استعرضنا تاريخ اليهود لوجدناه حافلاً بمثل هذه المسائل ، الأمر الذي طبع إسرائيل بطابع الخوف والقلق وجعل منها جيتو Ghetto على نمط وشكل جديد في المنطقة العربية ، كذلك أيضاً الدول التي نشأت بالاغتصاب والاستيطان وترتبط بعلاقات صراعية مع جيرانها تكون أيضاً حساسة بالنسبة للأمن ، وهذا وضع آخر ينطبق على إسرائيل ، لذا تنظر إسرائيل إلى كل ما يدور حولها بمنظور الأمن ، وينطبق عليها وصف «دانييل يارجن» بأنها دولة الأمن Security State أى أنها الدولة التي تجعل من الأمن محركاً لسياستها الخارجية ، كما أنها تذكرنا بالوصف الذي استخدمه «هارولد لاسول» في التعبير عن الدولة التي تستخدم أساليب العنف وحدها لتحقيق أمنها القومي على حساب الآخرين ، فوصفها بأنها «دولة بوليسية» Garrison . وتميز هذه الدولة بسيطرة المتخصصين في العنف^(١) . وفي تقدير كثير من الخبراء والمختصين أن هناك عدة عوامل أخرى تجعل من لافتة «أمن إسرائيل» هي أعلى لافتة مرفوعة فوق سارية المجتمع الاستيطاني الصهيوني ، وتجعل «القضية الأمنية» تبدو للعين كما لو كانت تسبق ماعداها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن هذه العوامل :

١ - أن المفهوم الشائع للأمن ، مفهوم واسع يشمل كل ما يتصل بوجود إسرائيل من الجوانب العسكرية والاستراتيجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ - أن التركيز الدعائي على «عنصر الأمن» يفيد إسرائيل في كسب تعاطف ومؤازرة الرأي العام . وبالأخص الغربى - مع هذا الكيان الصهيوني «الصغير»^(٢) ومن المعروف أن الإنسان كثيراً ما يشفق على من هو في حالة دائمة من التهديد من قبل من هم أقوى منه . وهو إشفاق تحسن الدعاية الإسرائيلية تضخيمة لدى الرأي العام العالمى بالتضخيم من حجم التهديدات الغربية «بالقاء إسرائيل في البحر» رغم أنها في مضمونها تهديدات جوفاء لا تخرج عن كونها قد

(١) كيف تفكر إسرائيل في أمنها القومي . مرجع سابق ص ٩٨ .

(٢) د . السيد عليوة : منشورات مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية «قوار الحرب في السياسة الإسرائيلية» . بالأهرام - القاهرة ١٩٧٧ - ص ٦٥ - ٦٦ .

صدرت للاستهلاك المحلى للدولة الصادرة منها .

٣ — إن الحديث المتكرر عن «الأمن المهدد» يساعد في تنشيط الحركة الصهيونية لجذب اليهود من الشتات ، واستقطاب رؤوس الأموال والتبرعات .

٤ — إن الالحاح الدائم على قضية الحرب يساهم أساساً في توحيد المجتمع فلا ريب أن تاريخ الصراع العربى — الإسرائيلى — يشير إلى أن المجتمع اليهودى في فلسطين قد استثمر تجربة الحرب أو التهديد بالحرب لصالحه كثيراً ، حيث إنها ساهمت في عمليات التعبئة السياسية وتحقيق الدمج الاجتماعى وحل مشاكله الاقتصادية .

٥ — إن إسرائيل تعتبر نفسها جزيرة محاطة ببحر من العرب الأعداء ، وهو ما يشكل خطراً داهماً ويزيد للأمر خطورة بالنسبة لها أن التجمع العربى البشرى والعسكرى لا يقبل إسرائيل كدولة وغير راغب في قبولها كعضو في النظام الإقليمى ، الأمر الذى ينتظر معه أن تتعرض إسرائيل في أى وقت للهجوم من قبل العرب ، أو على أقل تقدير يظل الخوف مسيطراً على الإسرائيليين لمدة طويلة كرد فعل لهذا الشعور العربى الرافض لوجودها كدولة احتلال ، والغير متقبل لها .

وفي تقدير الخبراء أيضاً أن «الأمن القومى الإسرائيلى» يركز على عدة ركائز أساسية نذكر منها :

• المرتكز الأول هو التوسع إلى حدود «أرض الميعاد» ، وهو توسع يستند إلى مقولة «أن فلسطين هى أرض الميعاد» وهى مقولة جد خاطئة إلا أنها وجدت خلال هذا القرن من يحبها ويغذيها برافد من التنميق حتى صارت هى الرابط الذى يجمع بين الصهاينة ، وهى النهر الذى يشكل بزخمه البشرى عماد الدولة في إسرائيل ، حيث إنها «العامل الروحى» الوحيد الذى يجمع بين كل اليهود في العالم ، لذلك ترى الصهيونية أن كل من يجترئ على حلم «العودة إلى أرض الميعاد» فإنه يجرد الصهيونية من مقوم الوحدة بين يهود العالم المنتشرين في شتى دوله وأرجائه ، وبين أرض ضهيونية . ويكون هذا المجترئ مناهضاً ومقوضاً لأركان الأمن الإسرائيلى .

ثم أن التوسع في حد ذاته يقى إسرائيل من «الاختناق» .. ووفقاً للمعتقدات اليهودية ، فإن الاختناق معناه الانتحار . وهم يضربون مثلاً بما حدث لهم في «قلعة ماسادا» .. فعندما شبت الثورة اليهودية عام ٧٣ ميلادية ، تقدمت الجيوش الرومانية لسحق اليهود الذين هربوا إلى إحدى القلاع المطلة على البحر الميت . القلعة اسمها ماسادا ، عالية ، فوق صخرة ، ولها جدران عالية ووراء الجدران أخرى . ووراءها جدران ثالثة ، ودارت القوات الرومانية حول القلعة ، وراح الرومان يرمون القلعة المنيعه بالأخشاب الثقيلة والأحجار . ويتسلقون جدارها العالى على سلام طويلة ، وكان يقود اليهود في هذه القلعة أحد زعمائهم واسمه «اليعازر باثير» . ونجح الرومان في تحطيم الجدار الخارجى ، وتساقطت الحجارة تتراكم على الجدار الذى يليه ، فأصبح الجدار الثانى أقوى من الجدار الأول . وشدد الرومان الحصار ، وأمسك المؤرخ اليهودى يوسيفوس ، الذى اختار أن يكون جاسوساً على قومه لقاء مبلغ من المال على كل رأس يهودى — بالبوق يطلب من اليهود التسليم . ثم راح الرومان يلغون المشاعل على القلعة ، فأحترقت الأعواد الخشبية وارتفع الدخان الذى حملته رياح مواتية إلى الداخل حيث المحصورين بالقلعة . أما ما الذى حدث في داخل القلعة ، فقد روته عجوزان وخمسة من الأطفال ، يقول المؤرخ يوسيفوس إن القائد اليهودى «اليعازر» قد طلب إلى رجاله أن يقتلوا زوجاتهم وبناتهم وأطفالهم أولاً .. فأقبل الرجال وفعلوا ذلك .. ثم طلب إليهم أن يختاروا عشرة ، وتقدم عشرة منهم . وطلب إلى كل واحد من العشرة أن يقتل عشرة آخرين .. وأن يختاروا من العشرة واحداً ليقتل التسعة الباقين .. ثم أن يقتل نفسه في النهاية . ويقال إن الرجل قد فعل ذلك .. فلما دخل الرومان القلعة لم يجدوا واحداً .. الكل مات إلا هاتين العجوزتين والأطفال الخمسة الذين هربوا من إحدى الفتحات .

أن ما حدث في قلعة «ماسادا» هذه في يوم عيدهم سنة ٧٣ ميلادية، — يقول أنيس منصور^(١) — هو البعبع الأكبر في تاريخ اليهود في كل بلد ، فهم يخافون أن يحاصروا حتى الموت . وإسرائيل اعتباراً على «أسطورة ماسادا

(١) أنيس منصور : الصابرا . مرجع سابق ص ١٥٩ .

المرعومة» تخاف أن تحتنق إذا ضاقت ، لذا فهي تبحث عن الاتساع لأن الاتساع يعطيها الأمن ، ولذا فهي تبحث كل يوم عن «الحدود الآمنة» ، وهي نقطة معناها أن يوسع اليهود أرضهم خوفاً من العرب .

وعلى هذا يجب أن يتلوعوا الضفة وغزة حتى تكون إسرائيل أعمق ، ويكون الحصن ذا أسوار أبعد ويجب أن يتلوعوا مصر والأردن وسوريا والعراق ولبنان حتى يأمنوا على أنفسهم من المصريين والأردنيين والسوريين والعراقيين واللبنانيين .

ويجب أن تكون دولتهم بناء على آراء « مخرفهم» من المحيط الأطلسي غرباً إلى الخليج العربي شرقاً ضمناً لإسرائيل من أي عدو عربي ، وحرصاً على أمنها في الاختناق في قلعة صغيرة تشمل حدود ما قبل عام ١٩٦٧ .. إنها عقدة « قلعة ماسادا» هكذا تزرع الركيزة الأمنية الإسرائيلية !

• والمركز الثاني هو إقامة المستوطنات اليهودية باعتبارها قلاعاً أمامية ، داخل القلعة الكبيرة إسرائيل ، وفي هذا الصدد يذكر «آلان ديكوف» في كتابه مجالات إسرائيل^(١) ، منشورات دار الدفاع الوطني بفرنسا ، إن إسرائيل كانت قبل عام ١٩٦٧ ترى أنها كانت تفتقر إلى العمق الاستراتيجي ، وبالتالي كان لابد لها من «تأمين» هذا العمق بحجة «الحفاظ على أمنها» ، (وعلى غرار الأسلوب القديم في بعثة المستوطنات بين ربوع وأرجاء فلسطين) كانت خطة «إيجال آلون» وزير الخارجية الإسرائيلي في حكومة «إسحاق رابين» (١٩٧٤) تشكل مشروعاً رسمياً يرمي إلى إقامة استراتيجية أقليمية تقوم على الاعتبارات العسكرية وحدها .

لقد كانت إقامة المستوطنات بعد حرب يونيو ١٩٦٧ تمثل أحد نقاط الارتكاز في سياسة التوسع والاحتلال ، حيث يقوم الجيش وبصفة دورية بمصادرة الأراضي الفلسطينية باعتبارها مناطق عسكرية مخصصة «للقيام بأعمال التدريب» ثم تتحول هذه الأرض إلى مستعمرة تتحول بدورها إلى مستوطنة .

وهكذا لا ترمى عملية بناء المستوطنات والمستعمرات الاستيطانية إلى تثبيت

1) Alain Dieckhoff: les Espaces D' Israel, Fondation pour les Etudes de Defense Nationale, Paris, 1987.

مفهوم الاستيطان الصهيوني فحسب ، وإنما ترمى أيضاً إلى « جعل المستعمرات تلعب دور الحدود » . إذ يتلاحظ أنه قد أقيم على الضفة الغربية « حاجز بين المستعمرات على طول نهر الأردن وعلى ضفاف البحر الميت » ونفس الأمر على شواطئ غزة أو في هضبة الجولان مما أدى إلى « إقامة سد بشري على محيط الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ .

ويبدو بوضوح من خلال التمثيل اللذين يتم إقامة المستعمرات على أساسها ، أن الهدف الرئيسي منهما مزدوج الاستيطان والدفاع .. وهذان التمثيلان هما : « الناحل » و « الكيوتز » .. والناحل هو مجموعة من شباب الجيش ينضم إليهم شباب تمت دعوتهم للخدمة العسكرية ، يقوم أولاً بتشكيل نواة . وبعد فترة من التكوين تجمع بين التدريب العسكري والتعليم الزراعي ، يتمثل دورهما ، إما في تدعيم مستعمرة مدنية قائمة من زمن ، وإما تشكيل موقع متقدم ذي أهمية استراتيجية . أما « الكيوتز » فقد حدد « إيجال آلون » الدور الذي لعبته منذ منتصف سنى الثلاثينيات بدفع من المؤسسات الصهيونية الرائدة إذ كان يليى مد البداية حاجات « سياسية — استراتيجية » فأختيار موقع المستعمرات مثلاً كان لا يخضع لاختبارات اقتصادية فحسب وإنما أيضاً وبشكل رئيسي لاحتياجات الدفاع المحلي ، وللإستراتيجية الشاملة للاستيطان ، وللدور الذى يمكن لهذه الكتلة من المستعمرات أن تلعبه فى الصراع مستقبلاً ، أى أنه أمن ، واستيطان ، وفرض لسياسة الأمر الواقع لمنع أى تحركات عربية من الوصول إلى سلام حقيقى باستعادة الأرض العربية ، حيث ستشمل هذه المستوطنات المشكلة المستعصية على الحل ، وتكون بمثابة ورقة إسرائيلية رابحة فى أى مفاوضات قد تجرى بين إسرائيل والعرب .

• والمرتکز الثالث هو عدم رد الأراضي العربية ، وبالتالي عدم قيام دولة فلسطينية . وعلى هذا المرتکز تلتقى جميع الحكومات الإسرائيلية . والتفسير المباشر الذى تقدمه هذه الحكومات هو أن الدولة الفلسطينية ستكون بمثابة ملجأ للإرهاب . وإثارة للقلاقل فى المنطقة ، لأنها ستكون كل عداء لإسرائيل لتجر المنطقة إلى الصراع والحرب مرة أخرى بدلاً من حلول السلام الذى تنشده جميع دول المنطقة !

غير أن التفسير الحقيقي لرفض إسرائيل قيام دولة فلسطينية هي حاجتها لتأمين شيعين : العمق الجغرافي ومصادر المياه .

وفيما يخص العمق الجغرافي فإن إنشاء دولة فلسطينية بالضفة الغربية معناه أن تعود إسرائيل إلى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، حيث كانت إسرائيل مثلثة الشكل وتفتقر إلى العمق من اتجاه سوريا والأردن والضفة الغربية حيث كان يبلغ العمق من القدس حتى أشدود أو تل أبيب على البحر المتوسط ١٨ — ٢٠ كيلو مترا . ومن المنظور العسكري فإن أى قوة عسكرية متفوقة تنطلق من القدس يمكنها شطر إسرائيل نصفين خلال يوم قتال ناجح ، وهذا أمر يقتضى من وجهة النظر الإسرائيلية تأمينه بزيادة هذا العمق كى تتجنب شبح التهديد الذى كانت مهددة به فى حرب عام ١٩٦٧ .

وفيما يخص مصادر المياه ، فمن المعروف أن إسرائيل ما قبل عام ١٩٦٧ تفتقر إلى مصادر المياه الدائمة ، وباستثناء الأنهار الموسمية ، فلا توجد أى أنهار ثابتة يمكنها من خلالها استثمار مواردها المائية فى أغراض الزراعة والشرب ، وعلى العكس تقع جميع الأنهار التى تغذى إسرائيل بالمياه الجوفية خارج حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، وهذه الأنهار هى نهر الحاصباني الذى يصب فى بحيرة طبرية ونهر الأردن الذى يصب فى البحر الميت ونهر اليرموك الذى يصب فى نهر الأردن ، إضافة إلى نهر الليطاني . وبالنظر لأن نهر الأردن ونهر الحاصباني يمران فى أراضى الضفة الغربية ، وبالنظر لأن مختلف التقديرات تشير إلى أن إسرائيل ستواجه فى التسعينات نقصاً حاداً وخطيراً فى مواردها المائية قد يصل — على حد أحدث تقرير قدمته مراقبة عام الحكومة الإسرائيلية مريام بن بوريث إلى الكنيست فى ٩ يناير ١٩٩١ — إلى حد الكارثة خصوصاً فى توفير مياه الشرب العذبة . لذا فإن رفض قيام دولة فلسطينية تفرض سيطرتها على مصادر المياه التى « تعيش » عليها إسرائيل الآن يمثل ركيزة أساسية فى المنظور الأمنى الإسرائيلى .

تلك كانت الركائز الثلاث التى يركز إليها « الأمن القومى الإسرائيلى » ، بيد أن المفهوم الأمنى الإسرائيلى يشتمل فى محتواه على نوعين من المفاهيم .

الأول مفاهيم أمنية ثابتة ، والثاني مفاهيم أمنية ديناميكية متغيرة .

والمفاهيم الأمنية الإسرائيلية الثابتة هي :

١ — ضمان تيار الهجرة إلى إسرائيل وزيادة معدلاتها .. وبشأن هذا الموضوع ، كانت ولا تزال رؤية كل زعماء إسرائيل ، وكل المهتمين بشئونها ، أن الهجرة تقف على قمة الأولويات الأمنية الإسرائيلية . وفي هذا الصدد كانت رؤية بن جوريون ، أن مشكلة إسرائيل الرئيسية هي الأمن ، وأن هذا الأمن لا يمكن أن يحققه «أى جيش مهما بلغ تسليحه» . ولكن تحققه «هجرة اليهود المستمرة والمتدفقة إلى أرض إسرائيل حتى يفد إليها جميع يهود العالم .. وقد قالت جولدا مائير أيضاً فى هذا الشأن» إنى لا أستطيع أن أفصل أمن إسرائيل عن تعمير النقب والجليل . وترى (جولدا مائير) أن تعمير إسرائيل لن يتم إلا بواسطة المهاجرين من اليهود ، وإذا ما ظل حماس اليهود ودعمهم لإسرائيل بالمال وهم خارجها فستبقى النقب خالية ومهجورة . ومؤخراً أعلن أحد مسؤولى الوكالة اليهودية يقول : «إذا نضب ينبوع الهجرة فلن نستطيع الحفاظ على الدولة حتى وإن عقدنا تحالفاً سلمياً مع كل جيراننا . أن المحيط العربى سيبتلعنا دون أن يترك لنا أى أثر»^(١) .

إذن فالهجرة هي الحل الوحيد للقضاء على الخطر الديموجرافى الذى تخشى إسرائيل منه إذا ما ظلت محتفظة بالصفة الغريبة ، حيث تبلغ نسبة خصوبة المرأة الفلسطينية أضعاف مثلتها الإسرائيلية ، أو حتى إذا ردت لها للعرب الذين يبلغ تعدادهم ضعف تعداد إسرائيل بما يصل إلى ٤٠ مرة . وانطلاقاً من هذا تنظر إسرائيل بعين القلق إلى ضعف معدلات الهجرة إليها ، أو إزدياد حركة الهجرة المضادة فيها ، خاصة هجرة الأدمغة . وترى أنهما من عوامل تهديد الأمن القومى الإسرائيلى الذى تجند له كل قواها الداخلية والخارجية وجميع الجهات المتعاونة معها . فهي تعمل فى الداخل على زيادة القدرة الاستيعابية للمهاجرين الجدد إدارياً واقتصادياً واجتماعياً ، ولا تدخر فى سبيل ذلك جهداً ، كما أنها تعمل فى الخارج على اتباع سياسة «الجذب والدفع» ، وفى الأولى — الجذب — تعمل الدعاية والإعلام الصهيونى جاهدة على ترغيب اليهود فى الهجرة إلى إسرائيل ، وفى الثانية

(١) كيف تفكر إسرائيل فى أمنها القومى ، مرجع سابق ص ٩٤ .

— الدفع — تعمل نفس الدعاية على إحياء صور الاضطهاد والعنت التي لاقاها اليهود في مختلف العصور في بلاد الشرق والغرب خاصة « المحرقة المزعومة » التي نصبها لهم هتلر فيما يعرف بالهولوكوست ، وهي لفظة استهلكت تماماً عبر ما يقرب من نصف قرن من الزمان ، لذا ابتكرت الصهيونية تعبيراً جديداً هو الـ « بوجرومز » التي تعنى المذابح بالجملة . والمقصود المذابح التي يمكن أن يتعرض لها اليهود السوفيت إذا ما ظلوا في مكانهم ولم يهاجروا إلى إسرائيل .

على أن أحد أساليب « الدفع » الصهيونية الأخرى هو تدبير حوادث تقود إلى مثل هذه المذابح ، مما يجبر ملايين اليهود على الرحيل والهجرة إلى إسرائيل .

٢ — المحافظة على الثقافة والتراث اليهودي . وينبع هذا المفهوم من أن سبيل الهجرة وتدفع المهاجرين على إسرائيل ، يخلق كثيراً من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، فاليهود العائدون إلى إسرائيل من أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية ، لا يربطهم أى رابط سوى العقيدة الدينية ، بل إن هذه العقيدة ليست ذلك الرابط المتين الذي يمكن أن يجمع أناساً مختلفين في اللغة والعادات والتقاليد ، فالحركة الصهيونية فيها يهود متدينون ذوو عقيدة يهودية ، ويهود علمانيون لا عقيدة لهم . ثم إن الفارق الثقافي الهائل بين يهودى قادم من أوروبا وآخر قادم من الهند أو اليمن يجعل التعايش بينهما يكاد يكون مستحيلاً^(١).

ولإزاء هذه الحقيقة تستخدم إسرائيل أسلوباً دعائياً تحاول به أبواق الدعاية الصهيونية أن تزيل هذه الفوارق ، نظرياً ، إذ تقول الدوائر الصهيونية في تحليلها لهذا الوضع نقلاً عن دراسات أعدها إليها إيلات — رئيس الجامعة العبرية :

إن الفجوة الكبيرة بين الشرق والغرب وأساليب حياة العصور الوسطى والحياة العصرية قد سدت بوساطة عامل واحد . فأفواج الوافدين إليها من أوروبا ومن آسيا ومن أفريقيا برغم اختلافهم الشاسع وتناقضهم الواضح في كل شيء تقريباً قد اتفقوا في المثل الأعلى المشترك وهو العودة إلى صهيون !

وعملياً حاولت القيادة الإسرائيلية دمج الوافدين الجدد وصهرهم في بوتقة واحدة وذلك بتعليم اللغة العبرية للمهاجرين الجدد في أسرع وقت ممكن . وتعتبر

(١) إسرائيل بعد الزلزال ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

المعاهد الخاصة الليلية «أولبان» من أشهر وسائل «الصهر» حيث يتعلم فيها المهاجرون الكبار مقابل مصاريف رمزية برامج واسعة في اللغة ، والأدب العبري ، والفكر الصهيوني مع التركيز على أن لليهود جميعاً ثقافة واحدة وتراثاً واحداً .

كما يساهم الجيش أيضاً في عملية الإدماج عن طريق تنظيم معسكرات الاستقبال و «المعابروت» ، هذا إضافة إلى «حركة أطفال وشباب علياء» التي أسستها الحركة اليهودية الأمريكية لتكوين جيل متمازج من المهاجرين في إسرائيل .

٣ — تحجيم الخصم العربي ، وينبع هذا المفهوم الأمني من قاعدة بسيطة ، كلما قلت قدرات خصمي ، أصبحت أقوى . وفي هذا الصدد تبذل إسرائيل وأذنابها الصهيونية جهوداً جبارة لمنع الولايات المتحدة من بيع أى أسلحة متقدمة إلى الدول العربية من جانب ، ومن جانب آخر دعم إسرائيل بأحدث الأسلحة مجاناً ودون مقابل .

وغالباً ما يتم تحجيم وإضعاف الجانب العربى عن طريق السياسة الاستعمارية القديمة : فرق تسد . وفي هذا الصدد تعمل إسرائيل على استمرار تفرق العرب ، ذلك أن التضامن العربى يخلق مناخاً غير ملائم لها ، ولا تجد لها فيه متنفساً ، كما أنه يضيق عليها الحناق فلا تجد لها مجالاً إقليمياً كافياً للحركة . لذلك فهي تعلى من شأن الصراعات والانقسامات في المنطقة كما هو حادث في لبنان ، بغية إنشاء دويلات وطوائف تضيف على إسرائيل صبغة شرعية كدولة يهودية ، كما تجعل إسرائيل في تجاور مع دويلات ضعيفة لا تشكل خطراً عليها ، كما أنها تكون دويلات في حاجة إلى المساعدات الإسرائيلية^(١) .

كما أن التفرق العربى يأتى أيضاً من مد الصراع أو مساعدته أو إشعاله بين الدول العربية وجيرانهم من غير العرب بغية استنزاف الجهود العربية وإبعاد النظر عن إسرائيل . وكذا شق الصف العربى بين مؤيد ومعارض كما كان الحال في الحرب العراقية — الإيرانية . والحرب الليبية — التشادية ، والحلاف السودانى الأثيوبي .

(١) كيف تفكر إسرائيل في أمنها القومى : مرجع سابق ص ١٠١ .

كما تتعاون إسرائيل مع الأطراف الدولية لردع أى قدرة عربية نووية أو كيميائية يمكن أن تهدد أمنها ، مثلما حدث أخيراً فى الحرب التى شنها التحالف بقيادة أمريكا ضد القدرة النووية العراقية . هذا عدا إبراز الإعلامى «الصهيونى» للخلافات العربية وإظهار المحاور العربية التى شكلتها اتفاقية كامب ديفيد ، أو أفرزتها الحرب الخليجية .

هذا عن الثوابت التى تحكم المفهوم الأمنى الإسرائيلى . أما المتغيرات التى تحكمه فهى :

١ — الحدود الآمنة المعترف بها . وتنطلق فكرة الحدود الآمنة من جغرافية إسرائيل ، ما قبل عام ١٩٦٧ . فحدود هذه الدولة لم تكن آمنة بنفس القدر الذى أصبحت فيه بعد عام ١٩٦٧ . ذلك أن العمق الجغرافى القليل قبل عام ٦٧ كان أحد أهم مصادر القلق النفسى لدى حكومة وشعب إسرائيل . كما أن الحدود كانت مفتوحة بمعنى أنه لا يوجد أى مانع جغرافى يحول دون تقدم الجيوش فيها . من هنا كان التوسع الإسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ مدفوعاً إلى حد ما برغبة فى الوصول إلى حدود ذات طبيعة جغرافية آمنة . فوصلت إلى قناة السويس فى الشرق . بل وأقامت على طول القنال ساتراً دفاعياً (خط بارليف) على غرار « خط ماجينو » القديم فى محاولة لتدعيم وتأمين هذا المانع الطبيعى الذى يصعب اجتيازه . ووصلت فى الغرب إلى حدود نهر الأردن الذى يمثل هو الآخر حداً طبيعياً قوياً ، كما وصلت إلى مرتفعات الجولان السورية التى كانت تمكن سوريا من التحكم فى السهل الإسرائيلى أسفل المرتفعات ، والسيطرة على المستعمرات الإسرائيلية فى منطقة الحولة ، إضافة إلى التحكم فى عدد من المداخل إلى قلب إسرائيل والجليل الأعلى . فلما استولت هى على المرتفعات أصبحت على العكس من مُهدّدة (بفتح الدال) إلى مُهدّدة (بكسر الدال) فأصبح السهل السورى أسفل المرتفعات تحت المدى المباشر للنيران الإسرائيلية فى حين أصبحت الأراضى السورية حتى مدينة دمشق فى مدى نيران المدفعة الإسرائيلية .

أما عن الشمال حيث دولة لبنان « الضعيفة والمسالمة » فلم تفكر إسرائيل فى تأمين حدودها إلا بعد عقد ونصف العقد من عام ١٩٦٧ حيث عمدت إسرائيل بعد غزوها للبنان عام ١٩٨١ إلى إنشاء شريط حدودى يمتد إلى عمق ٣٣ كم داخل

الأراضي اللبنانية . وقد تم تزويد هذا الشريط الحدودي بمجموعة مزدوجة من الأسلاك الشائكة ، وبإلغام اليكترونية ، وبخندق عمقه ثلاثة أمتار وعرضه مثل ذلك .. كل هذا للوصول إلى حدود آمنة التي لم يعترف بها أحد حتى الآن رغم أن إسرائيل تحوز على الشرعية الدولية من قبل ما يزيد على ١٥٠ دولة .. وتجدر الإشارة إلى أن المشروع الإسرائيلي الخاص بحفر قناة بين البحرين المتوسط والميت عن طريق صحراء النقب يهدف بالإضافة إلى توليد الكهرباء إلى إقامة حاجز مائي طبيعي في الجنوب لحماية المناطق الوسطى والمأهولة بالسكان من أى هجوم خارجي (على ناحية مصر) أو أى هجوم قد يحدث من الجبهة الشرقية (من ناحية الأردن ، في المسافة ما بين البحر الميت وقرب مدينة العقبة الإسرائيلية) .

٢ — الحرب الوقائية والحرب الخاطفة ونقل المعركة إلى أرض الخصم والحرب الوقائية هي الحرب التي تحاول فيها إسرائيل اتقاء شر خصم عربي بتدمير قوته قبل أن تبدأ في التنامي . وكأمثلة لهذه الحرب نجد أن تدمير المفاعل النووي العراقي « تموز » سواء باستخدام الطيران الإسرائيلي ، أو عملاء من الداخل ، هو أفضل مثال تطرحه إسرائيل في هذا الأمر ، كما أن تدمير القوات المسلحة المصرية في حرب يونيو ١٩٦٧ قبل أن تتقدم هذه القوات لضرب إسرائيل ، هو مثال آخر على الحرب الوقائية . أما أحدث حرب وقائية خاضتها إسرائيل فهي حرب لبنان التي أرادت إسرائيل من خلال تدمير القوة الفلسطينية المستقرة على الأراضي اللبنانية .

وبالنسبة للحرب الخاطفة فإن الضعف الديموجرافي الإسرائيلي والاعتماد على نظام الاحتياط يدفعانها إلى حسم الحرب بسرعة لأنها لا تتحمل أن تحتفظ لمدة طويلة بقواتها معبأة لأن ذلك ينعكس بشكل مباشر على أوجه النشاط الأخرى في الدولة مما يؤثر على نواحي الإنتاج أو الخدمات المختلفة . فالبنان الاقتصادي والعسكري الإسرائيلي مهياً فقط لاستراتيجية الحرب السريعة الخاطفة التي تأخذ المبادأة فيها القوة الإسرائيلية . وتنتهي في أقصر وقت . ومن ثم فإن احتمال فرض حرب استنزاف طويلة الأجل على إسرائيل يفقد كلا البنايين توازنه ويفرض عليه أعباء باهظة لا يقدر عليها . كما أن طول مدة الحرب يمنح الفرصة لدخول أطراف

عربية أخرى إلى الحرب ، أو يمنح الأطراف الدولية فرصة التدخل وإفساد النتائج التى يمكن أن تكون تحققت لصالح إسرائيل .

أما عن العمل خارج الحدود أو نقل المعركة خارج أرض إسرائيل ، فإنه مفهوم تمليه مساحة الدولة . فإسرائيل دولة صغيرة المساحة ، وأى اختراق ولو بسيط يصل إلى كثير من المراكز الحيوية ويشكل تهديداً لباقي أجزاء الدولة نظراً لعدم التمتع بالمساحة التى توفر العمق الاستراتيجى وتمكن من الدفاع بعمق . أما إذا كان الاختراق عميقاً ، فقد يعنى هذا القضاء على الدولة . لذلك يلاحظ أن إسرائيل خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ أولت اهتماماً كبيراً بالقوات السورية المتقدمة من الجولان نظراً لقربها من العمق الاستراتيجى والمراكز الحساسة فى الدولة . فى حين أنها لم تول المهجوم المصرى نفس القدر من تركيز الجهود إلا بعد أن فرغت من القضاء على خطورة الهجوم السورى وحولت الموقف لصالحها^(١) .

٣ — الردع الاستراتيجى والهيمنة العسكرية . وهى استراتيجية تستند على خلق انطباع لدى العرب بأن إسرائيل تمتلك قوة عسكرية لا تقهر وأنها لن تتردد فى استخدامها عند اللزوم لمواجهة أى تهديد لأمنها الجارى والذى يستدعى شن ضربات انتقامية موجهة .. أو تهديد لأمنها السياسى ، أى ما يمس كيان الدولة ويفرض الحرب الشاملة . ويتوقف ذلك على بضعة خطوط حمراء استراتيجية لا تسمح الدولة الصهيونية معها للحرب ، مثل اقتحام الجبهة الشرقية ، أو دخول قوات عربية إلى الأردن ، أو ضرب إسرائيل بالطائرات أو الصواريخ .

ويعتمد الردع فى أقوى جوانبه على امتلاك أحدث الأسلحة التكنولوجية ، فالتكنولوجيا هى الوسيلة التى يمكن بها تعويض التفوق الكمى للعرب . وإسرائيل لا تبغى من استغلال التكنولوجيا لإحداث تفوق عسكرى فى مجال السلاح فقط ، ولكن تبحث عن امتلاك جانب التفوق التكنولوجى فى الصناعة والزراعة حتى تصبح الدولة الإسرائيلية « منارة » التقدم فى المنطقة .

وقد تطور منظور الردع الإسرائيلى تطوراً مذهلاً فى السنوات الخمس الأخيرة ، فبعدما كانت إسرائيل تعمل على تحقيق الردع الإيجابى عن طريق خلق .

(١) المرجع السابق ص ٩٩ .

قوات مسلحة قوية في مجال الطيران والمدروعات بحيث تكون متفوقة تكنولوجيا على القوات العربية ، بشكل يمنع الأخيرة من التفكير في شن حرب ضد إسرائيل ، ويدمر هذه القوات في حالة خرقها لحالة اللا سلم واللا حرب التي تعيشها المنطقة الآن .. بدأت في السنوات الأخيرة تتحدث عن «الردع النووي» أى امتلاك إسرائيل للقدرة النووية مع سلب هذه القدرة من العرب بتدمير الخطوات الأولى للوصول إلى قدرة نووية عربية بغرض انفرادها وحدها في المنطقة بامتلاك القدرة النووية حتى تكون منفردة بأسباب الردع والقوة التي تجعل منها القوة الإقليمية العظمى ، حتى أنها أصبحت الدولة رقم واحد في العالم في الإنفاق العسكرى^(١) .

وقد بدأت الإشارات الأولى لامتلاك إسرائيل للقدرة النووية تتسرب عن طريق مصادر صحفية صهيونية. ثم عن طريق الإسرائيلى «فانونو» الذى قال إنه سرق صوراً ووثائق من المفاعل النووى الإسرائيلى «ديمونة» تثبت أن النشاط النووى الإسرائيلى قد وصل إلى مرحلة صناعة القنابل النووية ، ثم باع هذه الصور إلى إحدى الصحف البريطانية قبل أن يتم اختطافه من قبل الموساد إلى إسرائيل ليحاكم هناك .. ثم جاءت أخبار صحفية تؤكد أن إسرائيل تمتلك ١٠٠ قنبلة نووية وعشرات الرؤوس الحربية النووية ، وأنها تطور صاروخاً أرض — أرض يصيب أهدافاً تبعد ٦ آلاف كيلو متر ، هو الصاروخ «أريحا — ٣»^(٢) .. ولأن كل هذا لا يحقق الردع حيث يمكن اعتباره جانباً هشاً من الحرب النفسية الإسرائيلية ، فقد بادر رئيس دولة إسرائيل «حاييم هيرتزوج» بالإعلان عن امتلاك إسرائيل للأسلحة النووية^(٣) ، لتحول إسرائيل بذلك من استراتيجية الردع بالأسلحة النووية المملوكة والغير معلن عنها أو ما تسمى استراتيجية «القنبلة فى القبو» إلى استراتيجية إعلان امتلاك الأسلحة النووية لتحقيق الردع النووى لمنع أى طرف من التفكير فى مهاجمتها .

٤ — الاعتماد على تحقيق هامش الأمن بالزمان . حيث تعتمد إسرائيل على قوة استخباراتها — وعلى ارتباط هذه الاستخبارات باستخبارات عدد من الدول

(١) الأهرام عدد ١١ يونيو ١٩٩١ .

(٢) الأهرام ٤ أبريل ١٩٩٠ . (٣) الأهرام ١٤ نوفمبر ١٩٩٠ .

الغربية والاستخبارات الأمريكية بوجه خاص بكل ما تملكه من تقدم علمى وأجهزة متطورة وامتدادات اقتصادية وثقافية واجتماعية فى مختلف أنحاء العالم ، مما يقدم للاستخبارات الإسرائيلية ظروفاً مثالية للعمل دون التعرض المباشر للكشف والتدمير — فى انذار القوات المسلحة الإسرائيلية بشكل يمنع تعرضها لأى مفاجأة ويعطيها هامش مناورة واسعة فى الزمان .

ولقد بنت إسرائيل بالفعل جهازين قويين للاستخبارات هما : المخابرات العامة « شين بيت » ، والاستخبارات العسكرية « موديعين تسفاني » ، ووزعت شبكة من الجواسيس « الموساد » فى البلدان العربية ومختلف أقطار العالم بغية جمع المعلومات الخاصة بتسلح العرب واستعداداتهم ونواياهم وإعداد التدابير الكفيلة بإحباط خططهم .

ولقد حققت الاستخبارات الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ نجاحاً كبيراً ، وكانت دقة المعلومات التى قدمتها إلى القيادة الإسرائيلية عاملاً من عوامل النجاح وخاصة بالنسبة لضرب الطيران المصرى على الأرض . وتزايدت بعدها أهمية الاستخبارات الإسرائيلية حيث تم تزويدها بكوادر واسعة لجمع المعلومات وتحليلها ، وبإمكانات كبيرة ، وأصبح الاعتماد عليها كبيراً إلى حد بعيد .

٥ — الاعتماد على حليف استراتيجى ، وفى هذا الصدد تحافظ إسرائيل على صداقة الولايات المتحدة الأمريكية كحليف استراتيجى لا يمكن الاستغناء عنه . فعن طريقها يتم ضخ ما يزيد على أربعة مليارات دولار سنوياً إلى الميزانية الإسرائيلية ، علاوة على المساعدات العسكرية التى لا يستهان بها . وهذه أمور تخفف كثيراً من الأعباء الاقتصادية والمالية عن كاهل إسرائيل^(١) . وفى المجال السياسى فإن الدعم والمساندة الأمريكية ضروريان ، وأساسيان لإسرائيل وخاصة فى المحافل الدولية وفى مجلس الأمن على وجه الخصوص حيث تستخدم حق النقض

(١) وفق أحدث تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية ، فقد حصلت إسرائيل من الولايات المتحدة فى الفترة من عام ١٩٦٧ وحتى نهاية عام ١٩٩٠ على مبلغ ٧٧ مليار دولار ، كمنح أمريكية لا ترد أو لا يرد ثلاثة أرباعها (٣/٤) على الأقل ، أى بواقع ١٦٥٠٠ دولار لكل مواطن إسرائيلى . وخلال عام ١٩٩١ وحتى شهر سبتمبر ، حصلت إسرائيل على ٤ مليارات من الدولار ، علاوة على ٣٠٠ مليون دولار لتخزين الأسلحة الأمريكية فى إسرائيل (الأهرام عدد ٢٤ سبتمبر ١٩٩١) .

« الفيتو » لأى قرار يضر بأمن إسرائيل ، مما يدعم أمنها وتخفف الضغوط الدولية عليها .

كما أن الولايات المتحدة تشكل قوة التوازن ضد الأطراف الدولية الأخرى فيما يتعلق بالمطالب الأمنية لتحقيق السلام المنشود في المنطقة من منطلق مفهوم أمريكي إسرائيلي مشترك . أما في المجال العسكرى ، وهو بيت القصيد ، فإن الضمانة الأمريكية لإسرائيل تحقق الحد الأدنى للوجود الإسرائيلى ضد خطر التهديد بغزو عسكرى من أى طرف أياً كان يمكن أن يفكر في المساس بأمن إسرائيل ، حيث تعتبره الولايات المتحدة عملاً يمس الأمن القومى الأمريكى بشكل مباشر . وهذا الحد الأدنى للأمن هو المساس بحدود إسرائيل المتعارف عليها بين إسرائيل وبين الولايات المتحدة الأمريكية . كما أن الإمداد الأمريكى بالسلاح — كما حدث في الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل عام ١٩٧٣^(١) — يضمن التفوق النوعى لإسرائيل لمعادلة التفوق الكمي للعرب ، بل يصل الأمر في بعض النوعيات إلى حد التفوق الإسرائيلى ، كما أنه يساعد إسرائيل على اجتياز الأزمات العسكرية التى تهدد بدمار قدرتها العسكرية — كما حدث في حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وهكذا فإن إسرائيل تستفيد كثيراً من الصداقة الأمريكية لها .. ولكن ماذا تستفيدة أمريكا بالمقابل ؟

المكسب الأمريكى الوحيد لهذه الصداقة الاستراتيجية هو ضمان تواجد قاعدة متقدمة لمواجهة الشيوعية والاستراتيجية السوفيتية في الشرق الأوسط بالإضافة إلى إيجاد ممثل بديل يقبل القيام بالأدوار السياسية والعسكرية « القدرة » بالنيابة عنها ، وهى أدوار لا تستطيع هى أو حلفاؤها الغربيون التورط فيها مباشرة نظراً لقيود دولية كثيرة .

تلك كانت هى المفاهيم الخمسة التى بنت عليها إسرائيل نظريتها الأمنية ، وادعت أن أمنها القومى يقوم عليها . فكيف هزت صواريخ صدام حسين

(١) وقد جعل هذا الجسر الجوى جولدا مائير تقول بافتخار : « إن لإسرائيل لها واحداً وصديقاً واحداً هو أمريكا ، وأن جميع كلمات الشكر لا تكفى للإعراب عن امتنانها للولايات المتحدة » (أخبار اليوم عدد ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣) .

«البداية» التي سقطت على تل أبيب وحيفا النظرية الأمنية في إسرائيل ؟

البداية تشير إلى ما أعلنه «موشيه ارينز» وزير الدفاع الإسرائيلي من أن مدينة «تل أبيب» قد تعرضت للقصف مرتين من قبل ، فقد تعرضت لقصف الطائرات المصرية في حرب ١٩٤٨ ، ولغارة أخرى قامت بها إحدى الطائرات العراقية في حرب عام ١٩٦٧ ، وهذا القصف «الصاروخي» الثالث ، هو القصف الثالث الذى تنتهك فيه سيادة إسرائيل ويخترق فيها «أمنها الداخلى» .

أى أن الصواريخ العراقية الطائشة التى لم تكن مؤثرة ، قد هزت «أمن إسرائيل الداخلى» ، وهذه حقيقة مهمة ، ففى كل مرة كانت الإذاعة الإسرائيلية تطلق نداء «أفعى وثعبان» ، وهى الشفرة السرية الخاصة بقرب سقوط الصواريخ العراقية ، والتى يصاحبها أو يعقبها انطلاق صفارات الانذار ، كان السكان الإسرائيليون يهرعون إلى ارتداء الأقنعة الواقية من الغازات ، ثم يسرعون إلى الملاجئ ، أو إلى الغرف المعزولة فى منازلهم ، ليعشوا لحظات طويلة من القلق قبل الاستماع إلى صوت سقوط الصاروخ الذى يدمر بعض الممتلكات أو يقتل ويصيب بعض الأشخاص ، ثم تعقب ذلك فترة طويلة من انقلق والتوتر والخوف قد تصل إلى ساعة كاملة يستمع فيها المختبئون إلى هدير الطائرات المروحية المخلقة فى السماء فى طريقها إلى موقع سقوط الصاروخ . وإلى أصوات السيارات العسكرية التى تجوب الطرق وعلى متنها جنود مرتدون الأقنعة والملابس الواقية من الغازات السامة ، هذا إلى جانب أصوات سيارات الإسعاف منطلقة إلى المستشفيات لتتقل عشرات المسنين أو الأطفال بسبب إصابتهم بانفجارات عصبية ، أو أزمات قلبية بسبب الغارة ، أو باختناقات بسبب الارتداء الطويل ، أو الخاطئ للكمامات الواقية من الغازات السامة . وتبقى هذه الحالة من التوتر والقلق والخوف حتى تنطلق صفارات الأمان ، وتدعو الإذاعة الإسرائيليون لنزع الأقنعة (حيث أثبت التحليل والفحص لبقايا الصاروخ ، أنه لا يحمل مادة كيماوية سامة) ، مع إبقاء هذه الأقنعة فى متناول اليد ، ومتابعة استمرار الاستماع إلى الإذاعة الإسرائيلية ، حيث لا يزال الخطر قائماً ، بسبب احتمال قيام العراق باطلاق صواريخ كيماوية على إسرائيل (فى المرة القادمة) .

وهكذا تزايد الرعب والذعر بين الإسرائيليين من جراء سقوط الصواريخ فوق رؤوسهم ، ونقل المعركة إلى داخل قلوبهم ، ومات ٤ أشخاص تحت الانقراض في حين مات ثمانية نتيجة أزمات قلبية أو مختنقين بأقنعتهم الواقية من الغازات السامة أثناء فترة الإنذار ، في وقت عولج فيه المقات من الصدمة النفسية ، ومئات من الاختناق بكميات من مادة «الأترويين» التي وزعتها السلطات الإسرائيلية مع الكمادات . وقد وصل رعب الإسرائيليين حدا يثير السخرية ، فقد ذكرت الإذاعة الإسرائيلية يوم ٢٩ يناير أن يهوداً متشددين قد قرروا استحضار لعنة الأرواح على الرئيس العراقي صدام حسين ، وقد بدأوا هذه العملية في معبد قديم ، وفي حضور عشر حاخامات يتلون صلوات وقررات من العهد القديم . وتقول الإذاعة : أنه كان من المقرر أن تتم العملية التي تستهدف قتل الرئيس العراقي في الأسبوع الماضي ، إلا أنهم قرروا تأجيلها لأنهم اختلفوا حول اسم والده الرئيس العراقي صدام حسين !! وذكرت شبكة (سى.إن.إن) الأخبارية الأمريكية في اليوم التالي أن مجموعة من الحاخامات اليهود قد بدأوا في استحضار أرواح شريرة تستطيع صد صواريخ سكود العراقية عن إسرائيل^(١) !

وهكذا فقد هزت الصواريخ العراقية «أمن إسرائيل الداخلي» حيث شعر الإسرائيليون أن الصواريخ التي لا توقع ضحايا تساهم في هدم كيانهم النفسي فضلاً عن كبريائهم وكرامتهم ، حيث حولتهم إلى مجموعة من الجبناء الذين يعملون حساباً لكل صغيرة وكبيرة ، حتى أنه عندما احترق حطام قمر صناعي سوفيتي فوق سماء مدينة القدس نتيجة لاختراقه الغلاف الجوي للأرض ، وهو أمر كان متوقفاً حدوثه منذ فترة وحذرت منه وكالة الفضاء السوفيتية ، انطلقت صفارات الإنذار في جميع أنحاء إسرائيل ، مما أشاع مزيداً من الرعب لدى الإسرائيليين ، الذين ذكرت الأنباء أن بعضهم أخذوا يهربون من إسرائيل .

جانب آخر حطمته صواريخ صدام حسين ، ألا وهي نظرية « التمسك بحدود آمنة يمكن الدفاع عنها » فطالما حاول الكثيرون إقناع إسرائيل بأن الحرب الحديثة لا تعرف حصانة الحدود . ولكن إسرائيل تغابت عن الفهم ، وتمسكت بخزافة

(١) صحيفة الشعب عدد ٥ فبراير ١٩٩١ .



تحاول النظرية الأمنية الإسرائيلية أن تؤمن اسرائيل من أعداء الخارج . ولكن ماذا عن الداخل ، في الصورة جندي إسرائيلي يتطلع إلى أسطح المنازل المجاورة أثناء احتفال يهودي بعيد المظال يتم في معبد يهودي (سيناجوج) بالقدس .



رغم أن صواريخ صدام حسين كانت بدائية وبدون فاعلية استراتيجية إلا أنها جعلت الشارع الاسرائيلي يعيش ساعات من الرعب ، في الصورة شلومو لاحتات رئيس بلدية تل أبيب وقد وقف ليتحدث إلى الصحفيين مرتدياً قناع واقٍ من الغازات خوفاً من صواريخ صدام حسين .

الحدود الآمنة كورقة توت تخفى بها أطماعها التوسعية ، إلى أن جاءت عاصفة الخليج فأطاحت بورقة التوت وأثبتت لإسرائيل أن حجتها واهية^(١) وأثبتت لخصمائها انهيار نظرية الحدود الآمنة .

جانب ثالث فعلته الصواريخ العراقية ، ألا وهو تآكل استراتيجية الردع الإسرائيلية التي تعتبر من أهم أركان المفهوم الإسرائيلي للأمن ، فهذه هي أول مرة تتلقى إسرائيل الصفعة في عقر دارها ، ووسط عمقها المكتظ بالسكان دون أن تستطيع الرد لردع الخصم عن الاستمرار في إطلاق صواريخه .

الواقع أن الرسالة التي حملتها صواريخ صدام حسين لإسرائيل ، رسالة بالغة الأهمية ، ولو أحسنت إسرائيل قراءة هذه الرسالة والرسائل الأخرى التي تلقتها في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب لبنان (١٩٨١ — ١٩٨٠) وما إلى ذلك من أعمال بطولية للفدائيين اللبنانيين ، أو للمتفضين الأبطال بالصفحة الغربية وغزة ، لأدركت أن الركائز والمفاهيم التي تقوم عليها النظرية الأمنية الإسرائيلية فهي أسطورة . فالناظر بعين المنطق إلى تلك الركائز وتلك المفاهيم يستطيع أن يقتنع ، ولا يقنع إسرائيل طبعاً لأنها قد «عملت أذنا من طين وأخرى من عجين ، وركزت كل همها على تحقيق خططها التوسعية ، بأن كل هذه المرتكزات وهذه المفاهيم لا يصمد أمام أى منطق .

* فبالنسبة لمفهوم الهجرة التي هي «عماد أمن إسرائيل» ! نذكر الحقائق المنطقية التالية :

— في يوم من الأيام ستوقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، أو الهجرة الواسعة على الأقل ، ولن يكون عامل «أرض الميعاد» هو الذى يدفع اليهود إلى إسرائيل خاصة وأن :

(١) يهود العالم في تناقص مستمر ، فقد كان يوجد حوالى ١٤ مليون يهودى في العالم سنة ١٩٧٥ ، وفي عام ١٩٨٧ تناقص العدد إلى ١٢,٧ مليون يهودى . والتنبؤات — نقلاً عن مجلة «نوفيل أوبزيرفاتور» — تشير إلى أن عدد اليهود لن

(١) محمد العزب موسى : سقوط خرافة الحدود الآمنة . مقال بالأخبار عدد ٢٩ يناير ١٩٩١ .

يتجاوز ٨ ملايين عام ٢٠٠٠ و ٦ ملايين فقط عام ٢٠٣٠ وإذا أستمّر هذا المعدل فإنه يمكن التنبؤ بأن اليهود سيختفون من العالم تقريباً عام ٣٠٠٠ ميلادية^(١).

(ب) الاتحاد السوفيتي ، وهو المنبع الرئيسي للهجرة اليهودية الآن في طريقه كما قالت الأنباء إلى منح اليهود الذين يرغبون في الهجرة منه «جوازات سفر» وليس تأشيرات خروج كما كان متبعاً من قبل^(٢). ومن شأن هذه الخطوة أن تتيح لليهود السوفيت خيارات متعددة بين عدة دول يمكن الهجرة إليها ، بدلاً من دفعهم قسراً إلى إسرائيل دون غيرها حيث ترفض معظم الدول منح «تأشيرات خروج» السوفيتية التي بحوزة اليهود السوفيت تأشيرات دخول لأنها ليست جوازات سفر .

(ج) إن التمويل الأمريكي لاستيعاب المهاجرين إلى إسرائيل لم يعد كما هو في الماضي . إذ بدأ الرأي العام الأمريكي « يتمعض » من هذه الهجرة التي تقول الدعاية الإسرائيلية والصهيونية أن تمويلها هو مسألة إنسانية ! وفي هذا الصدد ننقل سؤالاً وجهه الصحفيان الأمريكان ايفانز ونوفاك إلى سيناتور أمريكي مؤيد لإسرائيل ، يدل على تمعض الأمريكيين من دعم المهاجرين اليهود السوفيت إلى إسرائيل . يقول السؤال : « ماذا لو قرر الثلاثة أو الأربعة ملايين سوفيتي يهودي الهجرة إلى إسرائيل . هل سيكون دافعوا الضرائب في أمريكا مسئولية أيضاً عن إنسانية توطينهم في إسرائيل ، أم أن مسئوليتنا الإنسانية تقف عند رقم المليون مهاجر ١٩ »^(٣).

(د) — إن الإعلام العربي بدأ يتحرك ضد تيار الهجرة ويمارس نوعاً من التأثير الإيجابي على مستمعيه بتوضيح أن كل مهاجر يهودي يستقر بالضفة الغربية المحتلة — أو غزة — وقد أوضح تقرير لمؤسسة «الحق» بالضفة الغربية والتي هي فرع للجنة الحقوقيين الدوليين ، أن ٣٣٣ ألف مستوطن يهودي يعيشون بالضفة

(١) أخبار اليوم عدد ٢٧ فبراير ١٩٨٨ .

(٢) الأهرام عدد ١٦ يونيو ١٩٩١ .

(٣) الأخبار (مقال مها عبد الفتاح) عدد ١٨ سبتمبر ١٩٩١ .

الغربية وقطاع غزة^(١) — إنما يحتل أرض ومنزل مواطن عربى يتعرض للطرد والسلب والنهب ويبقى بلا موطن أو مصدر رزق ، وهذه مسألة أكثر إنسانية ، لأن المهاجر اليهودى قد ترك منزلاً وأرضاً بالاتحاد السوفيتى ولم يكن يحيا في العزاء أو بلا دخل ، وبالتالي فقد ترك النعيم السوفيتى ليحيل حياة الفلسطينيين إلى جحيم مستعر .

(هـ) المعروف أن كل هجرة في التاريخ تتجه عادة إلى بلاد غنية اقتصادياً ، بينما الهجرة اليهودية إلى فلسطين تخالف هذه القاعدة التاريخية ، فاليهود الذين هاجروا إلى فلسطين لأسباب روحية ، أو تحت تأثير الدين ، كما حددت لهم ذلك أبواق الدعاية الصهيونية ، سيفاجئون ، وقد فوجئ الذين هاجروا فعلاً ، أن عنصر الدين وحده لا يكفى إذا لم يكن في البلاد ضمان اقتصادى وأبواب العمل ، وهذا ما تفتقر إليه الدولة الإسرائيلية بشدة ، لذا فإن العامل الاقتصادى سيكون أهم العوامل التى تحصر الهجرة اليهودية عند مستوى أدنى مما هو متحقق الآن ، فلن يكون من المتقبل اقناع اليهودى الأمريكى أو الأوروبى الغربى أن يترك مستوى معيشته المرتفع ويقيم في إسرائيل في مستوى معيشة أقل، ويحيا في مساكن غير صحية ، كما هو حادث الآن .

(و) من أهم الأسباب التى ستؤدى إلى فشل الهجرة مستقبلاً ، هو انفضاح زيف الدعاية الصهيونية وكذب الدعاية الإسرائيلية وقلها للحقائق حيث تصور تلك الدعاية لليهود في خارج إسرائيل أنها بلد الطمأنينة وبلد السلام ، وأن اليهودى يمكنه أن يقيم فيها شعائره الدينية في حرية مطلقة ، وأنه يستطيع كسب رزقه في أمان ، ويستطيع أن يحقق أحلامه في أرض الميعاد ، وهو عكس ما يفاجئ به المهاجرون حيث يجدون بانتظارهم مشاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة ، تقف على رأسها مشكلتا السكن والبطالة ، مما قد يضطر بعضهم — من يملك مالاً وثيراً منهم — إلى العودة إلى مسقط رأسه ليطلع غيره من اليهود على ما شاهده بعينه ويبين لهم مدى كذب الدعاية الإسرائيلية ومدى تضليلها ، ويحذرهم من الرحيل إلى أرض الميعاد .

(١) الأخبار أول سبتمبر ١٩٩١ .

— الهجرة ليست عماد أمن ، ولكن مصدر توتر وسبباً من أسباب اشتعال فتيل الصراع بين إسرائيل والعرب ، وسر ذلك يكمن في أن الرقعة الجغرافية التي اغتصبتها إسرائيل صغيرة بالقياس إلى أطماعها الإقليمية ، وإفتقادها الحاد إلى الموارد الطبيعية والخصامات مما يجعل التزايد السكاني بفعل الهجرة الواسعة يشكل ضغطاً على الموارد الداخلية ، ومما يدفع الحكومة الإسرائيلية إلى مزيد من العدوان والتوسع لإيجاد مكان لأعداد الهجرة الوفيرة وإيجاد موارد لهم ، ومما يشكل تهديداً للسلام وزعزعة للأمن في ربوع الشرق الأوسط ، وخطراً كبيراً على الدولة العربية المجاورة .

« وبالنسبة لمفهوم المحافظة على الثقافة والتراث اليهودي ، فتجدر الإشارة إلى أن مصطلح « الثقافة اليهودية » شأنه شأن مصطلح « التراث اليهودي » والمصطلحات الأخرى مثل « التاريخ اليهودي والعرق اليهودي والشخصية اليهودية » يفترض وجود إبداع « يهودي » مستقل عن إبداع الأمم التي عاش ويعيش اليهود بين ظهرانيها ، وهو افتراض تدحضه الشواهد التاريخية ، ووفقاً لما يقول دكتور عبدالوهاب المسيري^(١) ، فإن العبرانيين منذ ظهورهم في التاريخ قد تبنا حضارات الأمم الأخرى ، ابتداء من اللغة ، ومروراً بالمفاهيم الدينية وانتهاء بالطراز المعماري . وعلى سبيل المثال : فليس هناك طراز يهودي معماري ، أو فن يهودي مستقل ، فهيكسل سليمان من الطراز الآشوري الفرعوني ، والمعابد اليهودية في الوطن العربي ، أما ما في جنوب الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر فمن النمط « النيوكلاسيكي » السائد هناك آنذاك ، والفنانون التشكيليون « اليهود » في العصر الحديث أمثال « مارك شاجال » ينتمون إلى تراث فني غربي ، ولا يمكن رؤيتهم في إطار تراث يهودي مستقل .

ولم يعرف أيضاً تراث يهودي مستقل ، فالأدباء اليهود المستعربون في الجاهلية والإسلام اتبعوا التقاليد السائدة في عصورهم ، وكذا الأدباء اليهود في الولايات المتحدة وإنجلترا ، إبداعهم الأدبي مرتبط بالتراث الذي ينتمون إليه ، وهذا أمر طبيعي ومتوقع . بل إن التراث الديني اليهودي نفسه ليس تراثاً مستقلاً بأي حال

(١) مقال أكتوبة الثقافة اليهودية ، مجلة العربي الكويتية العدد ٣٤٦ — سبتمبر ١٩٨٧ — ص ٢٥ — ٢٩ .

من الأحوال عن الموروث الدينى والتقاليد والأفكار الدينية السائدة فى الشرق الأدنى القديم ، خاصة بلاد الرافدين .

ويقول آرثر كويستلر (المؤلف الإنجليزى اليهودى) أن ما يعرف « بالتراث اليهودى » أو « الثقافة اليهودية » أمر ليس من السهل تعريفه ، أو إن كل ما يصدر عن أعضاء الأقليات اليهودية فى العالم ليس يهودياً بالمعنى المحدد ، وليس جزءاً من تراث قائم ، فالإنجازات الفلسفية والعلمية والفنية لليهود الأفذاذ ، تتوقف على معطيات ثقافات الشعوب الأخرى وحضاراتها ، ولا تمثل عطاء حضارياً عاماً ، أو جزءاً رئيسياً مستقلاً عن التراث .

ولعل أهم وعاء من أوعية أى موروث حضارى هو اللغة ، ومن المعروف أن اليهود لم يتحدثوا بالعبرية إلا فترة قصيرة جداً ، فى حين تداولوا الحديث عشرات من اللغات الأخرى التى عاشوا بين ظهرانى متحدثيها ، وقد نشبت فى السنين الأولى من الاستيطان حرب تسمى « حرب اللغة » ، بين دعاة استخدام الألمانية (من إتباع الاستعمار الألمانى) ومن دعاة استخدام العبرية (من يهود شرق أوروبا المؤيدين للاستعمار الإنجليزى) .

ثم إن الصهيونيين الأوائل لم يكونوا مؤمنين « بالثقافة اليهودية » ، وقد سخر هرتزل من هذا المفهوم بصوت عال حينما طرحه لأول مرة فى أحد المؤتمرات . أما ما يحاول صهاينة اليوم إيجاده فى إسرائيل فهو ليس « ثقافة يهودية » ، فالثقافة الجديدة الموجودة فى إسرائيل وتحاول بها الصهيونية تجاوز اختلاف اللغات والثقافات والطباع والتقاليد ، وصهر الإسرائيليين فى وحدة قومية واحدة ، يمكن التحفظ عليها بالتحفظات التالية :

— إن هذه الثقافة هى ثقافة « الصابرا » أى أنها ثقافة ذات صيغة إشكنازية واضحة ، وبالتالى فهى ثقافة عنصرية لا تمثل عموم العناصر الإسرائيلية .

— حينما تكتمل هذه الثقافة بأشكالها المختلفة لن تكون « ثقافة يهودية » وإنما ستكون « ثقافة إسرائيلية » تعبر عن تجربة المستوطنين الصهاينة فى فلسطين ، وليست لها علاقة كبيرة بثقافات أعضاء الأقليات ، إذ سيظل هؤلاء داخل تشكيلاتهم الثقافية المختلفة ، يتفاعلون معها ويؤثرون فيها وتؤثر فيهم .

— الوعاء اللغوى — أى العبرية التى ارتبطت دائماً بأعضاء الأقليات من الناحية الدينية ، وبأعضاء المستوطنين فى كافة نشاطات حياتهم — قد بدأت تحيط به المشاكل ، إذ كتب بالعبرية التى هى عماد الثقافة الجديدة كتاب عرب غير يهود ، أى ليسوا أعضاء فى القبيلة اليهودية ولا يحملون عبء الوعى اليهودى ، ومع ذلك حازوا الإعجاب والتقدير ، مما جعل هذا الوعاء اليهودى ينكسر على يدهم .

وبالإضافة إلى ذلك تجدر الإشارة إلى أن الأفكار التى يتم حشوها فى محتوى الثقافة الجديدة ، هى أفكار عنصرية تدعو إلى كراهية العرب وتستمد سمومها من أنياب أسفار العهد القديم ، أذنان التلمود وبروتوكولات خبيثاء صهيون . وبالتالي فهى ثقافة تدعو إلى العنف وتقود إسرائيل ، لا فى طريق السلام السريع ، ولكن فى دروب الحروب الصعبة .

* وبخصوص مفهوم تحجيم وإضعاف العرب ، تجدر ملاحظة :

١ — إن إسرائيل وأذنانها الصهيونية فى الكونجرس ومجلس الشيوخ الأمريكى لا تستطيع دائماً أن تمنع بيع صفقات أسلحة أمريكية متقدمة إلى العرب ، ولنا فى المعركة التى خاضتها إسرائيل وجماعات الضغط الصهيونى فى الكونجرس الأمريكى من ناحية وبين البيت الأبيض من ناحية أخرى حول بيع صفقة طائرات الأواكس الأمريكية المتقدمة إلى السعودية مثال قديم على عدم استطاعة إسرائيل ومؤيديها عام ١٩٨١ منع بيع هذه الصفقة المتقدمة للسعودية . ثم إن مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية إبان حرب الخليج وبعدها لمنح السعودية كميات كبيرة من الأسلحة المتقدمة وفى مقدمتها منظومات صواريخ باتريوت . ثم بيع كميات من هذه الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية ، مثال حديث على مدى تغير المنظور الأمريكى إلى العرب ، رغم أنه تغير محدود ولم يصل بعد إلى التطلعات العربية المشروعة .

٢ — إن التكنولوجيا العسكرية المتقدمة ليست حكراً على الولايات المتحدة الأمريكية فقط ، بدليل أن القدرة العسكرية العراقية ، التى نمت نمواً مذهلاً قبل أن تغرق نفسها فى مستنقع الكويت ، تم بناؤها بالاستعانة بدول أخرى غير

الولايات المتحدة ، من أهمها فرنسا وألمانيا الغربية والصين . وقد نمت هذه القدرة نمواً جعلها تصل إلى مرحلة « البناء النووي للقدرة العسكرية » ، وهكذا فإن الضغوط الإسرائيلية لتحجيم القدرة العسكرية العربية ليست فعالة في كل الظروف .

٣ — إن القدرة العربية لا تتشكل فقط من قدرة عسكرية ، ولكنها تتشكل من قدرة بشرية واقتصادية وثقافية ، واضح أن إسرائيل تفتقر إليها جميعاً .

٤ — إن الوعي القومي العربى خاصة بعد انتهاء حرب الخليج قد أدرك بوضوح أن تصفية الخلافات العربية ، خاصة ما نجم منها بسبب المحاور العربية الثلاثة إبان حرب الخليج : محور مؤيد للعراق .. ومحور ضد العراق ، ومحور وقف على الحياد ، وقد أخذت جامعة الدول العربية بعد عودة مقرها إلى القاهرة ، على عاتقها مسئولية توحيد الصف العربى ، ورأب الصدع العربى العام ، بعد أن التأم الصدع اللبناني الداخلى ، وعادت الشرعية إلى السلطة اللبنانية وبدأ الجيش اللبناني فى نزع أسلحة الطوائف اللبنانية المتنازعة .

٥ — إن الخصومات بين الدول العربية وجيرانها غير العرب قد بدأت فى الزوال ، فوقف إطلاق النار بين العراق وإيران يمر الآن فى سنته الثالثة ، وبالتالى هو فى طريقه إلى أن يصبح سلاماً دائماً وقد بدأت العلاقات بين ليبيا وتشاد تصبح فى مستوى طبيعى . فى حين أن مشكلة جنوب السودان ، فى طريقها إلى حل دائم وشامل بعد الخطوات التى اتخذتها الحكومة السودانية فى هذا السبيل .

٦ — إن القدرة النووية لدولة باكستان الإسلامية تدعم وبقوة المكانة العسكرية للقدرة العربية ، باعتبار أن القدرة الباكستانية قدرة إسلامية قبل أى شئ آخر .

وهكذا فإن إسرائيل لن تستطيع دائماً أن تعتمد على هذا الثابت الأخير ضمن النظرية الأمنية الإسرائيلية لضمان أمنها ، باعتبار أنه — مثله فى ذلك مثل الاعتماد على أهجرة أو الثقافة — هو مفهوم أمنى أسطورى لا يرقى إلى مجابهة الواقع الفعلى . وما يقال عن الثوابت الأمنية الثلاث يقال بشأن المتغيرات الخمسة التى تحكم النظرية الأمنية الإسرائيلية :

* فبالنسبة للحدود الآمنة ، فقد أثبتت حرب أكتوبر بما لا يدع مجالاً للشك بأن الموانع الطبيعية ليست حلاً آمناً فقد استطاعت القوات المصرية الباسلة وفي ست ساعات فقط اجتياز أصعب مانع جغرافي كانت تركز إليه إسرائيل باعتباره حلاً آمناً ، خاصة وأنها قد أنشأت خلفه ساتراً تريبياً بارتفاع يصل إلى خمسة عشر متراً وأقامت عليه نقاطاً دفاعية منيعة مزودة بكافة سبل الأمان وأهمها آبار النابالم المتصلة عن طريق أنابيب بقناة السويس والتي كان يهدف من ورائها تحويل مياه القناة إلى جحيم فور أول محاولة للقوات المصرية لعبور القناة . هذا عدا حقول الألغام المزروعة خلف الساتر الترابي .

— كما أثبتت المقاومة اللبنانية الباسلة أن الشريط الحدودي الذي أقامته إسرائيل داخل الأراضي اللبنانية وزودته بكافة وسائل «الأمن» من أسلاك شائكة وألغام ووسائل إلكترونية ودوريات والأهم خندق بعمق ٣ أمتار وبعرض ٣ أمتار ، لا يستطيع أن يضمن أمن إسرائيل ، فهو إذا كان قد حد من عمليات التسلل الفردي ، أو عمليات الاندفاع عبر الخط بالسيارات والشاحنات إلى الأراضي المحتلة ، إلا أن المقاومة داخل الشريط الحدودي نفسه قد نفذت عدة عمليات بطولية جريئة أدت إلى مصرع وإصابة عدد كبير من جنود «الاحتلال» الإسرائيلي وأثبتت عدم صحة نظرية الأمن الإسرائيلي ، إذ سيقى الوضع في الجنوب اللبناني غير مستقر حتى تنسحب قوات الاحتلال الإسرائيلية تنفيذاً لقرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ الخاص بهذا الشأن . بل أن المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي الفلسطينية ذاتها لن يحول دون حدوثها أي شريط حدود . وقد اعترف الجنرال أمنون شامعك نائب رئيس الجيش الإسرائيلي بأن الجيش الإسرائيلي لن يتمكن مستقبلاً من الإبقاء على سيطرته على الضفة الغربية ودعا الحكومة الإسرائيلية إلى الاعتراف بالأمر الواقع مؤكداً أن الجيش الإسرائيلي لن يستطيع السيطرة أمنياً إلى ما لا نهاية على الضفة الغربية^(١) إن أفضل إيضاح لإظهار مدى أسطورية نظرية الحدود الآمنة التي غسلت بها إسرائيل الكثير من الأدمة وجردتها من القدرة على فحص المشكلة بصورة نقدية منطقية ، هو ما ورد في الدراسة الهامة التي كتبها المؤرخ الإسرائيلي «يعقوب تلمون» أستاذ التاريخ المعاصر بالجامعة

(١) الأهرام عدد ٣ أكتوبر ١٩٩١ .

العبرية ، بعنوان « حساب النفس » ، وأوضح فيها أنه :

— حتى لو أصبحت حدودنا — أى حدود إسرائيل — من النيل إلى الفرات ، لن يكون وجود إسرائيل آمناً ، وستأخذ البربرية الوحشية في الازدياد في المنطقة بأسرها ، ولانستطيع النجاة منها ، وربما يُشعل الصراع ناراً تعرض سلام العالم بأسره إلى الخطر ... إننى أعترف بأننى كمؤرخ لا أفهم ماهى الحدود الآمنة وماهى الحدود الرادعة ، وماهى الحدود التى هى إغراء للمعتدى . فالتاريخ بأسره يظهر أن الأمن أو عدم الأمن لا يتعلق بالحدود الآمنة أو غير الآمنة ، الطبيعية أو الاصطناعية ، المحصنة أو المكشوفة . وإنما يتعلق الأمن بدوافع العدو وتصميمه على شن الحرب^(١) .

* وبالنسبة للحرب الوقائية ، فقد أثبت الغزو الإسرائيلي للبنان أنها أسلوب غير عملي ، فقد تحول الغزو إلى مستتقع دموى كبير ، وأبرز الغزو أن الثمن الإجتماعى والاقتصادى للحرب الوقائية لا يمكن لمجتمع صغير معتمد على الإعانات الخارجية أن يتحملة ، مما حمل رأى العام الإسرائيلى إلى مطالبة الحكومة الإسرائيلية بالانسحاب من هذه الحرب « المدمرة » للكيان النفسى الإسرائيلى .. هذا عدا أن العالم بأجمعه فى ظل النظام الدولى الجديد لم يعد مهتماً بقيام إسرائيل بمثل هذه الحروب الوقائية على عكس ما كان متبعاً فى الماضى .

أما بخصوص الحرب السريعة الخاطفة فتجدر الإشارة إلى :

١ — أن مثل هذه النوعية من الحروب لم يعد لها مجال فى ظل تنامي القدرة العسكرية والبشرية والاقتصادية العربية وتضييق الفجوة النوعية والتكنولوجية بينهم وبين إسرائيل .

٢ — أن التكلفة الاقتصادية الفادحة لسباق التسلح وتأثيرها على إعاقه التنمية فى المجتمع الإسرائيلى الذى يعانى من مشكلات اقتصادية جمة ، تجعل احتفاظ إسرائيل بالقدرة على القيام بحرب سريعة تتحقق جدواها أمراً بعيد المنال ، ذلك أن تحقيق انتصار عسكري ذى شأن سيؤدى لخسائر مادية وبشرية فادحة فى زمن

(١) ملحق العدد ٤ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٦ نقلاً عن صحيفة هآرتس الإسرائيلىة .

قليل مما ينعكس سريعاً على البنية الاقتصادية الإسرائيلية .

٣ — الحرب السريعة تعتمد في جوهرها على استخدام سلاح الطيران .
ومعروف أن سلاح الطيران — وكما ثبت من حرب فيتنام وحرب الخليج —
لا يستطيع أن يحسم الحرب ، بمعنى فرض إرادة طرف على طرف آخر ، وإنما
يتطلب الأمر استخدام الدبابات التي تعززها أعداد كبيرة من المشاة . وهو ما يعتبر
مشكلة كبرى أمام الجيش الإسرائيلي ، ليس لقلة عدد المشاة فقط ولكن لأن
الحرب الميكانيكية لا تمثل حرباً خاطفة إلا إذا كانت العمليات محدودة جداً .

* وبخصوص مفهوم الردع الاستراتيجي والهيمنة العسكرية ، فالمعروف أن
إسرائيل ، حتى ولو امتلكت أضعاف ما لديها من ترسانة عسكرية الآن ، لن
تستطيع أن تحقق أمنها بقوة السلاح . وفي هذا الصدد نستعير ما قال به الجنرال
« بار كونيكا » مساعد رئيس هيئة الأركان الإسرائيلي لشنون استخلاص الدروس
المستفادة من الحروب التي حاضتها إسرائيل مع العرب . فلقد وصف الجنرال
باركونكا القيادة العسكرية الإسرائيلية بأنها لم تستوعب الدرس جيداً ، وأنها
لا زالت تتصور أنه عن طريق استخدام الأساليب العسكرية يمكن أن تعالج
مشاكلها ونزاعاتها مع الدول العربية المجاورة^(١) ، أي أنه يرى أن القوة العسكرية
والتمادي في استخدام القبضة الحديدية لا يمكن أن يحل نزاعات الحدود بينها وبين
الدول العربية المجاورة ، وهو نفس ما قال به الرئيس الأمريكي جورج بوش في
احتفال لإحدى المؤسسات اليهودية : « أن ما تعلمناه هو أن الجغرافيا وحدها لا
يمكنها أن تضمن أمن إسرائيل ، وأن القوة العسكرية وحدها لا يمكنها أن تضمن
أمن إسرائيل^(٢) .

أما بخصوص « الردع النووي » فتجدر الإشارة إلى الحقائق الآتية :

١ — لن تستطيع إسرائيل أن تغامر وتستخدم أي أسلحة نووية لقصف
العواصم العربية المؤثرة في الصراع العربي الإسرائيلي مثل القاهرة أو دمشق أو
عمان أو بيروت أو حتى بغداد ، وذلك لقرب هذه العواصم من الدولة الإسرائيلية
الأمري الذي يجعل استخدام السلاح النووي ضدها بمثابة سلاح ذي حدين ، فهو إذ

(٢) الأهرام عدد ١٨ يونيو ١٩٩١ .

(١) الأخبار عدد ١١ ديسمبر ١٩٩٠ .

سيدمر العاصمة العربية إلا أن الإشعاع الناتج عن الدمار النووي سيضر بسكان وأرض إسرائيل ضرراً بليغاً ، أى أن إسرائيل ضالعة في حسابات الحسائر مثلما هى ضالعة في حسابات المكاسب . ولهذا السبب تحجم دولة « مصر » عن الرغبة في امتلاك السلاح النووي لأنها ستكون ضمن الخاسرين إضافة إلى الدول العربية المجاورة لإسرائيل من جراء استخدام السلاح النووي ضد إسرائيل .

٢ — السلاح النووي الإسرائيلي لن يكون مجدياً إلى حد كبير ، لأن العرب قادرون على التضحية بأعداد ضخمة من البشر ، والرد بأسلحة غير تقليدية مثل الكيماوية والبيولوجية .

٣ — أن الدول العربية — أو بعضها على الأقل — تفكر في شراء قنبلة نووية « لمعادلة مبدأ الردع النووي » والوصول إلى « تعادل الموت » ، والأموال العربية قد تكون كفيلة بشراء هذا السلاح من إحدى الدول الصديقة .

* أما بخصوص الاعتماد على أجهزة المخابرات لتحقيق هامش الأمن بالزمان ، فالمعروف أن حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد برهنت على أن الاستخبارات جهاز يمكن أن يصيب أو يخطيء ، وأن من الخطورة بمكان اعتبار استنتاجاته أموراً مؤكدة ، كما أن من الخطورة تقييم الوضع بناء على تقدير الاستخبارات لنوايا الخصم ، ومن ثم اعتبار عملاء الاستخبارات هم « الخط الدفاعي الأول » القادر على إنذار القوات المسلحة أو المدنيين الإسرائيليين بشكل يمنع تعرضهما لأية مفاجأة ، ويعطيها هامش مناورة واسعاً في الزمان .

وإذا كانت الاستخبارات الإسرائيلية قد نجحت في تنفيذ بعض العمليات « القذرة » قبل أو بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فالحقيقة أنها قد فشلت ولأكثر من مرة في التنبؤ بمعرفة نوايا العرب والفلسطينيين المناهضين لها ، أو أساءت — على الأقل — تحليل المعلومات التي جمعها خبراؤها . ومن هذا الفشل نذكر على سبيل المثال حادث مطار اللد ، حيث قام ثلاثة شبان يابانيون بقتل ٢٦ وإصابة العشرات بالمطار ، وفيه فشلت المخابرات الإسرائيلية اكتشاف تجنيد غير العرب للقيام بعمليات فدائية لحساب فلسطين . ومنه أيضاً عملية ميونيخ التي قام بها

فدائيون فلسطينيون وانتهت بقتل عشرة إسرائيليين ، حيث فشلت الاستخبارات الإسرائيلية في تحليل معلومات غربية قالت باحتمال وقوع محاولة الاعتداء على الوفد الإسرائيلي بالدورة الأولمبية في ميونيخ .

إضافة إلى هذا ، فإن للعرب أيضاً مخابرتهم وعملاءهم ، ثم أن لديهم أساليب كثيرة في الخداع والتضليل والتعمية لعملاء الاستخبارات الإسرائيلية، وهي أساليب من المتعذر أن تتوصل المخابرات الإسرائيلية سريعاً إلى أية صيغة لمواجهتها . وإن توصلت قد يكون عامل الأمان بهامش الزمن قد انتهى بحيث لا تجدى الصيغ ولا تنفع التحذيرات .

* أما بخصوص الاعتماد على الولايات المتحدة كحليف استراتيجي ، فتجدر الإشارة إلى أن الوظيفة التي أوكلها الغرب لإسرائيل قد تبدد معظمها الآن بعد ما حدث في الإتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية من انهيارات للشيوعية فتلاشى التهديد السوفيتي لمناطق الأوليات الاستراتيجية ، وإعلان انتهاء الحرب الباردة بين الشرق والغرب وبالتالي لن تعود الأنباء تذكر « أن الولايات المتحدة الأمريكية والإسرائيلية تعقدان محادثات سرية للتخطيط العسكري تتركز على كيفية مجابهة الإتحاد السوفيتي في منطقة الشرق الأوسط » فاستخدام إسرائيل كقاعدة عمليات متقدمة في الصراع ضد النفوذ السوفيتي قد انتهى بانتهاء الحرب الباردة .

فإذا أضفنا إلى هذا أن بعض الدول العربية قد أوجدت للولايات المتحدة قواعد أمريكية على أراضيها ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية في أمس الحاجة لتأمين احتياجاتها من الطاقة البترولية العربية في المستقبل ، لأدركنا أن الدور الاستراتيجي الذي كان موكولاً لإسرائيل قد انحرف بزاوية ٩٠ درجة تقريباً . الأمر الذي لا يضمن لإسرائيل أن تظل الولايات المتحدة ضامنة لأمن إسرائيل بنفس ما كانت ترنو إليه من قبل .

وهكذا لن تستطيع إسرائيل الركون إلى هذه النقطة في النظرية الأمنية القومية الإسرائيلية ، ولا إلى أي نقطة سابقة في تلك النظرية الأسطورية التي تركز على ركائز يرفضها المجتمع الدولي :

— فالتوسع إلى حدود أرض الميعاد ، مبدأ يرفضه القانون الدولي ، وكما سبق وأن أوضحنا فإن حكاية أرض الميعاد ذاتها محض أسطورة تريد إسرائيل من ورائها وبدعوى أمنها استغلالها للتوسع على حساب أرض العرب وشعب العرب .

— وسياسة إقامة المستوطنات سياسة مرفوضة من المجتمع الدولي ككل ، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية «ولية نعمة إسرائيل» التي يمكن تسميتها «الوليات للنعمة الإسرائيلية» . وهي إذ تتم على حساب أرض الإنسان الفلسطيني فإنما تمثل عملاً من أعمال القرصنة «الأرضية» التي يرفضها القانون الدولي .

— ورفض قيام الدولة الفلسطينية ، مبدأ لا يستقيم وشرائع العدل والقانون ، فحق تقرير مصير الشعب الفلسطيني ، حق اعترفت به كافة المنظمات الدولية ، ومبدأ الأرض — أرض الفلسطينيين — مقابل السلام ، مبدأ تطالب به كل دول العالم ، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي تنادى بتسوية القضية الفلسطينية وفقاً لقرارات الأمم المتحدة وعلى رأسها القرار ٢٤٢ الذي يطالب بإعادة الأرض العربية التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧ إلى أصحابها .

أما ما تدعيه إسرائيل في مسألة العمق الجغرافي ، وما رددته في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ من أنها كانت على حق في رفضها الانسحاب من الأراضي التي احتلتها في سنة ١٩٦٧ ، وأن العرب هم الذين بدأوا الحرب ، ولو حدث هذا ولم يكن في يد إسرائيل الأرض التي احتلتها ، لدارت الحرب في أرضها وبين أهلها . وكان من المرجح أن يُقضى على إسرائيل قضاءً تاماً . فاحتلال أرض العرب ضمان ضد الهجوم العربي وكفيل بأن يترك لإسرائيل مجاًلاً واسعاً للدفاع ورد الهجوم ، وفسحة من الوقت ريثما تصل الإمدادات الأمريكية ، ففي هذا الادعاء مغالطتان واضحتان ، والأصح أن يقال : أنه إن لم يكن الاحتلال الإسرائيلي لأرض العرب ، لما وقعت الحرب .. وقد قامت إسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ ولم يقع أى اعتداء عليها من العرب ، بل أنها هي التي كانت تعتدى .. وأن يقال إن العمق الجغرافي لا يضمن لإسرائيل الأمن . ولو كانت إسرائيل تنشئ الأمن في داخل حدودها لرجعت إليها وتركت أرض العرب للعرب . وقد أكد على هذه الحقيقة ريتشارد تشيني وزير الدفاع الأمريكى حين استبعد أن



بالله عليكم ، من الذى يحتاج للأمن ، العرب أم الاسرائيليين ، صورة نشرتها صحيفة البوسطن جلوب لفتاة فلسطينية تجرى وسط مجموعة من الجنود الإسرائيليين المنتشرين بمدينة القدس القديمة (القدس العربية) . لقد كان جمال عبد الناصر يطالب العالم بأن يقينا شر إسرائيل . لكن إسرائيل تدعى أنها تحتاج إلى الأمن .

العمق الاستراتيجى والأتساع الجغرافى يوفران الأمن^(١) . وأكدها أيضاً برنت سكو كروفت مستشار الأمن الأمريكى حين رفض الادعاءات الإسرائيلية حول أهمية الأرض المحتلة كعمق دفاعى لإسرائيل ، وقال إن الأرض المحتلة لا تضمن الأمن لإسرائيل^(٢) .

وما تدعيه إسرائيل من «أنها لا تستطيع إعادة الجولان لسوريا لأنها (منصة عالية) يمكن لسوريا بها مهاجمة إسرائيل» ففيه ثلاث مغالطات : أولاً أنه ليس من حق دولة أن تحتفظ بأراضى دولة أخرى احتلتها . وثانياً أن إسرائيل هى التى تحتفظ فعلاً (بالمنصة العالية) الآن وتهدد بها سوريا بما أقامته عليها من

(٢) الأهرام عدد ١٦ إبريل ١٩٩١ .

(١) الأهرام عدد أول مايو ١٩٩١ .

منشآت وقواعد .. وثالثاً أنه ما الذى تخشاه إسرائيل من (منصة) ستكون بعد إعادتها معزولة السلاح . وسيتم مراقبتها من قبل مراقبى الأمم المتحدة ؟!

أما ما تقول به إسرائيل من أنها لا تريد أن تقيم بجوارها دولة فلسطينية تكون بمثابة برميل بارود يهدد أمنها أو ينفجر فيها لأن العرب قوم لا يؤمن جانبهم ، فالرد عليه ببساطة هو : كيف تخشى إسرائيل قيام دولة فلسطينية ستكون محاصرة بكل أنواع الرقابة والضمانات الدولية خاصة في مجال التسلح ؟!

إن مخاوف إسرائيل الأمنية لأساس لها إلا في مخيلة مريضة تؤمن بأن استخدام القوة العسكرية والقبضة الحديدية سيحقق الأمن «الإجبارى» ! أى أن القوة ستفرض «الأمن» بالعنف . وتنسى أن العنف يولد شتيين : العنف المضاد والكراهية . وطالما وجدت الكراهية فألى الجحيم يا أمن إسرائيل .. ومادامت إسرائيل تزرع القمح وترويه بدم الفلسطينيين ، وتشد سلام العرب بالنار ، فلا أمل لها في أمن على هذه الأرض .. لقد حدث في أعقاب المذبحة الإسرائيلية في المسجد الأقصى في أكتوبر ١٩٩٠ — أن تزايد الشعور بالكراهية تجاه إسرائيل وشعبها بين العرب جميعاً حتى المصريين منهم رغم تعاهدتهم في معاهدة كامب ديفيد مع إسرائيل . فقام مصرى بقتل الزعيم الإرهابى الإسرائيلى «ماير كاهانا» في حين قامت فتاة لبنانية بعملية انتحارية ضد قوات إسرائيلية في جنوب لبنان . وفي نفس اليوم قام جندى حدود مصرى باختراق الحدود المصرية الإسرائيلية فقتل ٤ جنود إسرائيليين وأصاب ١٢٦ إسرائيلياً في حادث وصفه الجندى بأنه احتجاجاً على مذبحة المسجد الأقصى . هذا عدا سقوط عدد من الجنود الإسرائيليين صرعى على يد الفلسطينيين أصحاب الحق داخل الأرض العربية المحتلة في حرب وصفت بأنها «حرب السكاكين» .. والسبب الكراهية .

فإذا كان الأمر هكذا وكان الارتكان إلى النظرية والمفاهيم الأمنية الإسرائيلية معناه الاتكاء على جدار مائل لا يضمن لهم مطالبة العرب بحقه في العيش على أرضه بأمان . فما الذى يضمن أمن إسرائيل فعلاً ؟

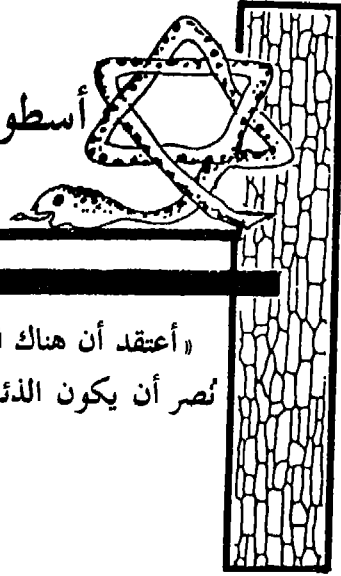
على هذا السؤال يجيب الرئيس بوش : « إن إسرائيل وجيرانها سوف يتمتعون بالأمن الحقيقي والدائم عندما يصلون إلى مصالحة حقيقية » .. وهو بهذا يؤكد صواب الرؤية السياسية المصرية التي أكدت مصر مراراً .. وقال بها « عمرو موسى » رئيس وفد مصر. بالأمم المتحدة في بيان اللجنة السياسية الأولى بالأمم المتحدة^(١) إذ أكد أن « إسرائيل لا تستطيع أن تحقق أمنها بقوة السلاح ، وكذلك الدول العربية . كما لا يمكن أن تحقق الأمن على حساب تهديد أمن الدول الأخرى . فالأمن يتحقق فقط من خلال ترتيبات أمنية متبادلة بين دول المنطقة . ولابد أن تعلن إسرائيل عن التزامها بحظر انتشار الأسلحة النووية بالتوقيع على المعاهدة الدولية التي تحظر هذه الأسلحة والتي وقعت عليها مصر وعدد من الدول العربية » .. أى أن أمن إسرائيل يتحقق بقبولها عضواً في الشرق الأوسط برضا شعوب المنطقة وفي نطاق احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني. في إقامة دولته على أراضي الضفة الغربية وغزة . وفي نطاق احترام الحقوق والتعايش السلمي لكل الشعوب .. أما إذا أصرت إسرائيل على عدم تنفيذ هذا وتمسكت بنظريتها الأمنية الأسطورية ، فستكون كمن يريد فرض الأمن بالإرهاب أو نشر السلام بالحرب .. أو غرس الحياة بالموت ، أو إقامة العدل بالظلم . وستكون كمن يسير نحو قبره الذي صنعه بنفسه ماشياً على قدميه . وستصبح إسرائيل قبراً جماعياً كبيراً ، وستكون هناك حرب بين المائتى مليون عربى وبين يهود إسرائيل . ولن تستطيع أربعة أو خمسة أو عشرة ملايين أن يقضوا على المائتى مليون .. ولن ينقذ الملايين اليهود الأربعة أو الخمسة أو حتى العشرة إلا السلام .. ولكن للأسف فإن الرغبة الإسرائيلية في السلام ، هى الأخرى — مثلها مثل مفاهيم الأمن الإسرائيلى — محض أسطورة تؤكد على أنه مثلما ؛ لا أمن لإسرائيل ، لا أمان لها .



(١) الأهرام عدد ١٢ نوفمبر ١٩٩٠ .

الفصل السابع

أسطورة الرغبة الإسرائيلية في السلام



«أعتقد أن هناك احتمالات كثيرة لكى يتعايش الذئب مع الحمل لكننا نُصر أن يكون الذئب يهودياً» .

يوفيل نيئمان ، زعيم حزب هتسيا الإسرائيلي

- حكومة إسرائيل الحالية أكثر الحكومات تشدداً في تاريخ إسرائيل .
- الوزارة الحالية وزارة حرب وإرهاب من الدرجة الأولى .
- ماضى شامير وحاضره كإرهابى لا يؤهله لصنع السلام .
- شامير المطلوب القبض عليه في عدة دول أوربية .
- النقطة الوحيدة في شامير هى صراحته . غير أنها صراحة تدل على بجاجة ووقاحة .
- شامير يبرر الإرهاب الإسرائيلى ويستتكر الإرهاب الفلسطينى .
- تعليمات شامير : من ضربك بحجر ، أضربه برصاصة .
- السلام مقابل السلام معناه الاكتفاء بالأرض التى أحتلت .
- أفعال وأقوال إسرائيل قبل وبعد مؤتمر مدريد لا تخدم السلام .
- دور المفاوضات العربى في محادثات السلام يجب أن يتحلى بالصبر وبالتمسك بالأهداف .

● أسطورة الرغبة الإسرائيلية في السلام

قلنا إن الرغبة الإسرائيلية في السلام هي محض أسطورة .. فما دليلاً على ذلك ؟ وكيف يستقيم هذا القول مع الموافقة الإسرائيلية على الاشتراك في مؤتمر السلام ؟ وهل يتحقق السلام بمجرد حضور إسرائيل لهذا « المؤتمر » ؟ .

دليلاً واضحاً وبسيط جداً ، ويستمد مضمونه من المثل البلدى « الجواب باين من عنوانه » ، وعنوان السلام الإسرائيلي هو إسحاق شامير والعصابة التي تشاركه الحكم . فالحكومة الإسرائيلية الحالية وكما لاحظت وكالة رويتر — لا نحن فقط — هي أكثر الحكومات تشدداً في تاريخ إسرائيل^(١) . ولعل مرد ذلك إلى شيئين : الأول أنها تضم عناصر مشهوداً لها بالتطرف وقد حددت مهامها بالتوسع في العمليات الاستيطانية والقضاء على الانتفاضة الفلسطينية بطرد العرب من بلادهم تمهيداً لتحقيق حلم إسرائيل الكبرى — على الأقل — من البحر إلى النهر ، وهي كلما أحسست بنقص جرعاتها الرسمية من التطرف ، سارعت إلى ضم وزير متطرف جديد ، حتى وإن كان هذا الوزير — وزير حقبة — أى وزير بلا وزارة كالوزير « رحيبام زيفي » .. والثاني أنها وزارة حرب بمعنى أن معظم أعضائها، ممن لهم ماضى إرهابى أو ممن كان لهم — ماضى عسكري — أو ما يزال .. فإذا تأملنا صفوف أعضاء هذه الحكومة سوف نجد من العسكريين ، بل من غلاة العسكريين : ارييل شارون ، عزرا فايتسمان — دان شمرون ، موشيه ارينز — حاييم هيرتزوج ، رانائيل اتيان ، ديفيد ليفي .. أما الفئة الباقية من أعضاء القيادة السياسية فإنه لا يوجد شخص واحد منهم لم يخدم في الجيش لفترات طويلة ، أو على الأقل ، قد عاش فترات طويلة من تجربة التعبئة العامة ، أى البقاء تحت طلب التجنيد .. أما ما يعرف في إسرائيل بالدائرة الداخلية Inner Circle وهي مجموعة الأشخاص التي تحدد وبشكل غير رسمى توجهات الدولة الإسرائيلية كلها متأثرة تماماً بقرارات الجيش وتعليمات القيادة العسكرية .

ولماذا نذهب بعيداً .. لماذا لا نتطلع إلى ماضى وحاضر زعيم هذه المجموعات : الحكومة الإسرائيلية — القيادة السياسية — الدائرة الداخلية ،

(١) الأخبار عدد ٨ مارس ١٩٩١ .

وهو إسحق شامير . فهذا القرد الضئيل الحجم والذي لا يستطيع إلى الآن زيارة بعض العواصم الأوربية لأنه مطلوب فيها^(١) ! قضى عشر سنوات من عمره متخفياً تحت اسم مستعار حتى لا يكشف أحد صلته باسم «إسحق شامير» كزعيم لأكبر عصابة إرهابية في التاريخ الصهيوني ، وباسمه المستعار عمل جاسوساً لإسرائيل في باريس ، لقد ذهب إلى هناك — كما يقول محمد الشراقوى^(٢) — وهو يحمل بين جوانحه شعوراً مريراً بالإحباط ، فقد كان يرنو إلى منصب وزير الداخلية ، كان يظن أن سجله الإرهابي يرشحه لذلك ، وهو أمر لا ينكره عليه أحد . لكن صراعات السلطة عرقلت طموحه ، ولم يجد آنذاك عملاً سوى في رابطة «دور السينا» في تل أبيب .

لم تبرأ جراح إحباطاته إلا عندما وصل صديقه الإرهابي «مناحم بيجين» إلى السلطة في إسرائيل عام ١٩٧٧ ، ففتح أمامه أبواب الحكم على مصراعها ، فقد كانا رفيقاً سلاح في المنظمة الإرهابية التي انضم إليها شامير عندما كان في العشرين من عمره .. كان شامير قد هاجر من بولندا إلى فلسطين ليجسد بطعنات السيف اليهودي ، الحلم الصهيوني ، فقد لقنه «جابوتنسكى» فيلسوف العنف والأب الروحي للإرهاب الصهيوني موعظة العنف والكراهية : «الله أنزل السيف والتوراة على اليهود» ..



نشرة وزعتها السلطات البريطانية عن الارهابي اسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل الحالي ، لتورطه في عملية اغتيال الكونت برنادوت الوسيط الدولي للسلام عام ١٩٤٨ . فهل تتوقع من إسحق شامير ، واسمه الأصلي اسحق يزيرتسكى أن يتحقق على يده السلام عام ١٩٩٢ .

(١) الأهرام عدد ١٠ نوفمبر ١٩٩٠ .

(٢) صورة إسحق شامير كإرهابي مطلوب القرض عليه منشورة ضمن صفحات هذا الكتاب .

عندما وصل الحكم وتولى مسئولية رئاسة الوزراء ، تارة بمفرده ، وتارة بالاشتراك في تحالف وزارى مع إسحق رابين ، لم يتوان عن تطبيق فلسفة الإرهاب الجابوتونسكية ، تلك الفلسفة التى أثبتت بتطبيقها أنه واحد من أبطال الأساطير الشريرة ، فهو صورة مكررة للتين والغول والديناصور وهولاكو وليتمورلنك وهتلر . لقد نقل شامير النازية من ألمانيا وأتى بها إلى إسرائيل ، فأضحى المستشار الأول لعمليات قمع العرب داخل فلسطين وخارجها .

غير أن النقطة الجيدة الوحيدة في شخص هذا المسخ البشرى ، أنه « واضح وصريح . ومحدد ، وأقواله متسقة مع أعماله ، وأعماله متسقة مع نفسه ومع تفكيره »^(١) . وتفكيره لم يتجه ولن يتجه يوماً إلى السلام ، ويكفى أن نلقى نظرة على مجموعة من أقواله وتصريحاته وأفكاره بخصوص خطط السلام في المنطقة ، ونحن لم نتدخل بالتعليق بين الأقواس إلا لإيضاح مدى تغلغل العنصرية والشيطنانية في فكر الرجل .

*** فبخصوص الإرهاب نذكر قوله :**

أن الإرهاب وسيلة كفاح مقبولة في بعض الظروف مثلما حدث في حرب عام ١٩٤٨ ، ان استخدام اليهود للإرهاب كان أمراً له ما يبرره ، وهو إقامة دولة يهودية ، بينما لا يوجد أى مبرر أمام الفلسطينيين للجوء إلى الإرهاب .

• (ومبدئياً فإن الأهداف لا تبرز الإرهاب لأن الغاية لا تبرر الوسيلة إلا لدى الميكافلين أمثال إسحاق شامير . ثم أنه إذا كان قد برر لجوء اليهود للإرهاب بإقامة الدولة الإسرائيلية ، فلماذا ينكر على الفلسطينيين اللجوء لنفس الإرهاب لإقامة الدولة الفلسطينية ؟) .

*** وبخصوص مقترحات جورج شولتز للسلام نذكر قوله :**

لم أبادل الرأي مع شولتز — ولو بكلمة واحدة — عن مقترحاته السلمية التى أرفضها وأعتقد أن انتقاد شولتز لى كان يهدف الاستهلاك في الصحافة العربية ومن أجل تحقيق بعض الأهداف داخل الولايات المتحدة الأمريكية .

(١) الصراحة لدى الجميع فضيلة ، لكنها عند شامير رذيلة . إن صراحته تدل على بجاحته . واتساقه تدل على شوفينيته .

أن الشيء الوحيد الذى أستطيع قبوله فى مقترحات شولتز الجديدة هو توقيعه الذى يزين الصفحة الأخيرة فى هذه المقترحات فقط .

• (أى أن الرجل ليست لديه اهتمامات بأى مقترحات للسلام ، ولا مانع من توجيه الانتقاد له ، طالما أن هذا الانتقاد سيرضى العرب ، ولن يخسر بسببه أى قضايا مادية ، فالمعنويات لا أهمية لها بالنسبة له) .

* وبخصوص الانتفاضة نذكر قوله :

سنستمر فى طرد الفلسطينيين طالما استمرت الانتفاضة ، وكما فشل العرب فى تدمير إسرائيل بالمدفعية والدبابات فإنهم سيفشلون فى تدميرها بالحجارة .

على قوات الأمن والمدنيين المسلحين ألا يتوانوا عن اطلاق نيران أسلحتهم على قاذفى الحجارة الفلسطينية .

• (انظر إلى مدى تحضر وديمقراطية الرجل ، من ضربك بحجر أضربه بالرصاص . وانظر إلى أسلوبه النازى فى طرد العرب ، أليس هذا أكثر شبيهاً بما ادعوه عن هتلر بأنه أراد طردهم من القارة الأوروبية) .

* وبخصوص مستقبل الفلسطينيين نذكر قوله :

لن تتخلى إسرائيل عن الضفة الغربية وغزة أبداً ، إن الحكم الذاتى هو أقصى ما يمكن أن تذهب إليه إسرائيل .

• (أى أنه يريد أن يجعل الفلسطينيين كالمساجين لهم حرية التنقل والحركة والأكل والشرب داخل السجن . والفرق هنا أنه اسمى السجن باسم مهذب «الحكم الذاتى» !) .

* وبخصوص وضع مدينة القدس نذكر قوله :

إن من يمد يده للمساس بوحدة العاصمة أورشليم (القدس) سوف تقطع .

• أى أن الرجل يعلنها صريحة إحتلال القدس أمر شرعى ولن أسمح لأحد أن يغير من وضع هذا الإحتلال) .

* وبخصوص الدولة الفلسطينية نذكر قوله :

أن الدعوة الأخيرة التي تطالب بإقامة دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة بجوار إسرائيل إنما يعنى ببساطة بداية انهيار دولة إسرائيل .

أنصحكم ألا تردوا على أية خرافات يطلقها أولئك الذين يتحدثون عن إقامة دولة فلسطين .. أتركوهم فسوف يصطدمون بقبضة حديدية لن تبقى أى أثر لمحاولاتهم اليائسة .

أنا مع السلام ولكن بدون إقامة دولة فلسطينية .

• (أى أنه يريد أن يقول من حقك أن تشرب قهوة ولكن بدون بن !) .

* وبخصوص التفاوض والسلام مع العرب نذكر قوله :

لابد من الاعتراف بالواقع الإسرائيلي وقبول تسوية مؤقتة .

لا يمكن لأى هيئة دولية تقرير مستقبل إسرائيل .

• (أى أنه لا يبحث عن سلام دائم ، وليست له أى اهتمامات بآراء غيره حتى وإن كان هيئة دولية) .

* وبخصوص مبدأ الأرض مقابل السلام نذكر قوله :

لا أتصور إمكان تنازل دولة ما عن أرض أصبحت جزءاً منها .

لن نستسلم ولن نتراجع بوصة واحدة ، ليس فقط بالنسبة للقدس ، بل بالنسبة لكل جزء من أى جزء في أرض إسرائيل . ولن نتعب أبداً من الدفاع عن ميراث أجدادنا حتى لو اقتضى الأمر استهلاك كل وقت العالم .

من تخلفنى قد يقبل الأرض مقابل السلام ، أما أنا فلا .

• (أى أنه مهما استمرت السنوات حتى ولو عقدت مؤتمرات فإن وقت العالم لا يساوى بوصة واحدة من أرض إسرائيل ، ولن يحدث في عهدي أى تنازل عن أى جزء « وموت يا حمار في انتظار العلف » !) .

* أما ما يريده من مؤتمر السلام فنذكر قوله :

« السلام مقابل السلام »^(١) !

تلك كانت عينة من أقوال وأفكار شامير قبل أن يقرر حضور مؤتمر السلام . فهل يمكن أن يتحقق السلام بمجرد حضور إسرائيل وعلى رأسها إسحق شامير ؟ .

الإجابة الصريحة كلا ، وألف كلا ، ليس لأن الرغبة الإسرائيلية في السلام محض أسطورة فقط ولكن الوقائع تشير إلى أن إسرائيل لن تسير في طريق السلام ، فالوقائع تشير إلى أن :

١ — لا يمكن بحال من الأحوال أن يتحول الذئب إلى حمل . وعلى هذا فلا يجب أن نتظر من مجرم حرب كشامير ، ولا من الزمرة الحاكمة حوله أن يكونوا بين يوم وليلة من دعاة السلام .

٢ — أن حل المشكلات بالمفاوضات ليس هو الأسلوب الأمثل دائماً فكثيراً ما يجتمع اللئام على طاولة واحدة مع المسالين ، وتكون المأدبة مأدبة ذئاب .

٣ — أن حضور المؤتمرات شيء وإنجاح المؤتمرات شيء آخر .

٤ — أن الضغوط الدولية على الأطراف التي دخلت المؤتمر — خاصة إسرائيل — لا ترقى لمستوى الاجبار على قبول مبادئ السلام الدولية فقد أعلنت أمريكا أنه لن يتم أى ضغط على إسرائيل وأنه لن تفرض عليها حلول ، وأن لإسرائيل الحق في تفسير القرار رقم ٢٤٢ على طريقته .

٥ — أن إسرائيل تدخل المؤتمر وفي جعبتها «لاءات» خمس لن تتنازل عنها . وهي لاءات ، لاء واحدة منها كفيلة بإفساد جو المؤتمر . واللاءات الخمسة هي :

لا لمبدأ الأرض مقابل السلام .

(١) السلام مقابل السلام معناه : إنني سأبتلع كل الأرض التي قمت باحتلالها غصباً في الماضي مقابل الوعد . — مجرد الوعد — بألا اغتصب أرضاً جديدة في المستقبل !

لا للتفاوض حول القدس .

لا لمنظمة التحرير الفلسطينية وإقامة دولة فلسطينية .

لا للتفسير الأمريكي للقرار ٢٤٢^(١) .

لا لإيقاف بناء المستوطنات .

٦ — أن التصريحات الإسرائيلية خاصة لشامير عقب الموافقة على حضور المؤتمر تنسف المؤتمر قبل أن يبدأ ، خاصة تصريحه القائل بأن « الذين يحملون بأن مؤتمر السلام المزمع عقده في مدريد سيؤدي إلى تخلي إسرائيل عن الضفة الغربية وغزة واهمون » .

٧ — أن التصرفات الإسرائيلية عقب الموافقة على حضور المؤتمر تستهدف زرع الألغام في طريق تحقيق أى تقدم للمؤتمر ، وقد بدأت هذه التصرفات بالتوغل الإسرائيلي خارج المنطقة التي تحتلها في جنوب لبنان فيما اعتبر بؤادر اجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني .

٨ — أن إسرائيل بحضورها مؤتمر السلام لم تستسلم لإرادة السلام ، فقد اضطرت بقيادة شامير إلى الصعود لقطار السلام ، ولكنها ستفتش عن الفرصة المناسبة للهروب منه مع أقل ما يمكن من أضرار حتى لا تتحمل حكومة شامير مسئولية فشل المؤتمر .

٩ — أن التوقعات تشير إلى أن إسرائيل تدخر للمؤتمرين العديد من المفاجآت التي يمكن بها أن تفشل المؤتمر وتنسحب منه . وستماطل وتجادل وتوافق وترفض وتساءل وتطلب إجابات ثم تسأل عن الإجابات ، ثم تثير عشرات القضايا الفرعية ومئات القضايا الجزئية حتى يصل المؤتمرين إلى طريق مسدود ذلك أن المفاوضات اليهودية بارع في إيجاد معالم لا معنى لها وألفاظ لا تعنى شيئاً على غرار السلام مقابل السلام !

(١) النص الأصلي لقرار ٢٤٢ يشير إلى ضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها عقب حرب ١٩٦٧ . لكن التفسير الإسرائيلي للقرار يعتمد على إزالة التعريف من كلمة الأراضي لتصبح أراضي احتلتها ، أى جزء من الأراضي التي احتلتها عقب حرب ١٩٦٧ .

١٠ - أن الإسرائيليين أنفسهم - وعلى حد قول أحد المستوطنين - يعلمون أن العقبة الوحيدة أمام انطلاقة المؤتمر هي حكومة إسرائيل^(١) وهي حكومة تتحدث عن السلام وتتكبر له ، تريد السلام المراوغ ، أو السلام الاستعماري الذي يعنى أنها تسيطر وأن العرب يخضعون ، أنها تريد سلام الوهم . والوهم لا يخلق سلاماً .

١١ - أن شامير في خطابه أمام مؤتمر السلام أخذ يكرر الأساطير والخرافات الإسرائيلية ولم يتحدث عن السلام أو الانسحاب أو التسوية السلمية أو مبادلة الأرض بالسلام أو قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين هما بيت القصيد في السلام العربى الإسرائيلى . واقتصر بدلاً من ذلك على تزوير التاريخ وتزوير الحقيقة .

١٢ - أن التصرفات الإسرائيلية عقب مؤتمر السلام والتي تمثلت في الإعتداءات على جنوب لبنان وتصعيد القمع ضد الفلسطينيين وتدهشين مستوطنة جديدة في الجولان «السورية» تدل على عدم رغبة الحكومة الإسرائيلية في أى سلام .

لسنا أكثر معرفة من غيرنا كى نرى ما لا يراه سوانا ، ولكننا نؤكد على أن الحكومة الإسرائيلية بوضعها الحالى - وعلى رأسها شامير - لن يتحقق على يدها السلام ، ولأننا لسنا من ذلك النوع الذى يستسهل الكلام واعتبار أن كل حوار سوى حوار المدافع مستحيل ، لأن ذلك أيسر من المسئولية . فإننا نؤكد على أن الاستمرار فى التفاوض السلمى لحل القضية الفلسطينية أمر لا غنى عنه فى الوقت الحاضر ولكن شريطة أن يتحلى العرب بالصبر وبالتمسك بالأهداف ، فلقد صدق جيمس بيكر وزير خارجية أمريكا عندما أبدى بعض التحفظات وحذر من «أن عقبات لا نهاية لها سوف تظهر فى الطريق وسوف يتصل المؤتمر أو ينقطع ، يتوقف أو يستأنف على امتداد سنوات وسنوات قبل أن تمخض عن مولوده الجديد» .. والخوف أن يأقئ المولود مشوهاً .

(١) الأهرام ٢٤ أكتوبر ١٩٩١ . وقد تكرم السيد إسحق شامير وقرر حضور مؤتمر السلام كرئيس لوفد بلاده بدلاً من وزير الخارجية الذى يرى اليمنيون أنه قد ينصاع للسلام !

الفهرس

٣	مقدمة الكتاب
٥	الفصل الأول : ماهية الدعاية الصهيونية
٦١	الفصل الثاني : ماهية الأساطير السياسية
٨١	الفصل الثالث : أسطورة العداء للسامية
١٠٩	الفصل الرابع : أسطورة العربى القبيح
١٨٩	الفصل الخامس : أسطورة ضبط النفس
٢٢٥	الفصل السادس : أسطورة الأمن الإسرائيلى
٢٦٣	الفصل السابع : أسطورة الرغبة الإسرائيلىة فى السلام



General Organization of the Alexandria Library
المنظمة العامة لمكتبة الإسكندرية

٩٣ / ١٠٨٨٧
977-277-080-3

دقم الاسداع

وزارة الموزع

المستشفيات

الرياض: ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩ - القصيم - بريدة
ت ٣٢٣١٤٣١ - المدينة المنورة ت ٨٢٤٢٧٧٥ ص. ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض
جدة ت ٦٥١٠٤٢١٠ فاكس ٦٤٤٢٢٧٣ ص. ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

الهيئات العامة

40 شارع فيكتوريا ميكو - الدار البيضاء ص. ب : 4150 ت. 300567 - 309520
12 حي الداخلة - زنقة الإمام المصطفى - الدار البيضاء ت 307643

المؤسسات

بي - بيرة - ص. ب : ١٥٧٦٥ ت ٦٦٤٩٦٨ فاكس ٦٦١٢٧٦

البحريين

ص. ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٣٦٠٣٢

الجمهورية العربية الليبية

ص. ب : 132 هاتف 44873 - 604431 طرابلس : الجمهورية العربية الليبية